Isfahani vol. 11

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الحادي عشر

القسم ٤١ - ٤٤

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الحادي عشر

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الحادي عشر

من كتاب الاغاني

النابغة الذبياني

أخبار النابغة ونسبه :

النابغة اسمه زِيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جَناب بن يَربوع بن غَيظ بن مُرَّة بن عَوف بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس بن عَيلان بن مُضَر . ويُكنى أبا أمامة[1] . وذكر أهل الرِّواية أنه إنما لُقِّب النابغةَ لقوله :

فقد نَبَغَتْ لهم منّا شؤونُ

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

أخبرنا احمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نَصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا

---

(١) ويكنى أيضاً : « أبا ثمامة » . كني بابنتيه أمامة وثمامة .

عمر بن شبَّة قال حدثنا أبو نُعَيم قال حدثنا شَريك عن مُجاهد عن الشَّعبيّ عن رِبعِيّ بن حِراش قال :

قال عمر : يا معشر غَطفانَ مَن الذي يقول :

أتيتُــك عارياً خَلَقاً ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا عُبَيد بن جَنَّاد قال حدثنا مَعن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبيّ قال : قال عمر : مَن أشعرُ الناس ؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قال : مَن الذي يقول :

إلّا سليمانَ إذ قال الإلٰه له قُمْ في البَرِيّة فاحدُدها عن الفَنَدِ[1]
وخَيِّسِ الجنَّ أنّي قد أذِنتُ لهم يبنون تَدْمُرَ[2] بالصُّفَّاح والعمد[3]

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثيــابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنونُ

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً وليس وراءَ اللهِ للمرء مَذهبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عني خيانةً لَمُبلِغُك الواشي أغشُّ وأكذَبُ

(١) فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

(٢) تدمر : مدينة قديمة مشهورة بسوريا .

(٣) الصفاح (بالضم) : حجارة دقاق عراض ، واحدها صفاحة . والعمد (بفتحتين وبضمتين) : جمع عمود .

ولستَ بمستَبقٍ أخاً لا تَلُمُّــهُ(١) على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعبيّ قال: ذُكِر الشِّعرُ عنـد عمر؛ ثم ذكر مثلَه.

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله ابن الحسن عن عمر بن الُحباب عن أبي المؤمّل قال:

قام رجلٌ الى ابن عبّاس فقال: أيُّ الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبِره يا أبا الأسود الدُّؤَليّ؛ قال الذي يقول:

فإنكَ كالليلِ الذي هو مُدركي وإن خِلتُ أنّ المُنتأى(٢) عنك واسعُ

أخبرني الحسين بن يحيي قال قال حمّاد قرأت على أبي عن جرير بن شَريك بن جَرير بن عبد الله البَجَليّ قال: كنّا عند الُجنَيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنك كاللّيــل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

فقال شيخٌ من بني مرّة: ما الذي رأى في النُّعمان حيث يقول له هذا! وهل كان النُّعمان إلا على مَنظرةٍ من مناظر الحيرة! وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا. فنظر إليّ الُجنَيد وقال: يا أبا خالد! لا يهولنّك قولُ هؤلاء الأعاريض! فأُقسم بالله أن

---

(١) استبقى الصاحب: عفا عن زلله فاستبقى مودّته. ولم الأمر: جمعه وأصلحـــه. والشعث (بالفتح وبالتحريك): انتشار الأمر وفساده.

(٢) المنتأى: اسم مكان من انتأى اذا بعد.

لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر ممـا قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون.

أخبرني حبيب بن نَصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا أبو بكر العُليمي قال حدثني عبد الملك بن قُرَيب[1] قال:

كان يُضرَب للنابغة قُبَّةٌ من أَدَمٍ بسوق عُكاظ، فتأتيه الشعراء فتَعرض عليه أشعارها. قال: وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشَّريد:

وإن صخراً لَتَأتَمُّ الهُداةُ به   كأنه عَلَمٌ في رأسـه نارُ

فقال: والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدني آنِفاً لقلتُ إنك أشعر الجنّ والإنس. فقام حسّان فقال: والله لأنا أشعرُ منك ومن أبيك! فقال له النابغة: يابنَ أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليـل الذي هو مدركي   وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ
خطاطيفُ[2] حُجنٍ في حِبالٍ مَتينةٍ   تَمُدُّ بها أيـدٍ اليك نَوازع

قال: فخَنَس[3] حسّان لقوله:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نَصر المهلّبي قالا حدثنا عمر ابن شبَّة قال حدثنا الأصمعيّ قال حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأُنسيتُه:

---

(١) عبد الملك بن قريب: هو اسم الأصمعيّ الراوية المشهور.

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف (بالضم). وخطاف البئر: حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها. وحجن: معوجة، واحدها أحجن والأنثى حجناء. ونوازع: جواذب.

(٣) خنس: انقبض، أو رجع وتنحى.

بينا نحن نسير بين أنقاء[1] من الأرض تذاكرنا الشعر ، فإذا راكبُ أُطيلِس[2] يقول : أشعرُ الناس زياد بن مُعاوية ؛ ثم تملّس[3] فلم نَرَه .

فضله ابو عمرو على زهير :

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان ينبغي للنابغة إلا أن يكون زُهيرٌ أجيراً له :

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عمرو بن المُنتشِر المُراديّ :

وفَدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمر وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ما كنتَ حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشأم فقال : أيُّكم يَروي من اعتذار النابغة الى النعمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمـرء مذهبُ

فلم يجد فيهم من يَرويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أترويه ؟ قلت نعم ! فأنشدتُه القصيدة كلَّها ؛ فقال : هذا أشعر العرب .

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال :

قال معاوية بن بكر الباهليّ قلت لحمّاد الراوية : بِمَ تقدّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله :

---

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

(٢) أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة الى السواد .

(٣) تملس : تملص وأفلت .

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

كلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه، وقوله: «أيّ الرجال المهذَّبُ» ربع بيت يغنيك عن غيره.

وهذه القصيدة العينيّة يقولها في النعمان بن المُنذِر يعتذر اليه بها وبعِدّة قصائد قالها فيه تُذكَرُ في مواضعها. ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه الى ذلك.

فأخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيدة وغيره من علمائهم:

أنّ النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصّاً به وكان من نُدمائه وأهل أنسه؛ فرأى زوجته المتجرّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً بالفُجاءة، فسقط نَصيفها واستترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبالتها وغِلَظها؛ فقال قصيدَته التي أوّلها:

أمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ
زَعَم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً وبذاك تَنعابُ الغرابِ الأسود
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به إن كان تفريقُ الأحبّةِ في غد
أزِفَ التَّرحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا لمّا تَزُلْ برحالنا وكأنْ قد
في إثرِ غانيةٍ رمتْك بسهمها فأصاب قلبَك غيرَ أن لم تُقصِد
بالدُّرِّ والياقوتِ زُيِّن نحرُها ومُفَصَّلٍ من لُؤلؤٍ وزَبَرجَد

عروضه من الكامل. وغنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبشٍ ثقيلاً أوّل بالبنصر. وغنّاه الغريض من روايته ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وغنّاه ابن سُرَيج من رواية اسحاق ثقيلاً أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى.

قوله: أمن آل مَيَّةَ: يخاطب نفسه كالمستثبت. وعجلان: من العجلة، نصبه على الحال. والزاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم وردّ تحيّة. والبوارح: ما جاء من مَيامِنِك الى مَياسِرك فولّاك مَياسره. والسانح ما جاء من مياسرك فولّاك ميامنه؛ حكى ذلك أبو عُبَيدة عن رؤبة وقد سأله يونس عنه. وأهل نَجدٍ يتشاءمون بالبوارح، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمّن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً؛ قال بعضهم:

ولقد غدوتُ وكنتُ لا أغدو على واقٍ وحاتِمْ
فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ

وتنعابُ الغراب: صياحه؛ يقال: نعب الغراب ينعب نَعباً ونَعَباناً، والتنعاب تفعالٌ من هذا. وكان النابغة قال في هذا البيت: «وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ» ثم ورد يَثرِبَ فسمعه يُغنّي فيه، فبان له الإقواء، فغيّره في مواضع من شعره.

وأخبرنا الحسين بن يحيي قال قال حمّاد بن اسحاق قرأتُ على أبي:

قال أبو عُبَيدة: كان فَحلانِ من الشعراء يُقويان: النابغةُ وبِشرُ بن أبي خازم. فأمّا النابغةُ فدخل يَثرِبَ فهابوه أن يقولوا له لحنتَ وأكفأتَ، فدعَوا قَينةً وأمروها أن تغنّيَ في شعره ففعلت. فلما سمع الغناء و«غير مزوّد» و«الغراب الأسود» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ. وأمّا بِشر بن أبي خازم فقال له أخوه سَوادةُ: إنّك تُقوي. قال: وما ذاك؟ قال: قولك:

ويُنسي مثلَ ما نُسيتْ جُذامُ

ثم قلت بعده «الى البلد الشآم». ففطن فلم يَعُد.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا خلّاد الأرقط وغيرُه من علمائنا قالوا:

كان النابغة يقول : إنّ في شعري لعاهةً ما أقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنّي في شعره ؛ فلمّا سمع قوله : « واتّقتنا باليد » و « يكاد من اللّطافة يُعقَدُ » تبيّن له لمّا مُدّتْ « باليد » فصارت الكسرة ياء ومُدّت « يُعقَدُ » فصارت الضمة كالواو ؛ ففطن فغيّر وجعله :

عَنَمٌ على أغصانه لم يُعقَدِ

وكان يقول : وردتُ يَثرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة ، فصدرتُ عنها وأنا أشعرُ الناس . وقوله لا مَرحَباً : لا سعةً ؛ ونصبُه ها هنا شبيهٌ بالمصدر ؛ كأنه قال لا رَحُبَ رُحباً ولا أَهلَ أهلاً . وأَزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر اليه من المتجرّدة وسَترِها وجهها بذراعها :

صوت

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِد إسقاطَه   فتناولتْه واتّقتنا باليَدِ
بمُخضَّب رَخصٍ كأنّ بنانَه   عَنَمٌ على أغصانه لم يُعقَد
وبفاحمٍ رَجْلٍ أثيثٍ نبتُه   كالكَرمِ مالَ على الدِّعام المُسنَد
نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقضِها   نَظَرَ السَّقيم الى وُجوه العُوَّد

غنّاه ابن سُرَيج ، ولحنُه مِن خَفيفِ الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . والنَّصيف : الخِمار ، والجمع أَنصِفة ونُصُفٌ . والعَنَم ، فيا ذكر أبو عُبَيدة ، يَساريعُ[1] حُمرٌ تكون في البقل في الربيع . وقال الأصمعيّ : العنم : شجر يحمرّ ويَنعم[2]

(١) اليساريع : جمع يسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل ، تشبّه بها الاصابع .

(٢) نعم العود : اخضرّ ونضر .

نبتُه. والفاحم: الشديد السواد. والرَّجل: الذي ليس بجعد. والأثيثُ: المتكاثف؛ قال أمرؤ القيس:

أثيثٍ كقنوِ النخلة المُتعثكِلِ

ويقال: شَعرٌ رَجلٌ ورَجِلٌ. ويُروى:

ورنتْ إليَّ بمقلتيْ مكحولةٍ

والمكحولة: البقرة. وقوله: لم تَقضِها: يعني المرأة أي لم تقدِر على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسَّقيم الذي ينظر الى من يعوده.

غنّاه ابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب اسحاق من رواية عمرو بن بانة.

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العُمَريّ قال:

قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حسّان: كان والله النابغةُ مُخَنَّثاً. قلت: وما عِلمُك به؟ أرأيته قط؟ قال: لا والله! قلت: أفأُخبِرتَ عنه؟ قال لا. قلت: فما عِلمك به؟ قال: أما سمعتَ قولَه:

سقط النَّصيفُ ولم تُرِد إسقاطَه فتناولتْه واتّقتنا باليدِ

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخَنَّثٌ.

هروبه من النعمان الى ملوك غسان:

قال: فأنشدها النابغةُ مُرّةَ بنَ سعد القُرَيعيّ، فأنشدها مُرّةُ النعمانَ،

(١) القنو: العذق (وهو من النخل كالعنقود من العنب). والمتعثكل: ذو العثاكيل (الشماريخ).

فامتلأ غضباً فأوعد النابغةَ وتهدده ؛ فهرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخص الى ملوك غسّان بالشأم فامتدحهم . وقيل : إنّ عِصام بن شَهبَر الجرميّ حاجبَ النعمان أنذره[1] وعرّفه ما يُريده النعمان ، وكان صديقه ، فهرَب . وعِصامٌ الذي يقول فيه الراجز :

نَفسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاماً وعَلّمته الكَرَّ والإقـداما
وجعلته مَلِكاً هُماماً

وقال مَن رويتُ عنه خبر النابغة : إنّ السببَ في هَربه من النعمان أنّ عبد القيس بن خُفاف التّميميّ ومُرّة بن سَعد بن قُرَيع السّعديّ عمِلا هجاء في النعمان على لسانه ، وأنشد النعمانَ منه أبياتاً يقال فيها :

مَلِكٌ يُلاعِبُ أمّه وقَطينَـه رِخوُ المَفاصِـلِ أيرُه كالمِروَدِ

ومنه :

قَبّـح اللهُ ثم ثَنّى بلَعنٍ وارثَ الصائغِ الجبانَ الجهولا
مَن يَضُرُّ الأدنى ويعجزُ عن ضَرِّ الأقاصي ومَن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يَرزَأ العـدوَّ فتيلا

يعني بوارث الصائغ النعمان ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغاً بفَدَك[2] يقال له عطيّة . وأمّ النعمان سَلمى بنت عَطِيّة .

فأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثني عمي عُبَيد الله عن ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعد القُرَيعيّ الذي وشى بالنابغة كان

---

(١) أنذره : أعلمه .

(٢) فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرّيقة من كثرة فِرِنده وجوهره، فذكر النابغةُ للنعمان، فأخذه. فاضطغن ذلك القُرَيعيّ حتى وشى به الى النعمان وحرّضه عليه.

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة، قالوا جميعاً :

إنّ الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان والمُنخَّلُ بن عُبَيد بن عامر اليَشكُريّ جالسين عنده، وكان النعمان دميماً أبرَش[1] قبيح المنظر، وكان المنخَّل بن عُبَيد من أجمل العرب، وكان يُرمى بالمتجرّدة زوجةِ النعمان، ويتحدّث العربُ أن ابني النعمان منها كانا من المنخّل. فقال النعمان للنابغة: يا أبا أمامةَ، صِفِ المتجرّدةَ في شعرك؛ فقال قصيدتَه التي وصفها فيها ووَصف بطنَها وروادفها وفرْجها. فلحِقتِ المنخّل من ذلك غَيرةٌ، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلّا مَن جرّبه. فوقر ذلك في نفس النعمان. وبلغ النابغة فخافه فهرَب فصار في غَسّان.

كان المنخل اليشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله :

قالوا: وكان المنخَّل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند، وفيها يقول:

صوت

ولقد دخلتُ على الفتا ةِ الخِدْرَ في اليومِ المطيرِ
الكاعبِ الحسناء ترْ فُلُ في الدِّمَقس وفي الحرير
فدفعتُها فتدافعتْ مَشيَ القَطاةِ الى الغدير

(١) الأبرش: الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك.

ولَثَمْتُها فتنفَّستْ كتنفُّس الظَّبي البَهير[1]

– غنَّاه ابراهيم المَوصليّ من رواية عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب اسحاق –

وَبدَتْ وقالتْ يا مُنَخَّلُ ما بجسمك من فُتورِ؟
ما مَسَّ جسمي غيرُ حُبِّكِ فاهدَئي عنّي وسيري
ولقد شَربتُ من المُدا مةِ بالكبير وبالصغير
فإذا سكِرتُ فإنّني رَبُّ الخَوَرنَقِ والسَّدير[2]
وإذا صحوتُ فإنّني رَبُّ الشُّوَيهةِ والبعير
يا هِندُ هل من نائلٍ يا هندُ للعاني الأسير
وأُحِبُّها وتُحِبُّني ويُحِبُّ ناقتَها بعيري

– وقال حمّاد بن اسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مِسجَح: في هذا الصوت لمالك ومَعبَدٍ وابن سُرَيج وابن مُحرز والغريض وابن مِسجَح لكلهم فيه ألحانٌ – قال: فبلغ عمراً خبرُ المنخَّل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به:

طُلَّ وَسطَ العِراقِ قَتلي بلا جُرْ مٍ وقومي يُنَتِّجون السِّخالا

رجع الخبر الى سِياقه. قالوا جميعاً: فلما صار النابغة الى غسّان نزل بعمرو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر – وأمّ الحارث الأعرج ماريةُ بنت ظالم بن وَهب بن الحارث بن مُعاويةَ بن ثَور بن مُرتع الكِنديّة وهي ذات القُرطين اللّذين يُضرَب بهما المثل فيقال لِما يُغلى به

(١) البهير: الذي تتابع نفسه من الإعياء والتعب.

(٢) الخورنق والسدير: قصران.

الثمن « خُذه ولو بقُرطَي مارِيَةَ » . وأُختها هند الهنود امرأة حُجرٍ آكلِ المُرار . وإيّاها عنَى حسّان بقوله في جَبَلة بن الأيهم :

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني وأخاه النعمان :

أولادُ جَفنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ   قبرِ ابن ماريَةَ الجوادِ المُفضِلِ

ولذلك خبر يأتي في موضعه — فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أخوه النعمان ؛ فصار معه الى أن استطلعه[٢] النعمان فعاد اليه . فمما مدَح به عمراً قوله :

صوت

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمَةُ[٣] ناصِبِ   ولَيلٍ أُقاسيه بَطيءِ الكواكبِ
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ همِّه   تضاعفَ فيه الحُزنُ من كل جانب
تقاعَس حتى قلتُ ليس بمُنقَضٍ   وليس الذي يَهدي النجومَ بِآئب
عليّ لِعَمرٍو نِعمةٌ بعد نعمةٍ   لوالده ليست بذاتِ عَقارب

عروضه من الطويل . غنّى في البيتين الأوّلين ابن مُحرز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب اسحاق من رواية عمرو . وغنّى فيه الأبجر من رواية حَبَش ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّى مالكٌ في البيت الرابع ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات . وغنى في الأربعةِ الأبياتِ عبد الله ابن العبّاس الرَّبيعيّ ماخورياً عن حَبَشٍ ، وغنّى فيها طُوَيس رَمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش .

(١) التكملة عن كتب الأمثال .

(٢) استطلعه : طلب طلوعه اليه . يريد : استقدمه اليه .

(٣) أميمة : تصغير أمامة وهي بنته . وأقاسيه : أكابده وأعالج طوله :

هكذا رُوي قولُه «يا أُميمة» مفتوحَ الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنّث بالترخيم فتقول يا أُميمَ ويا عَزّ ويا سَلمَ؛ فلمّا لم يُرخّم حاجته الى الترخيم أجراها على لفظها مُرخّمة وأتى بهـا بالفتح. وكِليني أي دَعيني. ووكّلته الى كذا أَكِله وِكالة. وناصب: مُتعِب. وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تغور. أراح: ردّ. يقال أراح الرجل إبلَه أي ردّها. فيقول: ردّ هذا الليل إليّ ما عزّب من همّي بالنهار؛ لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح اليه همُّه. وتقاعس تأخّر؛ وأصل التقاعس الرجوعُ الى خَلفٍ القهقرى، فشبّه الليلَ في طوله بالمتقاعس. والذي يَهدي النجومَ أوّلها، شبهها بهواديها. وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدرها ولا يَمُنُّها.

وممّا يُغنّى فيه من هذه القصيدة:

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مَثنَويّةٍ ... ولا عِلمَ إلّا حسنَ ظنّي بصاحبِ
لئن كان للقبرَينِ قبرٍ بِجِلّقٍ[1] ... وقبرٍ بصَيداء الذي عنـد حارب
وللحارثِ[2] الجفنيِّ سيّدِ قومـه ... لَيَلْتمِسَنْ بالجيش دارَ المحـارب

— غنّاه اسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانةَ عنه ومن رواية حَبَش. وغنّاه ابن سُريج ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر. يقول: ليس لي علمٌ بما يكون من صاحبي إلّا أني أحسن الظنّ به. وقوله «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَين في هذين القبرين، يعني قبر أبيـه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج، ليَلتمِسَنّ جيشُه دارَ المحارب له؛ يحرّضه بذلك ويُروى «أرضَ المحارب» —

---

(١) جلّق: موضع بالشام. وحارب: موضع.

(٢) الحارث الجفني: هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني.

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فُلولٌ(١) من قِراع الكتائبِ
إذا استُنزِلوا عنهنَّ للطعن أرقَلوا ... الى الموت إرقال الجمال المَصاعِبِ

صوت

لهم شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهم ... من الناس والأحلامُ غيرُ عَوازبِ
على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوابسٍ ... بهنَّ كلومٌ بينَ دامٍ وجالبِ
ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم ... بهن فلولٌ من قِراع الكتائب
اذا استُنزِلوا عنهنَّ للطعن أرقَلوا ... الى الموت إرقالَ الجمال المصاعب
حَبوتُ بها غسَّانَ اذ كنتُ لاحقاً ... بقومي وإذ أعيتْ عليَّ مَذاهبي

وجدت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً الى مَعبَد من خفيف الرمل بالوسطى. وأحسبه من لحن يحيى المكيّ. الشِيمة: الطبيعة، وجمعها شِيَمٌ. غيرِ عوازب أي لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ عنهم. وعارفات للطعان أي صابرات عليه قد عُوّدت أن يُحارَب عليها. وعوابس كوالح. وجالب أي عليه جُلبة وهي قِشرة تكون على الجرح؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجلُب جلوباً وأجلب إجلابا. والإرقال: مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ. والمصاعب واحدها مُصعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمَسّه الحبل وإنما يُقتَنى للفِحلة، ويقال له قَرمٌ ومُقرَمٌ. وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة. وروى أبو عُبيدة «اذ كنت لاحقاً بقومٍ» وقال: يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين، فكنتم أحقَّ بالمدح منهم.

قالوا: فنظر الى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال:

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه ... مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ

---

(١) فلول: ثلوم. والقراع: المجالدة. والكتيبة: الجيش أو القطعة منه.

للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ ـأصغرِ والأعرجِ خيرِ الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد أسرع في الخيراتِ منه إمام
خمسةُ آباء وهُمْ ما هُمُ هُمْ خيرُ من يشرب صوبَ الغمام

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا هارون ابن عبد الله الزُّبَيريّ قال حدثنا شيخ يُكنى أبا داود عن الشعبيّ قال :

دخلت على عبد الملك بن مَروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَراحيل الشَّعبيّ . فقال : على علمٍ ما أذِنَّا لك . فقلت في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطلَ : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خُذها ثِنتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول :

هـذا غلامٌ حسن وجهه مُستَقبل الخيرِ سريع التمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الـ ـأصغرِ والأعرج خير الأنام
خمسةُ آباء وهُمْ مـا هُمُ هم خير من يشرب ماء الغمام

— والشعر للنابغة — فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حَرِيًّا أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنه أخطأ ثلاث مرات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أحد ، ووجدته أتمّ مما رأيتُ في كل موضع ، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصِّ خبر النابغة لأنه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال :

كتب عبدُ الملك الى الحجّاج : إنه ليس شيءٌ من لَذّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يكن عندي شيء ألذّه إلا مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَلَك عامرٌ الشّعبيّ ، فابعَث به إليّ يحدّثني . فدعا الحجّاجُ الشعبيَّ فجهزه وبعث به اليه وقرّظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبيّ ، حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذِن لي . قال : مَن أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبيّ . قال حيّاك الله ! ثم نهض فأجلسني على كرسيه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخُل يرحمك الله . فدخلت ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللّحية على كرسيّ ، فسلّمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : وَيحك ! مَن أشعرُ الناس ؟ قال ، أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبيّ : فأظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلتُ : ومَن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟ ! — قال : فعجِب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي — قال : هذا الأخطل . فقلت : يا أخطل ! أشعرُ واللهِ منك الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُــه مستقبِلُ الخــير سريع التّمامْ
للحارث الأكبر والحارث الــأصغر والأعرج خيرِ الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ فقــد أسرع في الخيرات منه إمام
خمسة آباء وهُمْ مــا همُ هُم خير من يشرب صوبَ الغمام

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ . قال فقال : صدق والله يا أمير المؤمنين ، النابغةُ والله أشعرُ منّي . فقال الشعبيّ : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنت يا شعبيّ ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضعَ مَعاذيري لِما كان من خِلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ فقال : مَه(١) ! إنّا لا نحتاج الى هذا المنطق

(١) مه : اسم فعل بمعنى اكفف .

ولا تراه منّاً في قول ولا فعل حتى تُفارقنا . ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غطفان فقال : يا معشر غطفان ، أيّ شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مَـذهبُ
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عني خِيـانةً لَمُبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذَب
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمّـه على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّب

قالوا : النابغةُ يا أمير المؤمنين . قال : فأيّكم الذي يقول :

فإنكَ كالليـل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ
خطاطيف حُجنٌ في حبالٍ متينةٍ تَمُدّ بها أيدٍ اليـك نوازع

قالوا : النابغةُ . قال : فأيّكم الذي يقول :

الى ابن مُحرِّقٍ أعملتُ نفسي وراحلتي وقد هَدتِ العيونُ
أتيتك عارياً خَلقاً ثِيـابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنون
فألفيتُ الأمانة لم تخُنها كذلـك كان نوحٌ لا يخون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطل فقال : أتُحِبّ أنّ لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنك قلتَه ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلّا أنّي وَدِدتُ أن كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا ، كان والله ما علمتُ مُغدَفَ القِناع قليل السّماع قصيرَ الذّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته :

إنّا مُحيّوكَ فاسلَمْ أيُّهـا الطَّلَلُ وإن بَليتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ[1]

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة وهي الدهر .

ليس الجديدُ به تبقى بَشاشتــه إلا قليلًا ولا ذو خُلَّـةٍ يصلُ
والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تَقرُّ به عينٌ ولا حالَ إلّا سوف تنتقل
إن تَرجعي من أبي عثمانَ مُنجِحةً[1] فقد يَهون على المستَنجِح العمل
والناسُ مَن يَلقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ولِأُمِّ المخطىءِ الهَبَل
قد يُدرِكُ المُتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

حتى أتى على آخرها . قال الشعبيّ : فقلت : قد قال القطاميّ أفضلَ من هذا . قال : وما قال ؟ قلت قال :

طرَقتْ جَنوبُ رحالَنا من مُطرقِ ما كنت أحسبها قريبَ المُعنَقِ
قطعتْ اليك بمثل جِيدِ جَدايةٍ[2] حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيـه مُطوَّق
ومُصرَّعين من الكَلال كأنما شَربوا[3] الغَبُوقَ من الرَّحيق المُعرَق
متوسِّدين ذراعَ[4] كلِّ نجيبـةٍ ومُفرَّجٍ عُرَقٍ المَقَذِ مُنوَّق
وجَثتْ[5] على رُكَبٍ تَهُدّ بها الصَّفا وعلى كلاكلَ كالنَّقيـل المُطرَق

---

(١) الخطاب لناقته . ومنجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٢) الجداية : الغزال . والتومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة .

(٣) الكلال : الإعياء والتعب . الغبوق : ما يشرب بالعشي ، وهو أيضاً الشرب بالعشي . والرحيق : من أسماء الخمر . والمعرق : القليل الماء .

(٤) النجيبة من الإبل : الكريمة . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقذ : ما خلف الأذن . وعرق : كثير العرق . وبعير منوّق : مذلل كأنه ناقة ، أو هو الذي قد اختير وتنوّق فيه .

(٥) جثا : جلس على ركبتيه : والصفا : جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم . والكلاكل : الصدور ، واحدها كلكل . والنقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .

وإذا سمِعنَ الى هَماهِمِ[1] رُفقةٍ ومن النجوم غوابِرٌ[2] لم تخفِقِ
جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُها طَرَباً بهنَّ الى حُداء السُّوَّق
كالمُنصِتاتِ الى الغناء سمِعنَه من رائع لقلوبهن مُشَوِّق
وإذا نظرنَ الى الطريق رأينه لَهِقاً[3] كشاكلة الحصان الأبلق
وإذا تخلّف بعدهنّ لحاجةٍ حادٍ يُشَسِّع نَعلَه[4] لم يَلحَق
وإذا يصيبك والحوادثُ جَمّةٌ حَدَثٌ حداك الى أخيكَ الأوثق
لَئن الهمومُ عن الفؤاد تفرّقت وخلا التكلّمُ لِلّسان المُطلَق

قال : فقال عبد الملك : هذا واللهِ أشعرُ ، ثَكِلَتِ القَطاميّ أُمّه ! قال : فالتفت إليّ الأخطل فقال : يا شعبيّ ، إن لك فنوناً في الأحاديث ، وإنما لنا فنٌّ واحد ؛ فإن رأيت ألّا تحملني على أكتاف قومك فأدَعَهم حَرَضاً[5] ! فقلت : لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأقلني في هذه المرّة . قال : مَن يتكفّل بك ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليّ ألّا يعرض لك أبداً ، ثم قال : يا شعبيّ ، أيّ نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : خنساء . قال . ولِمَ فضّلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فات خَطوَها لِتُدركه يا لهفَ نفسي على صَخرِ

---

(١) الهماهم : جمع همهمة وهي الكلام الخفي أو ترديد الصوت في الصدر .

(٢) غوابر : بواق . تخفق : تغيب .

(٣) اللهق (بكسر الهاء وفتحها) : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذي ارتفع تحجيله الى فخذيه .

(٤) شسع نعله (بالتشديد) : جعل لها شسعاً . والشسع (بالكسر) : أحد سيور النعل ، وهو الذي يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل .

(٥) الحرض : الرديء من الناس .

ألا ثَكِلتْ أمُّ الذين غَدَوْا بـه ... الى القبر ! ماذا يحملون الى القبرِ

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التي تقول[1] :

مُهَفْهَفُ[2] الكَشحِ والسربالِ منخرقٌ ... عنه القميصُ لسيرِ الليـل محتقرُ
لا يأمَنُ الناسُ مُمساه ومُصبَحَه ... في كلِّ فجٍ وإن لم يَغزُ يُنتظَر

ثم قال : يا شعبيّ ، لعلّك شَقّ عليك ما سمعتَ . قلت : إي والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة . إني أحدثك منذ شهرين لم أُفِدك إلا أبيات النابغة في الغـلام . قال : يا شعبيّ ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبياتَ أبياتَ ليلى حتى حفظتها ، ولم أزل عنده ؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخرَ خارج . قال : فكنتُ كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء ، وعشرين رجلًا من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين ؛ فبعثني الى أخيه عبد العزيز بن مَروان بمصر وكتب اليـه : يا أخي ، إني قد بعثت اليك الشعبيّ ، فأنظر هل رأيتَ مثله قطُّ ؟ ! ثم أذِن لي فأنصرفت .

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان :

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبـد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبَّة عن أبي بـكر الهُذَليّ قال :

---

(١) هي ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلي .

(٢) مهفهف الكشح : ضامره . وهفهفة السربال : رقته وخفته . ومنخرق عنه القميص أي « لا يبالي كيف كانت ثيابه لأنه لا يزين نفسه ، انما يزين حسبه وبصون كرمه » .

قال حسّان بن ثابت : قَدِمت على النعمان بن المُنذِر وقد امتدحته ، فأتيت حاجبه عِصامَ بن شَهبرٍ فجلستُ اليه ؛ فقال : إني لأرى عربياً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكُن قحطانياً . فقلت : فأنا قحطانيّ . قال : فكن يثربياً . قلتُ : فأنا يثربيّ . قال : فكن خزرجياً . قلت : فأنا خزرجيّ . قال : فكن حسّان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجئتَ بمدحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فإني أرشدك : اذا دخلتَ اليه فإنه يسألك عن جَبلة بن الأيهم ويسُبّه ، فإياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمِرَّ ذكره إمراراً لا تُوافق فيه ولا تُخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيّها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ! وإن دعاك الى الطعام فلا تُؤاكِله ؛ فإن أقسم عليك فأَصِب منه اليسيرَ إصابةَ بارّ قسمه مُتشرِّفٍ بمؤاكلته لا أكلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِل محادثته ، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامة في مجلسه . فقلت : أحسنَ اللهُ رِفدَك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لي : ادخُل . فدخلتُ فسلّمت وحيّيتُ تحيّة الملوك . فجاراني من أمر جبلة ما قاله عِصامٌ كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنته في الإنشاد فأذِن لي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصامٌ به ، وبالشراب ففعلتُ مثل ذلك . فأمر لي بجائزة سنيّة وخرجت . فقال لي عصام : بَقِيَتْ عليّ واحدةٌ لم أوصِك بها ؛ قد بلغني أن النابغة الذُّبيانيّ قدِم عليه ، واذا قدم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فاستأذِن حينئذٍ وانصرف مُكرَّماً خير من أن تنصرف مجفُوّاً ؛ فأقمتُ ببابه شهراً : ثم قدِم عليه الفَزاريّان وكان بينهما وبين النعمان دُخلُلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدَمٍ ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما . ودسّ النابغةُ قَينةً تغنّيه بشعره :

يا دار مَيّةَ بالعَلياء فالسَّنَد

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنه لشعر النابغة ! فسأل عنه فأُخبِر أنه مع الفَزاريّين ؛ فكلّماه فيه فأمّنه .

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره : لمّا صار معها الى النعمان كان يُرسل اليها بطيب وألطاف مع قَينة من إمائه ، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلها. فذكرتْ ذلك للنعمان ، فعلم أنه النابغة . ثم ألقى عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به اذا أخذت فيه الخمرُ ؛ ففعلت فأطربته ؛ فقال : هذا شعر عُلويٍّ[١] ، هذا شعر النابغة ! قال : ثم خرج في غِبِّ سماء ، فعارضه الفزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنّاء فقَنَأ[٢] خِضابُه . فلما رآه النعمان قال : هي بدَمٍ كانت أحرى أن تُخضَب . فقال الفزاريّان : أبيتَ اللعنَ ! لا تثريب[٣] ، قد أجرناه ، والعفوُ أجمل . فأمّنه واستنشده أشعارَه . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدري على أيّتهن كنتُ له أشدَّ حسداً : على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه اليه ، أم جَودة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره[٤] أمر له بها .

قال أبو عُبَيدة : قيل لأبي عمرو : أفمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لمخافته فعل ، إن كان لآمناً من أن يوجّه النعمانُ له جيشاً ، وما كانت عشيرتُه لتُسلمه لأوّل وهلة ، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغةُ يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه ، لا يستعمل غير ذلك .

رجوعه الى النعمان حين بلغه أنه عليل :

وقيل : إن السبب في رجوعه الى النعمان بعد هرَبه منه أنه بلغه أنه عليلٌ لا

---

(١) علوي : نسبة الى العالية على غير القياس ، وهي ما فوق نجد الى أرض تهامة الى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

(٢) قنوء الخضاب : اشتداد حمرته .

(٣) التثريب : اللوم والتعبير بالذنب والتذكير به .

(٤) العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار اليه وألفاه محمولًا على سريره يُنقَل ما بين الغَمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شَهبرٍ حاجبه — فيما أخبرنا به اليزيديّ عن عمّه عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل — :

صوت

ألم أقسِمْ عليك لَتُخْبِرَنّي أمحمولٌ على النَّعشِ الُهمامُ
فإنّي لا أَلومُك في دخولي ولكن ما وراءَكَ يا عِصام
فإن يَهلِكْ أبو قابوسَ[١] يَهلِكْ ربيعُ الناس والشهرُ الحرام
ونُمسِكْ[٢] بعده بذِنابِ عيشٍ أَجَبِّ الظهر ليس له سَنام

غنّاه حُنَين ثقيلًا أوّل بالبنصر عن حبَش .

قال أبو عُبَيدة : كانت ملوك العرب اذا مرض أحدهم حملتْه الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

وقوله :

فإني لا ألومُك في دخولي

أي لا ألومك في ترك الإذن لي في الدخول ، ولكن أخبِرني بكُنْه أمره . وقوله :

ربيع الناس والشهر الحرامُ

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر .

(٢) ويروى : وذناب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأجبّ الظهر : مقطوع السنان .

يريد أنه كالربيع في الخصب لمجتديه، وكالشهر الحرام لجاره، لا يُوصَل الى من أجاره كما لا يوصَل في الشهر الحرام الى أحد .

صوت

رأيتُك تَرعاني(١) بعينٍ بصيرةٍ   وتبعث حُرّاساً عليّ وناظرا
فآليتُ(٢) لا آتيك إن كنتُ مُجرماً   ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا
وأهلي فداءٌ لامرئٍ إن أتيتُه   تقبّل معروفي وسدّ المفاقِرا
ألا أبلغِ النعمان حيث لقيتَه   وأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيد الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَش .

وممّا يُغَنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها الى النعمان :

صوت

يا دارَ مَيّةَ بالعلياء فالسّنَدِ   أقوَتْ وطال عليها سالفُ الأمَدِ
وقفتُ فيها أُصيلاناً أسائلها   أعيَتْ جواباً وما بالرَّبع من أحد
إلّا الأواريّ لأياً ما أُبيّنُها   والنُّؤيُ كالحوض بالمظلومة الجَلَد
ردّتْ عليه أقاصيه ولبّده   ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسحاةِ في الثّأد
خلّتْ سبيلَ أتيٍّ كان يحبسه   ورفّعته الى السِّجفَين فالنَّضَد
أضحتْ خلاءً وأضحى أهلُها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد

(١) ترعاني : تحرسني وتحفظني .

(٢) آليت : أقسمت . ومجرماً : مذنباً .

الغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيه لجميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وجحش .

قال الأصمعيّ : قوله « يا دار ميّة » يريد يأهلَ دار ميّة، كما قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطّللُ البالي

يريد أهلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنما نادى الدار لا أهلها أسفاً عليها وتشوّقاً الى أهلها وتمنّيه أن تكون أهلاً . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلَا يَعلو وعليَ يَعلى ، مثلُ حَلَا يَحلو وحَليَ يَحلى ، وسَلَا يَسلو وسَليَ يَسلى . والسَّنَد : سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه أي يُصعَد . أقوتْ : أقفرت وخَلَتْ من أهلها . وقال أبو عُبيدة في قوله يا دار ميّة ثم قال أقوَت ولم يقل أقوَيتِ : إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكفّوا عنه . وروى الأصمعيّ « أُصيلاناً » وهو تصغير أصلان . ويُروى « عَيَّتْ جواباً » أي عَييت بالجواب . والأواريّ : جمع آريّ[1] . ولأياً : بُطأً . والمظلومة : التي لم يكن فيها أثرٌ لحفر أهلها فيها حوضاً ؛ وظُلمُهم إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤيَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد : الارض الصُّلبة الغليظة من غير حجارة . وإنما جعلها جَلَداً لأنّ الحفر فيها لا يسهُل . وقوله « ردّتْ عليه أقاصيه » يعني أَمةً فعلتْ ذلك ، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر . وأقاصيه : يعني أقاصي النُّؤيِ على أدناه ليرتفع . ولبّده : طأمنه[2] . والوليدة : الأَمَةُ الشابّة . والثَّأد : النَّدى . والسبيل : الطريق . والأَتيّ : النهر المحفور ، والأَتيّ : السيل من حيث كان . يقول : لمّا أفسدتْ طريقُ الأَتيّ سهّلت له طريقاً حتى جرى . ورفّعته أي قدّمت الحفر الى موضع السَّجفين ، وليس رفّعته ها هنا من ارتفاع العُلوّ . والسَّجفان : سِتران رقيقان يكونان في مقدّم البيت . والنَّضَد : ما نُضِد من المَتاع . وأخنى :

(١) الآريّ : الآخية التي تشدّ بها الدابة .

(٢) طأمنه : خفضه وسكنه .

أفسد . ولُبَد : آخر نسور لُقمان التي اختار أن يُعَمَّر مثلَ أعمارها ؛ وله حديث ليس هذا موضعه .

صوت

أسرَتْ عليه من الجوزاء ساريةٌ تُزجي الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ[1]
فارتاعَ من صوتِ كَلّابٍ فباتَ له طَوعُ الشَّوامتِ من خوفٍ ومن صَرَدِ
فبَثَّهُنّ[2] عليه واستمرَّ به صُمعُ الكُعوبِ بَريئاتٍ من الحَرَدِ
وكان ضُمرانُ[3] منه حيثُ يُوزِعُهُ طَعنَ المُعارِكِ عند المُحجَرِ النَّجُدِ
شكَّ الفَريصةَ بالمِدرَى فأنفذَها طَعنَ المُبَيطِرِ إذ يَشفي من العَضَدِ

غنّى فيه ابراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ . وفيه لحن لمالك . يعني أن سحابةً مرّت عليه ليلا وأن أنواء الجوزاء أسرَت عليه بها . وتُزجي : تسوق وتدفع . عليه أي على الثور . والكلّاب : صاحب الكلاب . وقوله « بات له طَوعُ الشوامت » أي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ اللّواتي شَمِتنَ به . وصُمعُ الكعوب : يعني قوائمه أنها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأصلُ الصَّمع رقّة الشيء ولطافته . والحَرَدُ[4] : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أحرَدُ ، وناقةٌ حَرداء . والمُحجَرُ : المُلجأ . والنَّجُدُ : الشجاع . والفريصةُ : مَرجع الكتِف الى الخاصرة . والمِدرَى : القرن . والمُبَيطِر . البَيطار . والعَضَدُ : داء يأخذ في العَضُد .

---

(١) البرد : حب الغمام .

(٢) بثهن : فرقهن . وفاعل « استمر » « صمع الكعوب » أي مضت به كعوبه الصمع . يريد أنه جدّ وأسرع .

(٣) ضمران : اسم كلب . ويوزعه : يغريه . والمعارك : المقاتل . يريد أنه لما دنا الكلب من الثور طعنه الثور فنشب في قرنه .

(٤) الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربما كان خلقة .

وفي لحن ابراهيم الموصليّ بعدَ « فأرتاع من صوت كَلَّابٍ » :

كأنّ رَحلي وقد زال النهارُ بنا يومَ الجليلِ على مُستأنسٍ[1] وَحدِ
مِن وَحشِ وَجرةَ مَوشيٍّ أكارعُه طاوي المَصيرِ كسَيفِ الصَّيقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعيّ : زال النهارُ بنا أي انتصف . و « بنا » ها هنا في موضع « علينا » . ومَن روى « مُستَوجِس » فإنه يعني أنه قد أوجس شيئاً خافه فهو يَستَوجِس. والجليل : الثُّمام ، واحدته جَليلةٌ . ووَجرة : طَرَفُ التيّ ِ وهي فلاة بين مرّان وذات عِرق وهي ستون مِيلاً يجتمع فيها الوحش . ومَوشيّ أكارعُه أي إنه أبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفعةٌ[2] . وطاوي المَصير : ضامر . والمَصير المِعى ، وجمعه المُصران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّـة قال حدثني اسحاق بن ابراهيم الموصليّ قال :

غنّى مُخارقٌ يوماً بين يدي الرشيد :

سرت عليه من الجوزاء ساريةٌ

فلمّا بلغ الى قوله :

فأرتاعَ من صوت كَلَّابٍ فبات له

قال : فأرتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنّ أني حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطه . فالتفت اليه بعضُ مَن حضر — أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ — فقال له : ويلك يا مُخارق ! أتغنّي

---

(١) الاستئناس : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس .

(٢) السفعة : السواد أو هي سواد مشرب حمرة .

بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ فضلًا عن الملوك! ويلك! لو قلتَ: «فارتاعَ» كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ». فخجل مُخارق، وكُفِيتُ ما أردته بغيري. قال: وكان مخارق لحّانًا

ومنها:

صوت

قالت ألا ليتما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا ونِصفُه فَقَدِ
يَحُفُّه جانبا نِيقٍ وتُتبِعُه مثلَ الزُّجاجة لم تُكحَلْ من الرَّمَد
فحسَبوه فألفَوْه كما حَسِبتْ تسعاً وتسعين لم تنقُص ولم تَزِد
فكملتْ مائةً فيها حمامتُها وأسرعتْ حِسبةً في ذلك العدد

غنّاه ابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ عن الهشاميّ. هذا خبرٌ روي عن زَرقاء اليمامة[1]، ويُروى عن بنت الخُسّ[2].

أخذ معنى لزرقاء اليمامة:

حدثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت:

ليت الحمامَ ليَهْ ونِصفَه قَدِيَهْ[3]
إلى حمامتيَهْ تمَّ الحمامُ مِيَه

(١) زرقاء اليمامة: امرأة من بقايا طسم وجديس كانت حديدة النظر وكانوا يزعمون أنها تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

(٢) بنت الخسّ: امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة، اسمها هند.

(٣) قديه: حسبي.

فسلَخه النابغه . وقال الأصمعيّ : سمعت أُناساً من أَهل البادية يتحدّثون أن بنت الُخسّ كانت قاعدةً في جَوارٍ ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضيقٍ من الجبل ، فقالت :

يا ليتَ ذا القطا لِيَهْ ومثلَ نِصفِ مَعِيَهْ
الى قَطاةِ أهليَـه إذاً لنا قَطاً مِيَـه

وأتبعت فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستون . وقوله : « فَقَدْ » أي فحَسبُ . ويَحُفّه أي يكون من ناحية هذا الثَّمَد ؛ يقال : حَفّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيق : الجبل . ومثل الزجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة . الحِسبة : الهيئة التي تُحسَب ؛ يقال : ما أَحسَنَ حِسبتَه ، مثل الجِلسة واللِّبسة والرِّكبة .

ومنها :

صوت

نُبِّئْتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدني ولا قَرارَ على زَأرٍ من الأسدِ
مَهلًا فِداءٌ لك الأقوامُ كلُّهمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولد
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغتَ مُعتَمِداً إذاً فلا رفعتْ سَوطي إليّ يدي
هذا الثناء فإن تَسمَع به حَسَناً فلم أُعرِّضْ أَبيتَ اللَّعن بالصَّفَد

غنّاه الُهذَليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ . أُثمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأرُ : صياح الأسد ؛ يقال : زأر زئيراً وهو الزَّأر . والصَّفَد : العطيّة ؛ يقال : أصفده يُصفِده إصفاداً اذا أعطاه ، وصَفَده يَصفِده صَفداً اذا أوثقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنـا عمر بن شبَّة قال حدثني الصَّلت بن مسعود قال حدثنا أحمد بن شَبُّوَيهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله ابن المبارَك عن فُلَيح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت ، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيثمة عن أبيه عن مُصعَب الزبيريّ قال قال حسّان بن ثابت ،

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثني عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل ابن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسّان بن ثابت – وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ – قال: خرجتُ الى النعمان بن المنذر، فلقِيت رجلًا – وقال اليزيديّ في خبره: فلقيتُ صائغاً من أهل فَدَك – فلمّا رآني قال: كن يَثْرَبِيّاً؛ فقلت: الأمر كذلك. قال: كن خَزرجيّاً؛ قلت: أنا خزرجيّ. قال: كن نَجّاريّاً؛ قلت: أنا نجّاريّ. قال: كن حسّان بن ثابت؛ قلت: أنا هو. فقال: أين تريد؟ قلت: الى هذا الملك. قال: تريد أن أُسدِّدك الى أين تذهب ومَن تريد؟ قلت نعم. قال: إن لي بــه علماً وخُبراً. قلت: فأعلمني ذلك. قال: فإنك اذا جئتَه متروكٌ شهراً قبل أن يُرسل اليك ثم عسى أن يسأل عنكَ رأسَ الشهر، ثم إنك متروكٌ آخَرَ بعد المسألة ثم عسى أن يُؤذَنَ لك. فإن أنت خلوتَ به وأعجبتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً؛ فأَقِمْ ما أقمتَ، فإن رأيت أبا أمامة فاَظعَنْ، فلا شيء لك عنده. قال: فقدِمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أذِن لي وأصبتُ منه مالًا كثيراً ونادمتُه وأكلت معه. فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قُبَّة له اذا رجلٌ يرتجز حولها:

أَصَمُّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ ... يا أوهبَ الناس لِعَنسٍ[1] صُلبَهْ
ضَرّابــةٍ بالمِشفَرِ الأَذِبَّهْ[2] ... ذاتِ هِبابٍ[3] في يديها جُلبه
في لاحِبٍ[4] كأنه الأَطِبَّه

– وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُذْبة» أي طول واضطراب. والأَطِبَّه: جمع طِباب وهو الشِراك يجمع فيه بين الأَديمَين في الخَرْز. وقال عمر بن شَبَّة في خبره:

---

(١) العنس: الناقة القوية. والعيس من الإبل: التي تضرب الى الصفرة او هي البيض مع شقرة يسيرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء.

(٢) الأذبة: جمع قلة لذباب.

(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

(٤) اللاحب: الطريق الواضح.

قال فُليح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأب – قال فقال : أليس بأبي أمامة؟ قالوا بلى . قال : فأذَنوا له . ودخل فحيّاه وشرب معه . ثم وردت النَّعم السُّودُ ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعرَف مكانُه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأذِن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها :

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ   اذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكلبيَّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها ، فقال : شأنَك بها يا أبا أمامة ، فهي لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ ، وما أدري أيّما كنتُ أحسَدَ له عليه : أَلِمَا أسمع من فضل شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جراميزي وركبت الى بلادي . وقد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسّان قدِم على جبلة بن أبي شَمِر ؛ ولعله غلط . أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي اسماعيل عن الواقديّ عن محمد بن صالح قال :

كان حسّان بن ثابت يقدَم على جبَلة بن الأيهم سنةً ويُقيم سنةً في أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي ، وهو أبذل الناس لمعروف ، وقد يئس مني أن أقدَم عليه لِما يعرف من انقطاعي الى جبلة . فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمت على الحارث وقد هيّأت مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إن الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدَعُك حتى تذكرَ جبلة . فإيّاك أن تقع فيه فإنه يختبرك ؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زهد فيك ، وإن ذكرتَ محاسِنَه ثقُل عليه ، فلا تبتدئ بذكره ؛ فإن سألك عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسَح ذِكرَه مسحاً وجاوزه . وإنه سوف يدعوك الى الطعام وهو يثقُل عليه أن يُؤكَلَ طعامُه أو يُشرَبَ شرابُه ، فلا تَضَع يدك في شيء حتى يدعوك اليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكل ذلك أخبره ،

حتى انتهى الى ذكر جَبلة فقال: كيف تجدُ جبلة، فقد انقطعتَ اليه وتركتنا؟ فقلت له: إنما جبلة منك وأنت منه؛ فلم أجرِ معه في مدح ولا ذمّ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنسُ به، وهو قبيح أن يجفوك بعد البرّ، فاستأذِنه من الآن فهو أحسن. فاستأذنتُه فأذِن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكساً وحُملان[1]، فقبضتها وانصرفتُ الى أهلي.

صوت

ملوكٌ وإخوانٌ اذا ما لَقيتُهمْ أحكَّمُ في أموالهم وأقرَّبُ
ولكنّني كنت امرأً ليَ جانبٌ من الأرض فيه مُستَرادٌ ومطلب

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل. الجانب هنا: المتَّسَع من الأرض. والمُستراد: المختَلَف يذهب فيه ويجيء؛ ويقال: رادَ الرجلُ لأهله اذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه. ثم ذكر مستراده فقال: «ملوكٌ وإخوان».

ومن القصيدة العينيَّة:

صوت

عفا ذو حُساً من فَرتَنا فالفوارعُ فجنبا أريكٍ فالتِّلاعُ الدوافعُ[2]
فمُجتَمَعُ الأشراجِ غيّرَ رسمها مَصايفُ مرّت بعدنا ومَرابعُ[3]

(١) الحملان: دواب الحمل في الهبة خاصة.

(٢) عفا: درس ومحى. وذو حسا وأريك: موضعان. وفرتنا: اسم امرأة. والفوارع: تلال مشرفات المسايل. والتلاع. جمع تلعة، وهي هنا: مجرى الماء من أعلى الوادي الى بطون الأرض. والدوافع: التي تدفع بالماء الى الوادي.

(٣) الأشراج: جمع شرج وهو مجرى الماء من الحرار الى السهولة. والمصايف: جمع مصيف من الصيف.

توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها لستَّة أعوامٍ وذا العامُ سابع
رَمادٌ ككُحل العين ما إن أُبينُه ونُؤيٌ كجِذْم الحوض أثلمُ خاشع

غنّاه مَعبَدٌ من رواية حَبَش رملًا بالبنصر .

صوت

آذنتْنا ببينها أسماء رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء
بعد عَهدٍ لها ببُرْقة شَمَّا ء فأدنى ديارِها الخَلصاء

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبَينُ : الفرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثَوى ثَواء . والبُرقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمَّاء والخَلصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِزَةَ اليشكُريّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس من ينسبُه الى حُنَين .

اخبار الحارث بن حلزة ونسبه

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سَعد بن جُشَمَ بن عاصم بن ذُبيان بن كنانة بن يَشكُرَ بنَ بَكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعميِّ بن جَديلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزار .

السبب في قول قصيدته المعلقة :

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ : كان من خبر هذه القصيدة والسببِ الذي دعا الحارث الى قولها أنّ عمرو بن هِند الملك ، وكان جبّاراً عظيمَ الشأن والمُلك ، لمّا جمع بَكراً وتَغلِبَ ابني وائل وأصلح بينهم ، أخذ من الحَيَّين رُهناً من كلّ حيٍ مائةَ غلام ليكفّ بعضهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُّهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه ؛ فأصابتهم سَمومٌ في بعض مَسيرهم فهلَك عامّة التَّغلبيّين وسلِم البَكريّون . فقالت تَغلِب لبكر : أعطونا دِياتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تَغلِبُ الى عمرو بن كُلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو بن كلثوم لتغلب : بمن ترون بكراً تَعصِب أمرَها اليوم ؟ قالوا : بمن عسى إلّا برجل من أولاد ثَعلبة . قال عمرو : أرى والله الأمرَ سينجلي عن أحمر أصلَجَ أصمّ من بني يَشكُر . فجاءت بكرٌ بالنعمان بن هَرِمٍ أحد بني ثَعلبة بن غَنم بن يَشكُر ، وجاءت تَغلِب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمّ ! جاءت بك أولاد ثَعلبة تُناضل عنهم وهم يفخرون عليك ! فقال النعمان : وعلى مَن أظلّت السماء كلّها يفخرون ثم لا يُنكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أما والله لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها . فقال له النعمان : والله لو فعلتَ ما أفلَتّ بها قَيسَ أيرِ أبيك . فغضب عمرو بن هند وكان

يؤثر بني تَغلِب على بكر ، فقال : يا جارية أعطيه لَحياً بلسان أنثى (أي سبّيه بلسانك) . فقال أيها الملك أعطِ ذلك أحبّ أهلك اليك . فقال : يا نعمان أيسرُّك أنّي أبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنّك أمي . فغضِب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همّ بالنعمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً ، توكّأ على قوسه وأنشدها وانتظم[1] كفّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبيّ : أنشد الحارثُ عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وَضَح[2] ، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحاً ؛ فأمر أن يُجعَل بينه وبينه سِتر . فلمّا تكلّم أُعجِب بمنطقه ؛ فلم يزل عمرو يقول : أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه به . هذه رواية أبي عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حيّ وأصلح بينهم بذي المجاز[3] ، وذكر أنّ الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا . وقال في خبره : إنّ الحارث بن حلّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته :

قِفي قبل التفرّق يا ظَعينا

وغيرُ الأصمعيّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بَكر وتَغلب عند المنذر بن ماء السماء ، وكان قد شرَط : أيُّ رجلٍ وُجِد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه ، وإن وُجد بين محلّتين قِيسَ ما بينهما فيُنظَر أقربُهما اليه فتضمن ذلك القتيل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قَيس بن شَراحيل بن مُرّة بن همّام . ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّين أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم الى مكة ؛

(١) وانتظم هنا : طعن . يريد : وجرح كفه .

(٢) الوضح هنا : البرص .

(٣) ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .

فشرَط بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدّماء. وبعث المنذرُ معهم رجلًا من بني تيم يقال له الغَلّاق. وفي ذلك يقول الحارث بن حِلّزة:

فهَلّا سَعيتَ لصُلح الصَّديقِ كصُلح ابن مارِيةَ الأقصم[١]
وقيسٌ تدارَكَ بَكرَ العِراقِ وتَغلِبَ من شرِّها الأعظم
وبيتُ شَراحيلَ في وائلٍ مكانَ الثُّريّا من الأنجم
فأصلَحَ ما أفسدوا بينهم كذلك فِعلُ الفتى الأكرم

— ابن مارية هو قيس بن شَراحيل. ومارية أمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند —. فلبثوا كذلك ما شاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهناً بأحداثهم؛ فتى التوى أحد منهم بحقّ صاحبه أقاد من الرُّهن. فسرّح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب الى جبل طَيّئ في أمر من أمره، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيبان وتَيم اللات. فذكروا أنهم أجلَوهم عن الماء وحملوهم على المَفازة، فمات القومُ عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوه على بكر، وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الُحرمة وسَفكتم الدّماء. وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك، قذفتمونا بالعضيهة[٢] وسمّعتم الناسَ بها، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطل علينا. قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلّوا! ويصدّق ذلك قولُ الحارث بن حلّزة:

لم يَغُرُّكُمْ غُروراً ولكن يرفَعُ الآلُ[٣] جِرمَهم والضَّحاء

(١) الأقصم: المكسور الثنية من النصف.

(٢) العضيهة: الإفك والبهتان والقالة القبيحة.

(٣) والآل: السراب، وهو ما يرى كالملاء نهاراً بين السماء والأرض يرفع الشخوص. والضحاء: ارتفاع النهار.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يُلَم . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند ؛ فمن ذلك قوله :

أعلينا جُناحُ كِندةَ أن يغـــنَمَ غـازيهمُ ومِنّا الجزاء

قال : وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك ، فبعث اليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقُتِلوا ولم يُدرَكوا بثأرهم ؛ فعيّرهم بذلك . هكذا ذكر الأصمعيّ . وذكر غيره أن كندةَ غزَتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت ، فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأراً . قال : وهكذا البيت الذي يليه وهو :

أم علينا جَرّى[١] قُضاعةَ أم ليـــس علينـا فيما جَنَوْا أنداء

فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعلَ كندة ، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً . قال : وقوله :

أم علينا جَرّى حَنيفةَ أم ما جَمّعتْ من مُحارِبٍ غَبراء

قال : وكانت حَنيفة مخالفةً لتغلبَ على بكر ، فأذكر الحارثُ عمروَ بن هند بهذا البيت قَتلَ شِمر بن عمرو الحنفيّ أحدِ بني سُحَيم المنذرَ بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جبلة الغسّاني ، وبعث الحارثُ الى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن مُلكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَن المنذر الى ذلك وأقام الغلمانُ معه ، فاغتاله شِمر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَن كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره . فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة . قال وقوله :

(١) الجرى (وبمد) : الجناية .

وثمانون من تميمٍ بأيديـــهم رماحٌ صدورُهنّ القضاء

يعني عمراً أحدَ بني سعد بن زيد مناة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغلب يقال لهم بنو رِزاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطاع قريبةً من البحرَين ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يُدرَك منه بثأر . قال : وقوله :

ثمّ خيلٌ من بعد ذاك مع الغلّاق لا رأفةٌ ولا إبقاء

قال : الغَلّاق صاحب هجائن النُّعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر الى الطلب بثأره من غسّان ؛ فامتنعوا وقالوا : لا نُطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظنّ ابن هند أنّا له رِعاء ! فغضب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب ، فلما اجتمعتْ آلى ألا يغزوَ قبل تغلب أحداً ؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً ، ثم استعطفه مَن معه لهم واستوهبوه جريرَتهم ، فأمسك عن بقيّتهم ، وطُلّت[1] دماء القتلى . فذلك قول الحارث :

مَن أصابوا من تَغلبيّ فمطلو لٌ عليـه[2] إذا تولّى العفاء

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكرٍ عنده فقال :

مَن لنا عنـده من الخير آيا تٌ[3] ثلاثٌ في كلّهن القضاء

---

(١) طل دمه : أهدر ولم يثأر به .

(٢) عليه العفاء : دعاء . والعفاء هنا : الدروس والهلاك ؛ أي يبلى فيصير كالشيء الدارس .

(٣) الآيات : العلامات .

آيةٌ شارقُ[1] الشَّقيقـةِ إذ جا ءوا جميعاً لكل حيٍّ لِواء
حول قَيسٍ مُستلئمين[2] بكَبشٍ قَرَظيٍّ كأنه عَبـلاء
فرددناهُم[3] بضرب كما يَخـرُجُ من خُربة المَزادِ الماء
ثم حُجراً أعني ابن أمِّ قَطامٍ وله فارسيَّـةٌ[4] خضراء
أسدٌ في اللقـاء ذو أشبالٍ وربيعٌ إن شَنَّعت[6] غَبراء
فرددناهُمُ بطعـنٍ كما تُنـهَزُ[7] في جَمَّة الطويِّ الدِلاء
وفككنا غُلَّ امرئ القيس عنه بعـد ما طال حَبسه والعناء
وأقـدناه[8] رَبَّ غسَّان بالمُنـذرِ كَرهاً وما تُكال الدِّماء
وفديناهُمُ بتسعةِ أمـلا كٍ كرامٍ أسلابُهم[9] أغـلاء
ومع الجَونِ جَون آل بني الأوْ سِ عَنودٌ[10] كأنهـا دَفواء

(١) شارق : جاء من قبل المشرق .

(٢) المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع . والمراد بالكبش هنـا الرئيس . وقرظيّ : نسبة الى البلاد التي ينبت بها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .

(٣) الخربة هاهنا : عزلاء المزادة (القربة) وهي مسيل الماء منها .

(٤) فارسية : يريد كتيبة سلاحها من عمل فارس .

(٥) والورد الذي يضرب لونه الى الحمرة. والهموس: الختال الذي يخفى وطأه حتى يأخذ فريسته.

(٦) شنعت : جاءة بأمر شنيع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

(٧) نهز الدلاء : تحريكها لتمتلئ . والجمة : المكان الذي يجتمع فيه الماء ، والجمة : المـاء الكثير أو معظم الماء . والطويّ : البئر المطوية ، أي المبنية بالحجارة .

(٨) أقدت القاتل بالقتيل : قتلته به . ورب غسان : ملكها .

(٩) الاسلاب : جمع سلب وهو ما يكون مع القوم من ثياب وسلاح ودواب . وأغلاء: غالية .

(١٠) عنود : يريد هنا كتيبة . والدفواء : المائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها .

يعني بهذه الأيام أياماً كانت كلها لبكر مع المنذر ؛ فمنها يوم الشَّقيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعدِ يَكرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند ، فردّتهم بنو يَشكر وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى شيء من إبل عمرو بن هند . ومنها يومُ غزا حُجر الكِنديّ ، وهو حُجر بن أمّ قَطام ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ، لقِيه ومع حُجر جمعٌ كثير من كندة ، وكانت بكر مع امرئ القيس ، فخرجت الى حُجر فردّته وقتلت جنودَه . وقوله :

ففككنا غُلّ امرئ القيس عنه

وكانت غسّان أسرته يوم قَتل المنذرِ أبيه ، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوادي الشام فقتلوا ملِكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيسون . وقوله : « وفديناهُم بتسعة ... » يعني بني حُجر آكلِ المُرار . وكان المنذر وجّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجر ، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأتَوا المنذرَ بهم وهم تسعة ، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفر الأملاك . قال : والجَون جون آل بني الأوس : ملكٌ من ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن مَعدِ يَكرِب . وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خشناء ، فحاربته بكرٌ فهزموه ، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم الى المنذر فقتلهم .

قال : فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تَغلِبَ ؛ فتفرّقوا على هذه الحال . ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى همّ باستخدام أمّ عمرو بن كلثوم تعرّضاً لهم وإذلالاً ؛ فقتله عمرو بن كلثوم . وخبره يُذكر هناك .

قصيدة له دالية :

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدني النَّضر بن شُمَيل للحارث بن حلِّزة – وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دَرُّه ما أشعره – :

صوت

مَن حاكمٌ بيني وبين الدَّهر مالَ عليَّ عَمْدَا
أودَى بسادتنا وقد تركوا لنا حَلَقاً وجُرْدا[1]
خيلي وفارسُها وربِّ أبيكَ كان أعزَّ فَقدا
فلَو أنَّ ما يأوي إليَّ أصاب من ثَهلانَ[2] هدَّا
فَضَعي قِناعَكِ إنَّ رَيبَ الدَّهر قد أفنى مَعَدّا
فلَكم رأيتُ مَعاشراً قد جَمَّعوا مالاً ووُلْدا
وهُمُ زَبابٌ حائرٌ[3] لا تسمعُ الآذانُ رَعدا
فَعِشْ بجدٍّ[4] لا يَضِرْ كَ النُّوكُ ما لاقيتَ جَدّا
والعَيشُ خيرٌ في ظِلا لِ النُّوكِ ممن عاشَ كَدّا

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى لعبد الله بن العبَّاس الرَّبيعيّ ، ومن الناس من ينسبه الى بابويه .

---

(١) الحلق هنا : الدروع . والجرد : الخيل القصيرة الشعر ، واحدها أجرد .

(٢) ثهلان : جبل .

(٣) الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .

(٤) الجد : الحظ . والنوك : الحمق .

صوت

أَلا هُبّي[1] بصَحنِكِ فأَصبَحينا ولا تُبقي خُمورَ الأَندَرِينا
مُشَعشَعةً[2] كأَنَّ الحصَّ فيها إذا ما الماءُ خالطها سَخيناً[3]

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كلثوم التَّغلبيّ والغناء لإسحاق ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

---

(١) هبي : قومي من نومك . والصحن القدح الواسع الضخم . واصبحينا : اسقينا الصبوح وهو شراب الغداة . وأندرين : قرية كانت جنوبي حلب في طرف البرية وكانت من القرى الشهيرة بالخمر.

(٢) مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرقّ مزجها . والحص (بالضم) : الورس (نبت أصفر باليمن) أو هو الزعفران .

(٣) سخينا : حال من الماء .

نسب عمرو بن كلثوم وخبره

هو عمرو بن كُلثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعد بن زُهَير بن جُشَم بن بَكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغلِب بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزار بن مَعدّ بن عدنان. وأمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مُهَلهِل أخي كُلَيب، وأمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زُهير.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني العُكليّ عن العبّاس بن هِشام عن أبيه عن خِراش بن إسماعيل عن رجل من بني تَغلِب ثم من بني عتّاب قال: سمعت الأَخذَر – وكان نَسّابة – يقول:

لمّا تزوّج مُهلهلٌ بنتَ بعج بن عُتبة أهديتْ[١] اليه، فولدت له ليلى بنت مُهَلهِل. فقال مهلهل لامرأته هند: اقتُليها. فأمرت خادماً لها أن تُغيّبها عنها. فلمّا نام هتف به هاتفٌ يقول:

كم من فتًى يُؤَمَّلْ وسَيِّدٍ شَمَرْدَلْ[٢]
وعُدَّةٍ لا تُجهَلْ في بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال: يا هند أين بنتي؟ قالت: قتلتُها. قال: كلّا وإله ربيعة! – فكان أول من حلف بها – فأصدُقيني، فأخبرته. فقال: أحسِني غِذاءها.

(١) هدى العروس الى زوجها وأهداها: زفها اليه.

(٢) الشمردل: القوي الفتي الحسن الخلق.

فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عَتّاب. فلمّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنه أتاني آتٍ في المنام فقال:

يا لَكِ ليلى من وَلَدْ   يُقدِمُ إقدام الأسدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ   أقولُ قيلًا لافَنَدْ

فولدت غلاماً فسمّته عمراً. فلما أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه، فأشار الى الصبيّ وقال:

إنّي زعيمٌ لكِ أمَّ عَمرِو   بماجدِ الجدِّ كريمِ النَّجرِ [1]
أشجعَ من ذي لِبَدٍ [2] هِزَبْرِ   وَقّاصِ أقرانٍ [3] شديدِ الأسرِ [4]
يسودهم في خمسةٍ وعشر

قال الأخذَر: فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة.

قصة قتله لعمرو بن هند:

قال أبو عمرو حدثني أسدُ بن عمو الحنفيّ وكُرد بن السِّمعيّ وغيرُهما، وقال ابن الكلبيّ حدثني أبي وشَرقيُّ بن القطاميّ، وأخبرنا ابراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة:

أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنَف أُمه من خِدمة أُمي؟ فقالوا: نعم! أمُّ عمرو بن كلثوم. قال: ولِمَ؟ قالوا:

---

(١) النجر: الاصل.

(٢) اللبدة: شعر الأسد الذي على كتفيه. والهزبر: من اسماء الاسد.

(٣) الوقص: الكسر والدق.

(٤) شديد الاسر: معصوب الخلق غير مسترخ.

لأنَّ أباها مهلهلُ بن ربيعة ، وعمها كُلَيب وائل أعزُّ العرب ، وبَعلها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب ، وابنها عمرو وهو سيّد قومه . فأرسل عمرو بن هند الى عمرو ابن كلثوم يستزيره ويسأله أن يُزير أمّه أمَّه . فأقبل عمروٌ من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تَغلب ، وأقبلت ليلى بنت مُهلهل في ظُعُن من بني تَغلب . وأمر عمرو بن هند برِواقه فضُرب فيما بين الحيرة والفُرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلِب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رِواقه ، ودخلت ليلى وهند في قُبَّة من جانب الرّواق . وكانت هند عمّةَ امرئ القيس بن حُجر الشاعر ، وكانت أمُّ ليلى بنت مُهلهل بنتَ أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أمّ امرئ القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أمّه أن تُنحّي الخدَم اذا دعا بالطُّرَف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فأعادت عليها وألحتْ . فصاحت ليلى : وا ذُلّاه ! يا لَتَغلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثوم الى سيفٍ لعمرو بن هند مُعلَّقٍ بالرّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحوَ الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو ابن كلثوم :

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فاصبَحينا

تعظيم تغلب لقصيدته المعلقة :

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تَغلِب تعظِّمها جداً ويرويها صغارُهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل :

ألهى بني تَغلِبٍ عن كل مَكرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم

يَرْوُونها أبداً مذ كان أوَّلُهم ... يا لَلرجالِ لِشِعرٍ غيرِ مسئومِ

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند :

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل :

ما ضَرَّ تَغلِبَ وائلٍ أهجوتَها ... أم بُلتَ حيث تَناطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً ... عمراً وهم قَسَطوا[1] على النعمانِ

وقال أفنون[2] صُرَيمٌ التَّغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له :

لَعَمرُكَ ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا ... لتخدُمَ ليلى أمَّه بموفَّقِ
فقام ابنُ كُلثومٍ الى السيف مُصلِتاً[3] ... فأمسكَ من نَدمانِه[4] بالمُخَنَّقِ
وجلَّله عمرٌو على الرأس ضربةً ... بذي شَطبٍ[5] صافي الحديدة رَونَقِ

إخوته وعقبه :

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المُنذِرَ بن النعمان وأخاه . وإيّاه عَنَى الأخطلُ بقوله لجرير :

أبني كُلَيبٍ إنّ عمَّيَّ اللذا[6] ... قتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

---

(١) قسطوا : جاروا .

(٢) أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب ، توفي بالألاهة (موضع) .

(٣) أصلت السيف : جرّده من غمده .

(٤) الندمان (بفتح النون) : الذي ينادمك على الشراب . والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

(٥) شطب السيف : طرائقه في متنه من شدّة بريقه ، الواحدة شطبة . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

(٦) أي اللذان ، فحذف النون تخفيفاً .

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عَبَّاد ، وهو قاتل بِشر بن عمرو بن عُدَس . ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتَّابيّ الشاعر صاحب الرسائل.

أغار على بني تميم ثم انتهى الى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحوَل عن ابن الأعرابيّ قال :

أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزْوِه ذلك على حيّ من بني قَيس بن ثعلبة ، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَندل السَّعديّ ، ثم انتهى الى بني حَنيفةَ باليمامة وفيهم أناس من عِجل، فسمع به أهل حَجر[١] ؛ فكان أوّلَ من أتاه من بني حنيفة بنو سُحَيم عليهم يزيد ابن عمرو بن شِمر . فلمّا رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

مَن عاذَ منّي بعدها فلا اجتَبَرْ ولا سقى الماء ولا أرعى الشَّجرْ

بنو لُجَيمٍ[٢] وجعاسيسُ[٣] مُضَر بجانب الدوِّ[٤] يُدَهْدُون العَكَر

فانتهى اليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسَره . وكان يزيد شديداً جسيماً ، فشدّه في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول :

متى تُعقَدْ[٥] قَرينتُنا بحبلٍ تَجُذّ الحبل أو تَقِص القرينا

---

(١) حجر (بالفتح) : عاصمة اليمامة .

(٢) هو لجيم بن صعب ؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . وسياق الكلام قبله يرجّح أن يكون الخطاب لبني سحيم . فلعل « لجيماً » محرف عن « سحيم » .

(٣) الجعاسيس : اللئام الخلق والخلق ، والواحد جعسوس .

(٤) الدوّ : الفلاة . ويدهدون : يدحرجون ويقلبون ؛ : والعكر (بالتحريك) درديّ كل شيء .

(٥) القرينة : التي تقرن الى غيرها أي تربط مع غيرها بحبل . وتجذ : تقطع . وتقص : تكسر ؛ يقال : وقص عنقه يقصها وقصاً اذا كسرها ودقها .

أمَا إنّي سأقرنك الى ناقتي هذه فأطرُدُكما[1] جميعاً . فنادى عمرو بن كلثوم يا لَربيعة ! أَمُثلة ! قال : فاجتمعت بنو لُجَيم فنَهوه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قصراً بحَجر من قصورهم ، وضرب عليه قُبّة ونحرَ له وكساه وحمله على نجيبة وسقاه الخمر . فلما أخذتْ برأسه تغنّى .

أأجمعَ صُحبتي السَّحَرَ ارتحالا ... ولم أشعُر ببَيْنٍ منكِ هالا[2]
ولم أرَ مثلَ هالةَ في مَعَدٍّ ... أُشَبِّه حسنها إلا الهلالا
ألا أبلغْ بني جُشَمَ بنِ بكرٍ ... وتغلِبَ كلما أتيا حِلالا[3]
بأنّ الماجدَ القرمَ ابنَ عمرو ... غداةَ نَطاعٍ[4] قد صدقَ القتالا
كتيبتُه[5] مُلَمْلَمَةٌ رَداحٌ ... اذا يرمونها تُفني النِّبالا
جزى اللهُ الأغرَّ يزيد خيراً ... ولَقّاه المَسرَّةَ والجمالا
بمأخذِه ابنَ كلثوم بنِ عمرو ... يزيدَ الخيرِ نازله نِزالا
بجمعٍ من بني قُرّان[6] صِيدٍ ... يُجيلون الطِّعانَ إذا أجالا
يزيد يقدّم السفراء حتى ... يُرَوِّي صدرَها الأَسَلَ النِّهالا

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه :

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأحوَل عن ابن الأعرابيّ قال :

زعموا أنّ بني تَغلِبَ حاربوا المُنذرَ بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه .

(١) طرد الإبل : ساقها .
(٢) يريد : يا هالة .
(٣) حلال : جمع حلة (بالكسر) وهي جماعة بيوت الناس ، ومجتمع القوم .
(٤) نطاع : أرض .
(٥) الكتيبة : الجيش أو فرقة منه . وململمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة .
(٦) قرّان حصن باليمامة ، نسب اليه أهله كأنه أب لهم .

فمرّ بهم عمرو بن أبي حُجر الغسّاني ، فتلقّاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عمرو ، ما منَع قومَك أن يتلقَّوني ؟ ! فقال له : يا عمرو يا خيرَ الفِتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلا علا فيها أمرُهم واشتدَّ شأنُهم ومَنعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نَومةٍ ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولهم ، وأنني فَلّهم[1] الى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَدِ . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول :

أَلا فاعلَمْ أَبيتَ اللّعنَ أَنّا ... على عَمْـدٍ سنأتي ما نُريدُ
تَعلَّمْ أنّ مَحمَلَنا ثقيلٌ ... وأَنْ زنادَ كَبتنا[2] شديـد
وأَنّا ليس حَيٌّ من مَعَـدٍّ ... يُوازينا اذا لُبِس الحديـد

هجاؤه للنعمان بن المنذر :

قال : وقال ابن الأعرابيّ : بلغ عمرو بن كلثومٍ أنّ النعمان بن المُنذر يتوعّده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب اليه :

ألا أبلِـغِ النعمان عنّي رسالةً ... فمدُحك حَوليٌّ وذمُّك قارحُ[3]
متى تَلقَني في تغلِبَ ابنـةِ وائلٍ ... وأشياعها ترقى اليـك المسالح[4]

وهجا النعمان بنَ المنذر هجاء كثيراً ، منه قوله يعيّره بأمّه سُلَيمى :

حلَتْ سُلَيمى بِخَبتٍ[5] بعد فِرتاجٍ ... وقد تكون قـديماً في بني ناجِ

(١) الفل : القوم المنهزمون . والجرد (بالتحريك) : من الأرض ما لا ينبت . والثمد (بالفتح وبالتحريك) : الماء القليل الذي لا مادّ له . والنازح : الذي نفد ماؤه ؛ يقال نزحنا البئر ، ونزحت البئر ، فهو لازم متعدّ . يريد أنه ينفي المنهزمين منهم الى أرض لا نبات فيها ولا ماء .

(٢) الحملة في الحرب والدفعة في القتال ؛ وكبة كل شيء شدته ودفعته مثل كبة الشتاء والجري .

(٣) الحولي : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شق نابـه . وهو في السنة الأولى حولي ثم ثني ثم رباع ثم قارح .

(٤) المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .

(٥) الخبت : المطمئن من الأرض ، واسم لعدة مواضع . وفرتاج (بكسر الفاء) : موضع . وبنو ناج : بطن من عدوان .

إذ لا تُرَجّي سُليمى أن يكون لها ... مَن بالخَوَرْنَق من قَيْنٍ ونَسّاجِ
ولا يكونُ على أبوابها حَرَسٌ ... كما تلفّف قِبطيٌّ بديباج
تمشي بعِدلَيْن من لُؤمٍ ومَنقَصةٍ ... مشيَ المقيَّدِ في اليَنبوتِ[1] والحاج

قال وقال في النعمان :

لحا الله أدنانا الى اللؤمِ زُلفة[2] ... وألأمَنا خالًا وأعجزنا أبا
وأجدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خاله ... يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بيَثرِبا

وفاته ونصيحته لبنيه :

أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزُّبير ابن بَكّار قال حدثني علي بن المُغيرة عن ابن الكلبي عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال :

لمّا حضرت عمرو بنَ كلثومٍ الوفاةُ وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة ، جمع بنيه فقال : يا بَنيّ ، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما عيّرت أحداً بشيء إلّا عُيِّرتُ بمثله ، إن كان حقًّا فحقًّا ، وإن كان باطلًا فباطلًا . ومَن سَبَّ سُبَّ ؛ فكُفّوا عن الشتم فإنه أسلمُ لكم ، وأحسِنوا جِوارَكم يحسُنْ ثناؤكم ، وامنعوا من ضَيم الغريب ؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف ، وردٍّ خيرٌ من خُلف . وإذا حُدِّثتم فَعُوا ، وإذا حَدَّثتم فأوجزوا ؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار[3] . وأشجعُ القوم العَطوف بعد

---

(١) الينبوت : نبات ، وهو ضربان ، أحدهما ذو شوك ، وهو المراد هنا . والحاج : الشوك أو ضرب منه . يريد أنها تمشي متثقلة بما تحمل من لؤم ومنقصة كما يمشي المقيد في هذين الضربين من الشوك .

(٢) الزلفة (بالضم) — ومثلها الزلفى والزلف (بالتحريك) — : القربة والدرجة والمنزلة .

(٣) الأهذار : جمع هذر (بالتحريك) وهو سقط الكلام .

الكَرّ، كما أنّ أكرم المنايا القتل. ولا خير فيمن لا رَوِيّةَ له عند الغضب، ولا مَن إذا عُوتب لم يُعتِب[1]. ومن الناس مَن لا يُرجى خيرُه، ولا يُخافُ شرُّه؛ فبَكْؤُه[2] خيرٌ من دَرّه، وعقوقُه خيرٌ من بِرّه. ولا تتزوّجوا في حيّكم فإنه يؤدّي الى قبيح البُغض.

صوت

لِمَنِ الدّيارُ ببُرْقةِ الرَّوحان ... إذ لا نَبيع زمانَنا بزمانِ
صدَعَ الغواني إذ رَمَينَ فؤادَه ... صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَداني
إن زرتُ أهلكِ لم أُنوَّل حاجةً ... وإذا هجرتُكِ شفّني هِجراني

الشعر لجرير يهجو الأخطل ويردّ عليه حكومتَه التي حكم بها للفرزدق عليه. والغناء، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدَث، لمعبدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى، وذكر الهشاميّ أنه لحُنَين، قال ويقال: إنه لمعبد. وفيه ليزيد حَوراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل. وذكر حَبشٌ أنّ الثقيل الأوّل للغريض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدّلال.

---

(١) الإعتاب: رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب، والاسم منه العتبى.

(٢) أصل البكء: قلة اللبن أو انقطاعه؛ يقال: بكأت الناقة أو الشاة تبكأ بكئاً (من باب فتح) وبكؤت تبكؤ (من باب كرم) بكاءة وبكوءاً. والمعنى المراد: فمنعه خير من عطائه.

ذكر الخبر عن السبب فى اتصال الهجاء
بين جرير والأخطل

سبب التهاجي بين جرير والأخطل :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عُبَيدة وعن أبي غسّان دَماذٍ عن أبي عُبَيدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل قال حدثنا أبو غسّان عن أبي عُبيدة، وأخبرنا الصُّوليّ عن ابراهيم بن المُعَلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، وقد جمعتُ رواياتهم . قال أبو عُبيدة حدثني عامر بن مالك المِسمَعيّ قال :

كان الذي هاج التهاجيَ بين جريرٍ والأخطل أنه لمّا بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ — وهو أكبر ولده وبه كان يُكنى — : انحدِر الى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما . فانحدر مالكٌ حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه . فقال له : كيف وجدتهما؟ قال : وجدتُ جريراً يغرِف من بَحر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذي يغرِف من بحر أشعرهما ؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق :

إنّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ ... لمّا سمعتُ ولمّا جاءني الخبرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعامتُه ... وعضّه حيّةٌ من قومه ذَكَر

وفي رواية ابن الأعرابيّ « قد سال الفُراتُ به » . قال أبو عبيدة : ثم إن بِشرَ بن مروان دخل الكوفة، فقدِم عليه الأخطل، فبعث اليه محمد بن عُمَير بن عطارد

ابن حاجب بن زُرارة بألف درهم وكُسوة وبَغلة وخَمر ، وقال له : لا تُعِنْ على شاعرنا ، واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم ؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقُلْ أبياتاً واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل :

أجريرُ إنّكَ والذي تسمو له كأسيفةٍ[1] فخرَتْ بحِدْجِ حَصانِ
حُملتْ لربّتها فلمّا عُوليتْ[2] نَسَلَتْ تعارضها مع الرُّكبان
أتعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها وثناؤها في سالف الأزمان
تاجُ الملوك وفخرهم في دارمٍ أيام يَربوعٌ[3] مع الرُّعيان

وهي طويلة يقول فيها :

فاخسأْ اليك كُليبُ إنّ مُجاشعاً وأبا الفوارس نَهشَلاً أخوانِ
سبقوا أباك بكلّ أعلى تَلعةٍ في المجد عند مَواقف الرُّكبان
قومٌ إذا خطَرت عليك قُرومُهم ألقتكَ بين كَلاكِلٍ وجِران[4]
وإذا وضعتَ أباك في ميزانهم رَجحوا وشال أبوك في الميزان[5]

وقال جرير يردّ حكومة الأخطل :

---

(١) الأسيفة : الأمة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . والحصان العفيفة ويعني بها هنا الحرة لمقابلتها للأمة .

(٢) وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت أي حملت على مركب . ونسلت : أسرعت في المشي ؛ وقيل : أصل النسلان للذئب ثم استعمل في غيره .

(٣) يربوع : جدّ لجرير .

(٤) القرم (بالفتح) : الفحل من الإبل ، ويستعمل في السيد المعظم من الرجال على التشبيه . والكلاكل : الصدور . والجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه الى منحره .

(٥) شولان الميزان (بالتحريك) : ارتفاع إحدى كفتيه ؛ ويستعمل في المفاخرة على التمثيل؛ يقال : فاخرت فلاناً فشال ميزانه أو شال في ميزانه ، أي فخرته وغلبته .

لمنِ الدّيارُ ببرقةِ الرَّوحانِ[1] إذ لا نَبيعُ زمانَنـا بزمانِ

وهي طويلة يقول فيها :

يا ذا الغباوة إنّ بِشراً قد قضى ألّا تجوزَ حكومـةُ النَّشوانِ
فدَعوا الحكومة لَستُمُ من أهلها إنّ الحكومة في بني شيبـانِ
قتلوا كُلَيبَـكُمُ بِلقحَةِ جارهم يا خُزْرَ تَغلِبَ لستُمُ بِهِجانِ[2]

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها :

وممّا غُنّي فيه من نقائض جرير والأخطل :

صوت

أناخوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأنَّهـا رجالٌ من السودان لم يَتَسرَبَلوا
فقلتُ اصبَحُوني[3] لا أبا لأبيكمُ وما وضعوا الأثقالَ إلّا ليفعلوا
تمرُّ بهـا الأيدي سنيحاً وبارحاً وتُرفَـعُ باللهمَّ حيَّ وتُنزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعنى بالشاصيات ها هنا الزِّقاق، لأنها اذا امتلأتْ شالت أكارُعها ؛ يقال : شَصا برِجلِه اذا رفعها ، وشَصا ببصره اذا شخص ؛ قال الراجز يصف الشاخصَ :

---

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة . وفي الأصول هنا : « ببرقة الريحان » .

(٢) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر (بالضم) : جمع أخزر . والخزر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام . يشير في هذا البيت الى مقتل كليب بن ربيعة وسببه .

(٣) صبحه : سقاه الصبوح وهو الشراب بالغداة . والأثقال : الأمتعة ، واحدها ثقل (بالتحريك) .

وبقرٍ خِمـاصٍ[١] يَنظُرنَ من خَصاصٍ[٢]
بأعـيُنٍ شواصي كفِلَق الرَّصـاص

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينك . والجابهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقعيدُ والخفيفُ : ما جاء من ورائك . شبَّه دَورَ الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء لمالك ، فيه لحنان كلاهما له ، أحدُهما رملٌ بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاء من رواية اسحاق ، والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضاً لابن سُرَيج وأنه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو وفيه لابن مُحرزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

ومنها :

صوت

خَفَّ القَطينُ فراحوا منك أو بَكَروا — وأزعجتهم نَوًى في صرفهـا غِيَرُ
كأنّني شاربٌ يوم استُبِـدَّ بهم — من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتها حِمصٌ[٣] أو جَدَر
جادت بها من ذوات القارِ مُترَعةٌ — كَلفاء يَنحَتُ من خُرطومها المَدَر
يا قاتل اللهُ وَصلَ الغانيات اذا — أيقنَّ أنك ممن قـد زها الكِبَر

(١) خماص : ضامرات البطون ، الواحـد خمصان (بفتح الخاء وضمها) للمذكر ، وخمصانة للمؤنث .

(٢) الخصاص : الخروق ، واحدها خصاصة .

(٣) حمص : مدينة مشهورة بالشام بين دمشق وحلب في نصف الطريق . وجدر : قرية بين حمص وسلمية تنسب اليها الخمر .

أعرَضنَ لمّا حنى قوسي مُوَتِّرُها   وابيضَّ بعد سواد اللِّمّـةِ الشَّعَرُ

استُبِدَّ بهم أي عُلِيَ[١] عليهم . والقرقف : التي تأخذ شاربَها رعـدة لشدَّتها . والكلفاء : الخابيةُ في لونها كَلَفٌ[٢] . وقوله « زها الكبَرُ » يعني استخفَّه وأضعفه؛ يقال : زهاه وازدهاه . وقال أبو عُبَيدة : الأصل في زهاه رفعه ؛ فكأنه أراد أنه رفعه في علوّ سنِّه عمّا يردن منه . واللِّمّة : الشعر المجتمع .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَروان ويهجو قيساً وبني كُلَيب ، ويقول فيها :

أمّا كُلَيبُ بنُ يَربوعٍ فليس لها   عند التفاخر إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفون ويقضي النـاسُ أمرَهُمُ   وهم بغيبٍ وفي عَمياءَ ما شعروا
مُلَطَّمون بأعقار[٣] الحياض فما   ينفكُّ من دارميّ فيهم أثَرُ
بئس الصُّحاةُ[٤] وبئس الشَّربُ شَربُهُمُ   اذا جرى فيهم المُزّاءُ والسَّكَرُ
قومٌ تناهت اليهم كلُّ مُخزِيةٍ   وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بهـا مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهُمُ   والسائلونَ بظَهر الغَيب ما الخبر

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدَّمه ومما غُلِّب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ الى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة ، وضمنه بيتين من شعره فقال :

---

(١) يعني أنهم غلبوا على أمرهم .

(٢) الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

(٣) الأعقار : جمع عقر (بالضم) وهو الحوض حيث تقف الإبل اذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .

(٤) وهو يريد أن يذم بني يربوع في حال سكرهم اذا شربوا وصحوهم . والمزاء (بالضم) : من أسماء الخمر ؛ سميت بذلك للذعان اللسان .

الآكلون خبيثَ الزّاد وحدهمُ   والنازلون اذا واراهمُ الخمَرُ
والظاعنون على العمياء إن رحلوا   والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفي هذه القصيدة يقول الاخطل يمدح عبد الملك :

الى امرئٍ لا تعرّينا نوافله   أظفره الله فليَهنئْ له الظَّفَرُ
الخائضُ الغمر والميمون طائرُه   خليفة الله يُستَسقى به المطر
والهمُّ بعد نجيِّ النفس يبعثه   بالحزم والأصمعان القلبُ والحذر
وما الفُراتُ اذا جاشتْ غواربه[1]   في حافَتَيه وفي أوساطه العُشَر
وزعزعته[2] رياحُ الصيف واضطربت   فوق الجآجئ[3] من آذيّه غُدُرُ
مُسحَنفِرٌ[4] من جبال الروم يستره   منها أكافيف[5] فيها دونه زوَر
يوماً بأجودَ منه حين تسأله   ولا بأجهرَ منه حين يُجتَهر
في نَبعةٍ[6] من قُرَيشٍ يعصِبون[7] بها   ما إن يُوازَى بأعلى نَبتها الشجر
حُشدٌ على الخير عيّافو الخنا أُنُفٌ   اذا ألمتْ بهم مكروهةٌ صبروا
لا يَستقِلّ[8] ذوو الأضغان حربَهمُ   ولا يُبَيّنُ في عيدانهم خَوَر

---

(١) جاشت : هاجت : والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه . والعشر : شجر .

(٢) زعزعته : حرّكته ، وقيل حرّكته تحريكاً شديداً .

(٣) الجآجيء : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذيّ : الموج . والغدر : جمع غدير .

(٤) مسحنفر : سريع الجري .

(٥) وأكافيف الجبل : حيوده أي حروفه الناتئة في أعراضه . والزور (بالتحريك) : الميل . يصف الفرات وجريه في جبال الروم المطلة عليه حتى يشق بلاد العراق .

(٦) النبع : ضرب من الشجر وهو من أجوده .

(٧) يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .

(٨) استقل الشيء : حمله . يريد أن خصومهم لا يستطيعون أن ينهضوا بحربهم . ويبين : يتضح ويظهر .

شُمسُ[1] العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قَدَروا

مدح الرشيد بيتاً للأخطل :

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه :

أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه : أيُّ بيت مُدح به الخلفاء منّا ومن بني أُميّة أفخرُ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النّصرانية في عبد الملك :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أَحلاماً إذا قدروا

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

قال المهديّ يوماً وبين يديه مَروان بن أبي حَفصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور :

له لحظاتٌ عن حِفافَيْ سريره اذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرمة كما قال الأخطل :

شُمسُ العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قَدَروا

(١) شمس : جمع شموس ، وهو من الرجال العسر في عداوته الشديد الخلاف على ما عانده .

قال: فغضب المهديّ حتى استشاط وقال: كذب والله ابنُ النّصرانية العاضُّ بَظر أُمه وكذبتَ يا عاضَّ بَظر أُمك! والله لولا أن يقال: إني خَفَرتُ بك لعرّفتك مَن أكثرُ شعراً! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عنّي! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجَرُّ ويقول: يا بنَ الفاعلة! أراها في رؤوسكم وأنفسكم!.

صوت

إنّي أرقتُ ولم يَأرَقْ معي صاحِ … لِمُستكفٍّ بُعَيدَ النّوم لَوّاحِ
دانٍ مُسِفٍّ فُوَيقَ الأرض هَيدَبُه … يكاد يدفعه مَن قام بالرّاح

عروضه من البسيط. الشعر لأوس بن حجر - وهكذا رواه الأصمعيّ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرّياشيّ عنه، ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص - والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولحسين بن مُحرز لحنٌ في البيت الثاني وبعده:

إنْ أشرَبِ الخمرَ أو أغلى بها ثمناً … فلا محالةَ يوماً أنني صاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى.

قوله: مُستَكفّ: يعني مستديراً؛ وكلُّ طُرّة كِفّة. أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا الرياشيّ قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا مهديّ يقول وهو يصف شجاعاً[١] عرض له في طريقه: تبعني شجاعٌ من هذه الشجعان، فمرّ خلفي كأنه سهمٌ زالج، فحدتُ عنه، واستكفّ كأنه كُفّةُ حابلٍ، فرميته فنظرت

(١) الشجاع (بضم الشين وكسرها، وجمعه شجعان بضم الشين وكسرها): الحية الذكر، أو الحية مطلقاً، أو هو ضرب من الحيات.

ثلاثة أثنائه[1] . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفَّة الميزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاحَ يلوح اذا ظهر . ومسفّ : قد أسفّ على وجه الارض اذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا اليها ؛ ومن هذا يقال : أسفّ الطائر اذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهَيدَبه : الذي تراه كالمتعلِّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الارض ؛ وهو أحسن ما وُصف به السحاب .

(١) أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنت ، واحدها ثني (بالكسر) . ويقال أيضاً مثاني الحية، جمع مثناة (بفتح الميم وكسرها) .

ذكر أوس بن حجر وشيء من اخباره

نسبه ومنزلته في الشعر :

وقد اختُلِف في نسبه ، فقال الأصمعيّ ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه ، : هو أوسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزن بن عُقَيل بن خَلَف ابن نُمَير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكّريّ عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها . وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرَنه بالُحطيئة ونابغة بني جَعدة .

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدثنا يونس عن أبي عمرو قال :

كان أوسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغةُ وزُهير ، فهو شاعر تميم في الجاهليّة غير مُدافَع .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أوس بن حَجَرٍ فحلَ الشعراء ؛ فلمّا نشأ النابغة طأطأ منه . وأمّا الكلبيّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبيدَ بن ربيعة والشّمّاخ بن ضِرار . قال : وتميم الى الآن مقيمةٌ على تقديم أوس . قال : ومنهم من يقول بتقديم عديّ ؛ وأنشد حارثةَ بن بَدرٍ الغُدانيّ :

والشِعرُ كان مَبيتُه ومَظلُّه   عند العِباديّ الذي لا يُجهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد : أدركتُ رجالًا من بني تميم لا يفضِلون على عديّ في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيديّ عن الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: تميم تروي هذه القصيدةَ الحائيَّة لعبيدٍ، وذلك غلطٌ؛ ومن الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويّها لتشابههما.

تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيدٍ السُّكَّريّ قال حدثنا عليّ بن الصبّاح قال حدثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَردان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:

خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنة عمٍّ له لِرَعيِ غنمٍ لهما. فقال الشيخ: أجد ريحَ النَّسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها رَبْرَبُ مِعزَى هَزلى. قال: ارعَيْ واحذري. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. قالت: أراها كأنها بغالٌ دُهمٌ تجرّ جلالها. قال: ارعَيْ واحذري. ثم مكث ساعةً ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فانظري. قالت: أراها كأنها بطن حمارٍ أصحَر. فقال: ارعَيْ واحذري. ثم مكث ساعةً فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دانٍ مُسِفٍّ فويق الأرض هيدبُه ... يكاد يدفعه مَن قام بالراحِ
كأنما بين أعلاه وأسفله ... رَيطٌ مُنَشَّرةٌ أو ضوءُ مصباح
فمَنْ بمحفِله كمَن بنَجوته ... والمُستكنّ كمَن يمشي بقِرواح

فقال: انجي لا أبا لك! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما.

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ.

معنى قول الجارية «كأنها بطن حمار أصحر»: تعني أنه أبيض فيه حمرة. والصحرة لونٌ كذلك. وقوله: «فمن بمحفله كمن بنجوته»: يعني مَن هو بحيث

احتفل السيلُ – واحتفالُ كل شيء مُعظَمُه – كمن في نجوته . وقد روي « بحفشه » ، وهما واحد ، ومعناهما مجرى معظم السيل . يقول : فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرواح : الفضاء ؛ يقال قِرواحٌ وقرياحٌ . ويقال في معنى المحفِش : حفشت الأودية اذا سالت ، وتحفَّشت المرأة على ولدها اذا قامت عليه .

كان يسير ليلاً فصرعته ناقته :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني عليّ بن أبي عامر السَّهميّ المصريّ قال حدثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال حدثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوَّزيّ عن أبي عُبَيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا :

كان أوس بن حجر غزِلًا مغرماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى اذا كان بأرض بني أسدٍ بين شَرجٍ وناظرة[1] ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقَّت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غدا جَواري الحيّ يجتنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض والناسُ في ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلقًى ، ففزعن فهربن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كَلَدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجراً وقال لها : اذهبي الى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقرئك السلام . فأخبرته فقال : يا بنيَّة ، لقد أتيت أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صُرع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر في ذلك :

---

(١) شرج وناظرة : موضعان .

جُدِلَتْ[١] على ليلةٍ ساهرهْ بصحراء شَرجٍ الى ناظرهْ
تُزادُ ليـاليَ في طولها فليست بطَلْـقٍ ولا ساكرهْ[٢]
أنوء برجل بهـا ذِهنُها[٣] وأعيتْ بها أختُهـا الغابرة

وقال في حليمةَ :

لعمرُكَ ما ملّت ثَواءَ ثَوِيِّها[٤] حليمةُ إذ ألقى مَراسيَ مُقعَدِ[٥]
ولكن تلقَّت باليدين ضَمانتي[٦] وحلَّ بشرجٍ مِ القبائل[٧] عُوَّدي
ولم تُلهِها[٨] تلك التكاليفُ إنَّها كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرُّدِ[٩]
سأجزيكِ أو يَجزيكِ[١٠] عنّي مُثوِّبُ وقَصرُكِ[١١] أن يُثنى عليكِ وتُحمَدي

---

(١) الجدل : الصرع ؛ يقال : جدله جدلا وجدّله تجديلًا فانجدل وتجدّل .

(٢) ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قر ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح ؛ يقال : سكرت الريح تسكر (على وزن قعد) سكورا وسكرانا إذا سكنت بعد الهبوب .

(٣) الذهن : القوّة . والغابرة : الباقية .

(٤) الثواء : الإقامة . والثويّ هنا : الضيف .

(٥) المقعد : الذي به داء يقعده .

(٦) الضمانة : الداء في الجسد من كبر أو بـلاء أو غير ذلك . ومثل الضمانة الضمان والضمن (بالتحريك) والضمنة (بالضم) ؛ يقال : رجل ضمن (بالتحريك) لا يثنّى ولا يجمع لأنه وصف بالمصدر ، ورجل ضمن (بكسر عينه) وضمين ؛ وهذان الوصفان يثنّيان ويجمعان ؛ وجمع الأوّل : ضمنون ، والثاني ضمنى .

(٧) أي من القبائل .

(٨) يقال : لهى عن الشيء يلهى (وزن فرح) اذا كف عنه وتركه .

(٩) التخرد : الحياء والخفر .

(١٠) المثوّب هنا : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل .

(١١) قصرك : غايتك وكفايتك .

رثى فضالة بن كلدة حين مات :

قالا : ثم مات فَضالةُ بن كَلَدةَ ، وكان يُكنى أبا دُلَيجة ، فقال فيه أوس بن حَجَرٍ يرثيه :

يا عينُ لا بدَّ من سَكبٍ وتَهمالِ   على فضالةَ جَلِّ الرُّزْءِ والعالي

ويروى « عَينَيَّ » . العالي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جداً . وفيها مما يغنّى فيه :

صوت

أبا دُلَيجة مَن تُوصي بأرملةٍ   أم مَن لأشعثَ[1] ذي طِمرَين مِمحالِ
أبا دُليجة مَن يكفي العشيرةَ إذ   أمسَوا من الأمرِ في لَبسٍ وبَلبالِ
لا زال مِسكٌ وريحانٌ له أرَجٌ   على صَداكَ[2] بصافي اللَّون سَلسالِ

غنّى فيه دَحمان خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنَّ فيه لابن عائشة رملاً بالوسطى عن عمرو وذكر حبش أنَّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر ، ولداود ابن العبَّاس ثاني ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله :

أيَّتها النفسُ أجمِلي جَزَعَا   إنَّ الذي تَكرَهين قد وقعا
إنَّ الذي يَجمَعُ السماحةَ والـنَّجدةَ والحزمَ والقُوَى جُمَعا

(١) رجل أشعث : مغبر الرأس متلبد الشعر أو منتشره لقلة تعهده بالدهن والاستحداد . والطمر : الثوب الخلق . وممحال : مجدب : يريد أنه فقير .

(٢) الصدى هنا : جثة الميت في قبره . وبصافي اللون أي مع صافي اللون ، يريد الماء . والدعاء للقبور بالسقيا معروف عند العرب .

المُخلِفَ[1] المُتلِفَ المُرَزَّأَ لم يُمتَعْ بضَعفٍ ولم يَمُتْ طَبِعاً
أودَى وهل تنفع الإشاحةُ[2] مِن شيءٍ لمن قد يُحاول البِدَعا

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

صوت

رأيتُ زُهيراً تحت كَلكَلِ خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعَجولِ أُبادِرُ
فشَلَّتْ يميني يومَ أضرِبُ خالداً ويمنعه مني الحديدُ المُظاهَر

عروضه من الطويل . الشعر لوَرقاء بن زُهَير . والغناء لكَردَمٍ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن اسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ، وذكر إسحاق أنه ينسبه الى معبد من لا يعلم ، وروى عن أبيه عن سِياط عن يونس أنه أخذه من كَردَمٍ وأعلمه أن الصنعة فيه له .

(١) المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرماً ، والمرزأ : الذي تناله الرزيات في ماله لما يعطي ويسأل . والإمتاع : الاقامة . يقول : لم يقم وهو ضعيف . والطبع : الدنس وأصل الطبع الوسخ والصدأ يغشيان السيف وغيره . وقد استعير لما يغشى النفس من الخلال الذميمة .

(٢) أودى هلك . والاشاحة : الحذر .

خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

هو وَرقاء بن زُهَير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبس بن بَغيض بن رَيث بن غَطفان ، يقوله لمّا قتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكرمة بن خَصَفَة ، أباه زَهير بن جَذيمة . وكان السبب في ذلك – فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصر قالا حدثنا عمر بن شبَّة ، ونسخت بعضَ هذا الخبر عن الأثرم وروايةِ ابن الكلبيّ ، وأضفتُ بعض الروايات الى بعض إلّا ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عُبَيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبد بن جُلهُمة ابن حَدّاق بن يَربوع بن سَعد بن ثَعلِب بن سَعد بن عَوف بن جِلّان بن غَنْم بن أعصُر ، قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صَفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمن أدرك شَأسَ بن زَهير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عاصم جاهلياً . قال : وقال عبد الحميد حدثني سيّار بن عمرو أحد بني عُبَيد بن سَعد بن عَوف بن جِلّان بن غَنْم – قال أبو عبيدة : وكان أعلَمَ غَنِيٍّ – عن شيوخهم – :

أن شأسَ بن زَهير بن جذيمة أقبل من عند ملك – قال أبو عُبَيدة : أراه النعمان – وكان بينه وبين زَهير صِهر – قال أبو عبيدة : ثم حدثني مرّة أخرى قال : كانت ابنةُ زُهَير عنده – فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حَباه أفضل الحُبوة مِسكاً وكُساً وقُطفاً وطنافسَ ، فأناخ ناقته في يوم شَمالٍ وقُرٍّ على رَدهةٍ[1]

(١) الردهة (بالفتح) : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

في جبل، ورِياحُ بن الأسلتِ أحدُ بني رباع بن عبيد بن سَعد بن عَوف بن جِلّان على الرَّدهة ليس غيرُ بيته بالجبل؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت؛ فأستدبره رياحٌ فأهوى له بسهم فبتر به صُلبَه. قال أبو عبيدة وحدثني رجل يُخيَّل إليّ أنه أبو يحيى الغَنَويّ قال: ورد شأس وقد حباه الملك بجبوة، فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدب وطِيبٌ، فورَدَ مَنعِجاً[1] وعليه خِباء مُلقى لرياح بن الأسلتِ فيه أهله في الظَّهيرة؛ فألقى ثيابَه بفنائه ثم قعد يُهريقُ عليه الماء، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض. فقال رياح لأمرأته: أنطيني قوسي؛ فمدّت اليه قوسه وسهماً، وانتزعت المرأة نَصله لئلا يقتله؛ فأهوى عَجلان اليه فوضع السهمَ في مُستدَقِ الصُّلب بين فَقارتين ففصلها، وخرّ ساقطاً؛ وحفر له حَفَراً فهدمه عليه، ونحر جمله وأكله. قال: وقال عبد الحميد: أكل رَكوبته وأولج متاعَه بيته. وقال عبد الحميد: وفُقِد شأسٌ وقصّ أثرهُ ونُشِد، وركبوا الى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته وسرّحته. فقالوا: وما متّعته به؟ قال: مِسكٌ وكُساً ونُطوعٌ وقُطفٌ. فأقبلوا يقصّون أثره فلم تتّضح لهم سبيله. فمكثوا كذلك ما شاء الله، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رياحٍ باعت بعُكاظَ قطيفةَ حمراء أو بعض ما كان من حِباء الملك، فعُرفت وتيقّنوا أن رياحاً ثأرُهم. قال أبو عُبيدة: وزعم الآخر قال: نَشدَ[2] زهير بن جذيمة الناسَ، فانقطع ذكره على مَنعج وَسطَ غنيّ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ، فنحر زَهير ناقةً، فأعطى أمرأةً شطّيها[3] فقال: أشتري لي الهُدبَ والطِّيبَ. فخرجت بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دفعت[4] الى امرأة رِياح، فقالت: إنّ معي شحماً أبيعه في الهُدبِ والطِّيب؛ فاشترت المرأة منها. فأتت المرأةُ زهيراً بذلك،

(١) منعج (بفتح فسكون فكسر) : موضع .

(٢) يريد : سأل الناس .

(٣) شطيها : جانبي سنامها .

(٤) دفعت : انتهت .

فعرف الهُدبَ فأتى زهيرَ غنياً، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأسكَ، ونحن بُرءاء منه. وقد لحق بخاله من بني الطمّاح وبني أسد بن خُزيمة، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبانَ[1] إذا أحسّ الصبحَ، يرمي الأروى[2]؛ الى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تَرِيغُه[3]. فركب خاله جملاً وجعله على كِفلٍ[4] وراءه. فبينا هو كذلك إذ دنت، فقالوا: هذه خيل عبسٍ تطلبك. فطمر[5] في قاع شجر فخفر في أصل سوقه. ولقيت الخيل خاله فقالوا: هل كان معك أحد؟ قال لا. فقالوا: ما هذا المركبُ وراءك؟ لَتُخبِرَنّا أو لنقتلنّك! قال: لا كذبَ، هو رياح في ذلك القاع. فلما دنوا منه قال الحُصينان: يا بني عبسٍ دعونا وثأرنا، فخنسوا[6] عنهما. فأخذ رياح نعلَين من سِبتٍ[7] فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده، ونادى: هذا غزالكما الذي تبغيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعلُ الرمحَ الى حيث شاكلته، ورماه رياحٌ مُولّياً فجذمَ[8] صلبَه. قال: ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغنِ شيئاً، ورماه مُولّياً فصرعه. فقالت عبس: أين تذهبون الى هذا! والله ليقتلنّ منكم عددَ مراميه، وقد جرحاه فسيموت. قال: وأخذ رياح رُمحيهما وسَلَبيهما وخرج حتى سند الى أبانَ. فأتته عجوزٌ وهو يَستَدمي[9] على الحوض ليشرب منه وقالت: استأسِر تحيَ؛ فقال: جنّبيني[10] حتى أشرب. قال: فأبت

(١) أبان: جبل.

(٢) الأروى: اسم جمع للأروية وهي أنثى الوعول.

(٣) تريغه: تطلبه.

(٤) الكفل (بالكسر): شيء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير.

(٥) طمر: معناها هنا استخفى.

(٦) خنسوا: تأخروا وتنحوا.

(٧) السبت (بالكسر): الجلد المدبوغ.

(٨) جذمه: قطعه بسرعة.

(٩) يستدمي: يطأطئ رأسه يقطر منه الدم.

(١٠) جنبيني: ابعدي عني.

ولم تنثه . فلما غلبته أخذ مِشقَصاً[1] وكَنَّع[2] به كُرسوعَي يديها . قال فقال عبد الحميد : فلما استبان لزهير بن جَذيمة أنّ رياحاً ثأرُه قال يرثي شأساً :

رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس :

بكيتُ لشأسٍ حين خُبِّرتُ أنه ... بماء غنيٍّ آخرَ الليلِ يُسلَبُ
لقد كان مَأتاهُ الرَّداهَ لحَتفه ... وما كان لولا غِرّةُ الليل يُغلَب
قتيلُ غنيٍّ ليس شَكلٌ كشكله ... كذاك لعمري الحَينُ للمرء يُجلَب
سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبرةٍ ... وحُقَّ لشأسٍ عَبرةٌ حين تُسكَب
وحزنٌ عليه ما حييتُ وعولةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجب
إذا سِيمَ[3] ضيماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخشى ويُرهَب
وإن صوَّتَ الداعي الى الخير مرّةً ... أجاب لِما يدعو له حين يُكرَب[4]
ففَرّج عنه ثم كان وليَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلهَب

وقال زهير بن جَذيمة حين قُتل شأس : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس ، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف الى قومه ، فكان لا يقدر على غَنَويٍّ إلّا قتله .

قال عبد الحميد : فغزت بنو عَبسٍ غَنيّاً قبل أن يطلبوا قَوَداً أو ديةً مع أخي شأس الحُصَين بن زهير بن جَذيمة والحُصَين بن أسيدِ بن جَذيمة بن أخي زهير . فقيل ذلك لغنيّ ؛ فقالت لرياحٍ : انجُ ، لعلنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء . فخرج رياح رَديفاً لرجل من بني كلاب – وزعم أبو حيّة

(١) المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .

(٢) كنّع (بالتضعيف) : قطع .

(٣) سامه الأمر : كلفه إياه ؛ وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر والظلم .

(٤) يكرب : يصيبه الكرب وهو الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس .

النُّمَيري أنه من بني جعد – وكان معها صُحَيفة فيها آراب[١] لحم ، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهة القوم ، فأوجفا أيديهما في الصُّحَيفة فأخذ كل واحد منهما وَذرة[٢] ليأكلها ، مترادفين لا يقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرَد[٣] فصَرصَر ، فألقيا اللحم وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرّات ، فإذا هُما بالقوم أدنى ظَلَمٍ (وأدنى ظَلَمٍ أي أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذهب فإني آتي القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجزهم ثم ماضٍ إن تركوني . فانحدر رياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجه[٤] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفّة[٥] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفَنِه[٦] ثم شدّ عليهما العمامة ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدّثهم وقال : هذه غَنيٌّ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وخلّوا سِرْبه[٧] . فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : مَن الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مَكذُبة ! ذلك رياح في الأوّلِ من السَّمُرات . فقال الحُصَينان لمن معهما : قِفوا علينا حتى نعلم عِلمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يشركهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح :

---

(١) آراب لحم : قطع لحم .

(٢) الوذرة (بالفتح ويحرك) : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .

(٣) الصرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ، وهو من سباع الطير ، ضخم المنقار عظيم البرثن ، كانت العرب تتطير من صوته .

(٤) الأدراج : الطرق .

(٥) الضفة : جانب النهر والوادي .

(٦) الصفن (بالتحريك وبالفتح) : وعاء الخصية .

(٧) السرب (بالفتح وهو الأرجح ، وقال أبوا عمرو بالكسر) : الطريق .

فاذا هما ينقلان فرسيهما، فما زالا يُريغاني، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلبه، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد الثُّنة فأصاب الرَّبلة[١]، ومرّ الفرس يهوي به، فأستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبه فأنفقر مُنحنى الأوصال، وقد بترتُ صُلبيهما. قال أبو عبيدة قال أبو حيَّة: بل قال رياح: استدبرتُه بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتُها، فكأنما نُشرت بمنشار. قال عبد الحميد: وندّ فرساهما فلحقا بالقوم. قال رياح: فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسندتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ. قال: وطلبه القوم، حتى اذا رُفع لهم الرمحان لم يَقرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات. وانطلق رياحاً خارجاً حتى ورد رَدهةً عليها بيت أنمار بن بَغيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع في الجبل، وقد مات رياح عطشاً. فلمّا رأته يستدمي طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسِر. فقال لها: دَعيني ويحكِ أشرب، فأبت. فأخذ حديدة إمّا سِكّيناً وإمّا مِشقَصاً فجذم به رواهِشها[٢] فماتت، وعبّ في الماء حتى نَهِل[٣] ثم توجّه الى قومه. فقال رياح فيها وفي الحُصينين:

قالت ليَ استأسِرْ لِتَكتِفَني حيناً ويعلو قولُها قولي
ولَأنتَ أجرأ من أسامة[٤] أو منّي غداةَ وقفتُ للخيل
إذِ الحُصينُ لدى الحُصين كما عَدَلَ الرّجازةُ جانبَ المَيل

قال الأثرم: الرّجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عبيدة: يعني حُصين بن زهير بن جذيمة، وحصين بن أسيدِ بن جذيمة وهو ابن عمه. قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة. قال عبد الحميد:

---

(١) الربلة (بالفتح وبالتحريك وهو الأفصح): باطن الفخذ.

(٢) الرواهش: العصب الذي في ظاهر الذراع.

(٣) نهل هنا: روى.

(٤) أسامة: اسم علم للاسد.

وما سمعتُ أنّ بني عبسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ، ولا أنذروا ، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتُك . والى هذا انتهى حديثنا وحديثه ، ولا والله ما قتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهيرَ بن جَذيمة في حربنا ، غير أنّ الكُميتَ بنَ زيدٍ الأسديَّ ، وكان له أمانٌ من غَنِيٍّ ، ذكر من مقتل أخواله من غَنِيٍّ في بني عبسٍ ومَن قتلوا من بني نُميرِ بن عامرٍ في كلمةٍ له واحدة؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتِهم وذكر قتل شَبيب بن سالم النُّميريِّ ، فقال في ذلك :

أنا ابنُ غنيٍّ والدايَ كلاهما ... لِأُمَّينِ فيهم في الفروع وفي الأصلِ
هم استودعوا هوى شَبيبَ بنَ سالمٍ ... وهم عدَلوا بين الحُصَينَين بالنَّبلِ
وهم قتلوا شأسَ الملوكِ ورغّموا ... أباه زُهيراً بالمذلّةِ والثُّكلِ
فما أدركتْ فيهم جذيمةُ وَتْرَها ... بما قَوَدٍ يوماً لديها ولا عَقلِ

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هُنيهةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأس . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هُنَيهةٌ من الدهر وهُنيهةٌ وبُرهةٌ وحِقبةٌ بمعنى الدهر .

مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر :

قتله خالد بن جعفر بن كِلاب . قال أبو عبيدة قال أبو حيَّة النُّميريّ : كان بين أنصراف حديثِ شأس وحديث قَتل خالد بن جعفرٍ زُهير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً الى الثلاثين سنةً . قال أبو عبيدة : وَهوازِن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلّا رَبّاً[1] . قال : وَهوازِن يومئذٍ لا خير فيها ؛ ولم تَكثر عامر ابن صَعصَعة بَعدُ ، فهم أذَلُّ من يدٍ في رَحِمٍ[2] ، وإنما هم رِعاءُ الشّاء في الجبال . قال : وكان زَهيرٌ يعشرُهم[3] ، وكان إذا كان أيام عُكاظَ أتاها زهيرٌ ويأتيها الناسُ من كل وجه ، فتأتيه هوازنُ بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسَّمنِ والأقِطِ والغنم ؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الَجنَّاد أخي بني أُسَيِّد ابن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرّق الناسُ عن عُكاظ نزل زهيرٌ بالنفرات .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النُّميريّ قالا : فأتته عجوزٌ رَهيشٌ[4] من بني نَصر بن معاوية بن بكر بن هوازن – وقال أبو حيَّة : بل أتته عجوز من هوازن – بسمنٍ في نِحيٍ ، واعتذرت اليه وشكت السنين التي تتابعن على

(١) الرب هنا : الملك والسيد .

(٢) هذا مثل يضرب في الضعف والهوان .

(٣) يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .

(٤) عجوز رهيش : ضعيفة او مهزولة .

الناس. فذاقه فلم يرضَ طعمه، فدعّها[١] بقوسٍ في يده عُطُلٍ[٢] في صدرها، فاستلقت لحلاوة[٣] القفا فبدت عورتها؛ فغضب من ذلك هوازن وحقدت عليه الى ما كان في صدرها من الغيظ والدَّمن[٤] وأوحَرَها[٥] من الحسك[٦].

حلف خالد بن جعفر أن يقتله:

قال: وقد أَمِرت[٧] عامرُ بن صعصعة يومئذ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال: والله لأجعلنّ ذِراعي وراء عُنقه حتى أُقتَل أو يُقتَلَ. قال: وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب:

أديروني إدارتكم فإنّي وحذفة كالشَّجا تحت الوَريدِ
مُقرَّبةٌ أُسوّيها بجزءٍ[٨] وألحفُها ردائي في الجليد
وأوصي الرّاعِيَين ليُؤثِراها لها لبَنُ الخليّةِ[٩] والصَّعود
تراها في الغزاةِ وهنّ شُعثٌ كقُلبِ[١٠] العاج في الرُّسغ الجديد

---

(١) دعها: دفعها بعنف.

(٢) قوس عطل: لا وتر عليها.

(٣) حلاوة القفا (بفتح الحاء وضمها): وسطه.

(٤) الدمن هنا: الأحقاد.

(٥) أوحرها: جعلها توحر أي تغضب وتحقد.

(٦) الحسك هنا: العداوة والحقد.

(٧) أمرت: كثرت.

(٨) في الأصول: «بجز» جزء: اسم ابن له، وبه كان يكنى.

(٩) الخلية: الناقة تنتج وهي غزيرة، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هي للحلب. والصعود: الناقة التي تخدج (تسقط) ولدها لغير تمام، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدرّ عليه.

(١٠) القلب: السوار. والجديد: صفة للقلب.

يَبيتُ رِباطُهـا بالليل كَفِّي / على عُود الحشيش وغيرِ عودِ
لعل الله يُمكِنني عليـها / جِهاراً من زُهيرٍ أو أسيد
فإمّا تَثقفوني فاقتُـلوني / فمن أُثقَفْ فليس الى خُلود
وقيسٌ في المَعارك غادرتْه / قَناتي في فوارس كالأُسود
ويَربوع بن غَيظٍ يومَ ساقٍ / تركناهم كجاريةٍ وئيـد[1]
تركتُ بها نساء بني عُصَيم / أرامـلَ ما تحِنّ الى وليد
يَلُذْنَ بحارثٍ جَزَعاً عليـه / يَقُلْنَ لحـارثٍ لولا تَسود
ومنّي بالظُّوَيلم قارعـاتٌ / تَبيـد المُخزيات ولا تَبيد
وحَكّتْ بَركَها[2] ببني جِحاشٍ / وقد أجرَوْا اليها من بعيد
تركت ابنَيْ جَذيمةَ في مَكَرّ / ونَصراً قد تركتُ لها شُهودي

وصف مقتله :

قال أبو عُبيدة وحدثني أبو سرار الغنويّ قال : كان زهيرٌ رجلاً عَدوساً[3] ، فانتقل من قومه ببنيه وبني أخويه زِنباعٍ وأسيدٍ بركبةٍ يُريـغ الغيثَ في عُشَراواتٍ[4] له وشَولٍ . قال : وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشعَر بهم . قال عبد الحميد وأبو حيَّة : بل بنو عامر بدَمخٍ[5] وزهيرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث .

---

(١) الجارية الوئيد : الفتاة التي تدفن حية ، ويكون المعنى أنهم صيروا يربوع بن غيظ قتلى كالفتاة الوئيد .

(٢) البرك : الصدر . يريد : نزلت بهم .

(٣) عدوس : قوي على سير الليل .

(٤) العشراء من النوق : التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم الى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضاً . والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها وارتفع ضرعها .

(٥) دمخ : جبل .

قال فقال أبو سِرّار : فأتى الحارثُ بني عامر ، والله ما تغيّر طعمُ اللّبَن الذي زُوِّده الحارثُ بن عمرو بن الشريد السُّلَميّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفرات ، وكانت تُماضِرُ بنت عمرو ابن الشَّريد بن رِياح بن يقظة بن عُصيَّة بن خُفافٍ السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أمُّ ولده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زهيرٌ لبنيه : إنّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأوثقوه . فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالكم فتُوثقوه وتحرموه ! فخلّوه . فقالت تُماضِرُ لأخيها الحارث : إنه ليَريبُني اكبِئنانُك وقُروبُك ، فلا يأخذنّ فيك ما قال زهير ؛ فإنه رجل بَيذارةٌ غَيذارةٌ شَنوءةٌ[1] . قال : ثم حلبوا له وَطباً وأخذا منه يميناً ألا يُخبِرَ عنهم ولا يُنذِرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حيّة النُّميريّ أنه لمّا أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظُّلمة وجعل يَهوي به الى جيبه فيَصُبُّه بين سرباله وصدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حاب له الوَطب وقراه الحارثَ بن زهير ، وبه سُمّي . قال : فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى حاذةً[2] أو شجرةً غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال : أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه . فقال أهل المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه عهدٌ وهو يُخبركم خبراً . فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو حلوٌ لم يقرُص بعدُ ، فقالوا : إنه ليخبرُنا أنّ طلبنا قريبٌ . فركب معه ستّةُ فوارسَ لينظروا ما الخبر ، وهم خالدُ بن جعفر بن كلابٍ على حَذفةَ ، وحُندُج بن البكّاء ، ومُعاوية بن عُبادة بن عُقيل فارس الهرّار وهو الأُخيل جَدّ ليلى الأُخيليّة — قال : والأُخيَلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذٍ غلامٌ له ذؤابتان ، وكان أصغر من ركِب — وثلاثةُ فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصّوا أثر السير ، حتى إذا

---

(١) الاكبئنان هنا : الغم . والقروب : السكوت . وقال الاثرم : « والبيذارة : الكثير الكلام . والغيذارة : السيء الخلق » . والشنوءة المبغض .

(٢) الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

رأوا إبلَ بني جذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنّا لنرى حَرَجة[١] من عِضاهٍ أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةُ أسيدٍ بن جذيمة أسيداً بمثل ذلك ؛ فأتى أسيدٌ أخاه زهيراً فأخبره بما أخبرته به الرّاعية وقال : إنما رأت خيلَ بني عامرٍ ورماحها . فقال زهير : « كلُّ أزَبَّ[٢] نَفورٌ » – فذهبت مثلاً ؛ وكان أسيدٌ كثير الشَّعر خناسياً – وأينَ بنو عامرٍ ! أمّا بنو كِلاب فكالحيَّة إن تركتها تركتك ، وإن وَطِئتها عَضَّتك . وأمّا بنو كعبٍ فإنهم يَصيدون اللّأى (يريد الثور الوحشيّ) . وأمّا بنو نُمَيرٍ فإنهم يَرعون إبلَهم في رؤوس الجبال . وأمّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطر . قال : فتحمَّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرَح مكانه حتى يُصبح . وتحمَّل مَن كان معه غير ابنيه وَرقاء والحارث . قال : وكان لزهير رَبيئةٌ[٣] من الجنّ تحدِّثه[٤] ببعض أمرِهم حتى أصبح ، وكانت له مِظَلَّةُ دَوحٍ يَربُط فيها أفراسه لا تريمُه[٥] حَذَراً من الحوادث . قال : فلمّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أحسَّت بالخيل وهي القعساء. فقال زهير : ما لها ؟! فقال ربيئته : أحسَّت الخيل فصهلت اليهنّ . فلم تُؤذِنهم[٦] بهم إلّا والخيلُ دَوائسُ[٧] مَحاضير بالقوم غديّةً . فقال زهير وظنّ أنهم أهلُ اليمن : يا أسيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثهم منذ

(١) الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير الملتف . والعضـــاه من الشجر : كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .

(٢) الزبب : كثرة الشعر وطوله . والبعير الأزب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر اذا ضربت الريح شعرات حاجبيه .

(٣) ربيئة : طليعة يستطلع له الاشياء ويخبره بها .

(٤) في الاصول : « فحدثته » .

(٥) لا تريه : لا تبرحه .

(٦) تؤذنهم : تعلمهم .

(٧) يقال : أتتهم الخيل دوائس ، أي يتبع بعضها بعضاً . والمحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحضر (بالضم) أي العدو .

الليلة . قال : وركب أسيدٌ فضى ناجياً . قال : ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً[١] فتدَثَّر القعساء فرسه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذ عَقوقٌ مُتْهِمٌ ، وأعرَورَى[٢] ورقاء والحارثُ ابناه فَرَسيهما ، ثم خالفوا جهةَ مالهم ليُعَمّوا على بني عامر مكان مالهم فلا يأخذوه . فهتف هاتفٌ من بني عامر : يا لَيَحامِر — يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن — لأن يُعَمّيَ على الجَذَميّين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها أهلُ اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟ قال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يَجهَدها ويَكُدُّها بالسَّوط قد ألحَّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير : « شيئاً[٣] ما يريد السَّوط الى الشَّقراء » فذهبتْ مثلاً ، وقال في المرة الثانية : « شيئاً مّا يطلب السَّوط الى الشقراء » وهي حَذفة فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيّ . قال : وتمرَّدت[٤] القعساء بزهير ؛ وجعل خالدٌ يقول : لا نجوتُ إن نجا مُجَدَّعٌ (يعني زهيراً) . فلمّا تمعّطتْ[٥] القعساء بزهير ولم تتعلّق بها حَذفة ، قال خالد لمعاوية الأخيَل بن عُبادة وكان على الهرّار (حصان أعوج[٦]) : أدرِكْ مُعاويَ ، فأدرك معاوية زهيراً ، وجعل ابناه ورقاء والحارثُ يُوَطِّشان[٧] عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطعُن يا معاوية في نَساها ، فطعن في إحدى رِجلَيها فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تَمعَّطُ . فقال زهير اطعُن الأخرى ، يَكيده بذلك

---

(١) نبيلاً هنا : جسيماً . وتدثر فرسه : وثب عليها فركبها ، وقيل : ركبها من خلفها .

(٢) اعرورى فلان فرسه : ركبه عرياناً أي ليس عليه سرج .

(٣) « ما » زائدة . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها .

(٤) تمردت هنا : طغت وجاوزت الحد في عدوها .

(٥) التمعط هنا : ضرب من العدو . وفي لسان العرب : « التمعط في حضر الفرس أن يمد ضبعيه حتى لا يجد مزيداً ويحبس رجليه حتى لا يجد مزيداً للحاق ، ويكون ذلك منه في غير الاحتلاط (الغضب) يلمخ بيديه ويضرح برجليه في اجتماعها كالسابح » .

(٦) الاعوج من الخيل : ما اعوجت قوائمه ، ويستحب ذلك فيها .

(٧) يوطشان : يدفعان .

لكي تستوي رجلاها فتحامل. فناداه خالد: يا معاوية أوفِدْ طعنتك (أي اطعن مكاناً واحداً)، فشعشع الرُّمح في رجلها فانخذلت.

قال: ولحقه خالدٌ على حذفةَ فجعل يده وراء عنق زهير، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلبه، وخرَّ خالدٌ فوقع فوقه، ورفع المِغفرَ عن رأس زهير وقال: يا لَعامرٍ اقتلونا معاً! فعرفوا أنّهم بنو عامر. فقال ورقاء: وَا انقطاعَ ظهراه! إنها لبنو عـامر! سائرَ اليوم. وقال غيره: فقال بعضُ بني جذيمة: وَا انقطاع ظهري! قال: ولحق حُندُج بن البكّاء وقد حسر خالدٌ المِغفرَ عن رأس زهير فقال: نحِّ رأسك يا أبا جَزْءٍ، لم يَجِنْ يومُك. قال: فنحّى خالدٌ رأسه وضرب حُندُجُ رأس زهير، وضرب ورقاء بن زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرعان، وكان أسجرَ[1] العينين، أزبَّ أقرَ، مثلَ الفالج، فلم يُغنِ شيئاً. قال: وأجهضَ[2] ابنا زهيرٍ القومَ عن زهير فانتزعاه مُرتَثًّا. فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه: والهفتاه! قد كنتُ أظنُّ أن هذا المخرَج سيَسَعُكم! ولام حُندجاً. فقال حُندُج وكان لجلالته غصة[3] إذا تكلم: السيفُ حديدٌ، والساعدُ شديدٌ، وقد ضربتُه ورجلاي متمكِّنتان في الركابين وسمعتُ السيفَ قال قبْ حين وقع برأسه، ورأيتُ على ظُبَته مثل ثمر المُرار، وذقتُه فكان حُلواً. فقال خالد: قتلته بأبي أنت! ونظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدماغ. ونُهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِكَ عطشاً. قال: وذلك أن المأموم[4] يُخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطشُ، فجعل يَهتِف: أميّتٌ أنا عطشاً، وينادي: يا ورقاء — قال أبو حيّة: فجعل ينادي يا شأس — فلمّا رأوا ذلك سَقوه فمات لثالثة. فقال ورقاء بن زهير:

(١) سجرة العين أن يخالط بياضها حمرة. وأزب: كثير الشعر. والقمرة: لون الى الخضرة، أو هي بياض فيه كدرة. والفالج هنا: الجمل الضخم ذو السنامين.

(٢) أي نحياهم عنه وغلباهم عليه. والمرتث: الذي يحمل من المعركة وبه رمق.

(٣) الجلاج: الذي يجول لسانه في شدقه فلا يبين كلامه.

(٤) المأموم: الذي أصيب في أم رأسه. وأم الرأس الدماغ.

شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده :

رأيتُ زهيراً تحت كَلكل خالدٍ　　فأقبلتُ أسعى كالعَجول[١] أبادرُ
إلى بطلين يَنهضان كلاهما　　يُريغان نَصل السيف والسيف نادر[٢]
فشلَّت يميني إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ　　وأحرزه مني الحديدُ المُظاهَر

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها :

وشلَّت يميني يوم أضربُ خالداً　　وشلَّ بَناناها وشلَّ الخَناصِرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدني أبو سرّار أيضاً فيها .

فيا ليتني من قبل أيامِ خالدٍ　　ويومِ زهيرٍ لم تَلِدني تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يقظة بن عُصَيَّة بن خُفاف السُّلَمي امرأة زهير بن جذيمة . قال أبو عبيدة : أنشدني أبو سرّار فيها :

لعَمري لقد بُشِرتِ بي إذ وَلَدتني　　فماذا الذي ردّتْ عليكِ البشائرُ

وقال خالد بن جعفر يَمُنّ على هوازنَ بقتله زهيراً ويصدُق الحديث — قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشر بن عامر مُلاعِب الأسِنَّة — :

بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما　　أعتقتُهم فتَوالدوا أحرارا
وقتلتُ ربَّهمُ زهيراً بعد ما　　جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حَزنَ بِلادهم وجبالهم　　أرضاً فضاء سهلةً وَعشارا

---

(١) العجول من النساء والابل : الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً .

(٢) أراغ الشيء : طلبه وأراده . ونادر : ساقط .

وجعلتُ مَهرَ بنـاتهم ودمائهم   عَقـلَ الملوكِ هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة: ألا ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيراً كان ربّهم وقد كان جدّهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غنيّ، وأن غنياً ليسوا من ذلك في ذكر ولا لهم فيه معنى.

شعر لورقاء بن زهير:

قال: وقال ورقاء بن زهير:

أمّا كِلابٌ فإنّا لا نُسالِمُها   حتى يُسالمَ ذِئبَ الثَّلَّةِ الرّاعي[1]
بنو جذيمة حاموا حول سيّدهم   إلّا أسيداً نجا إذ ثوّب الداعي

قال: ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربةَ ورقاء خالداً، واعتذر بها الى سليمان ابن عبد الملك فقال:

إن يكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبى   لتأخير نَفسٍ حتفُها غـيرُ شاهدِ
فسيفُ بني عَبسٍ وقد ضربوا به   نَبا بِيدَيْ وَرقاء عن رأس خالد
كذاكَ سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها   وتقطع أحياناً منـاط القلائد
ولو شئتُ قدّ السيفُ ما بين عُنقه   الى عَلَقٍ تحت الشّراسيف[2] جامد

قال: وكان ضِلَعُ بني عَبسٍ مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عُبيدة.

---

(١) الثلة (بالفتح): الجماعة من الغنم، أما الثلة (بالضم) فالجماعة من الناس.

(٢) العلق: الدم ما كان، وقيل هو الدم الجامد الغليظ. والشراسيف: أطراف الاضلاع، واحدها شرسوف.

رواية الأصمعيّ لمقتل زهير وابنه شأس .

وأمّا الأصمعيّ فإنه ذكر ، فيما رواه الأثرمُ عنه ، قال حدثني غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زهيرٍ العبسيّ أنّ ابنه شأس بن زهيرٍ وَفَد الى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[1] قد حُبي به ، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم – الشكّ من الأصمعيّ – .

قال : فاغتسل ، فناداه الغنَويّ : استتِرْ ، فلم يحفِل بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفِل . فرماه الغنويّ رياحُ بن الأسكّ بسهمٍ أو ضربه فقتله والحيّ خُلوفٌ[2] ، فأتبعه أصحاب شأس وهم في عِـدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فرهقوه[3] ، فقتل حُصَيناً وأخاه[4] حُصَيناً ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ ، فلجأ الى منزل عجوزٍ من بني إنسانٍ (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم) . فقالت له العجوز : لا تبرَح حتى يأتي بَنيّ فيأسِروك . قال الأصمعيّ : فأخبرني مُخبِران اختلفا ، فقال أحدهما : إنه أخذ سِكّيناً فقطع عَصبتيْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجراً فشدَخ به رأسها ، ثم أنشأ يقول :

ولأنتَ أشجعُ من أسامةَ أو ... مِنّي غـداةَ وقفتُ للخيلِ
إذِ الحُصَينُ لدى الحُصَينِ كما ... عدَلَ الرِّجازةُ جانبَ المَيلِ
وإذا أُنهنِهُهـا[5] لِأفتِلَها ... جاشتْ لِيَغلِبَ قولُهـا قولي

(١) الحباء : العطاء .

(٢) خلوف : غيب .

(٣) رهقوه : غشوه ولحقوه .

(٤) هو ابن عمه ، كما تقدم .

(٥) نهنهه : زجره وكفه . وفلته عن كذا : صرفه ولواه ، مثل لفته عنه . وجاشت : هاجت وغلت كما تجيش القدر .

قال : فضرب الزمان ضَرَبانه ، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جَذيمة العبسيّ . فقال خالد لزهير : أما آن لك أن تشتفي وتَكُفّ ؟ — قال الأصمعيّ : يعني بمن قتل بشأس — قال : فأغلظ له زهيرٌ وحقَّره . قال الأصمعيّ : وأخبرني طَلحة بن محمد بن سعيد بن المُسيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش . فلمّا حقَّره زهير وسبَّه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدّده . ثم قال : اللهمّ أمكِن يدي هذه الشقراء القصيرة من عُنق زهير بن جذيمة ثم أعِنّي عليه . فقال زهير : اللهم أمكِن يدي هذه البيضاء الطويلة من عُنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زهير ! فقال : إنكم والله الذين لا عِلمَ لكم .

قال الأصمعيّ : ثم نرجع الى حديث العبسيين والعامريين ، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء . قال : فجاء أخو امرأة زهير — وكانت امرأته فاطمةَ بنتَ الشَّريد السُّلَمية ، وهي أمّ قَيس بن زهير ، وكان زهيرٌ قد أساء اليهم في شيء — فجاء أخوها الى بني عامر فقال : هل لكم في زهير بن جذيمة يَنتِجُ إبلَه ليس معه أحدٌ غير أخيه أسيدِ بن جذيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ! وجئتُكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لي . فذاقوه فإذا هو ليس بجازر ، فعلموا أنه قريبٌ . فخرج حُندُجُ ابن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقيل ، ليس على أحدهم دِرعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عَمرو بن يَربوع الغَنَويّ ، وكانت دِرعَ ابن الأجلح المُراديّ كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزِمّة . وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عُرًى تُعلَّق فضولُها بها اذا أراد أن يشمّرها . قال : فطلعوا . فقال أسيدُ بن جذيمة — قال الأصمعيّ : وكان أسيدٌ شيخاً كبيراً ، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد — : أتيتَ وربِّ الكعبة . فقال زهير : « كلُّ أزَبَّ نَفورٌ » فذهبتْ مثلًا . فلم يشعر بهم زهيرٌ إلّا في سَوادِ الليل ، فركب فرسه ثم وجّهها فلحقه قومٌ أحدُهم حُندُجٌ أو العُقَيليّ — واختلفوا فيهما — فطعن فخذَ الفرس طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يَطعُنَ الرِّجل الصحيحةَ ، فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أَقبِل على السقيمة . قال : فطعنها فانخذلتْ الفرسُ فأدركوه . فلمّا أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتلوني ومُجَدِّعا !

فجاء حُندُجٌ – وكان أعجم اللِّسان – فقال لخالد وهو فوق زهير: نَحِّ رأسك يا أبا جَزْء، فنحَّى رأسه، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ، ثم ركبوا وتركوه. قال فقال خالد: وَيحك يا حُندُج ما صنعتَ؟ فقال: ساعدي شديدٌ، وسيفي حديد، وضربته ضربةً فقال السيف قَبْ، وخرج عليه مثلُ غرةِ المُرار، فطعِمته فوجدته حُلواً (يعني دماغه). قال: إن كنتَ صدَقتَ فقد قتلته. قال: فجاء قومُ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماء كراهة أن يبتلّ دماغُه فيموت. فقال: يا آل غطفان أأموت عطَشاً! فسُقي فمات، وذلك بعد أيام. ففي ذلك يقول وَرقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً، فقال:

رأيتُ زهيراً تحت كَلكل خالدٍ   فأقبلتُ أسعى كالعَجول أُبادرُ
إلى بَطلَين ينهضان كلاهما   يُريدان نَصلَ السيف والسيف نادر

قال الأصمعيّ: فضرب الدهر من ضربانه الى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ ابن ظالم.

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

قتله الحارثُ بن ظالمٍ المُرّيُّ. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غَيظ بن مُرّة وهم في وادٍ يقال له حُراضٌ، فقتل الرجال حتى أسرع[1]، والحارثُ يومئذٍ غلام، وبَقيت النساء.

وزعموا أنّ ظالماً هلك في تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذ. وكانت نساء بني ذبيان لا يحلُبن النَّعَمَ، فلمّا بقين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارث، فيشدّ عِصاب[2] الناقة ثم يحلبنها، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن، فنشأ على بُغض خالد. وأردف ذلك قتل زهير بن جذيمة؛ فأستحقّ العداوة في غطفان. فقال خالد ابن جعفر في تلك الوَقعة:

تركتُ نساء يربوع بن غَيظٍ ... أراملَ يشتكين الى وليدِ
يَقُلنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه ... لك الخيراتُ ما لك لا تسود
تركتُ بَني جذيمة في مَكَرٍّ ... ونصراً قد تركت لدى الشهود
ومنّي سوف تأتي قارعاتٌ ... تَبيدُ المخزياتُ ولا تَبيد
وقيس ابن المعارك غادرتْه ... قَناتي في فوارسَ كالأسود
وحَلّت بَركها ببني جِحاشٍ ... وقد مَدّوا اليها من بَعيد

(١) لعل صوابها. (حتى أسرف).

(٢) عصاب الناقة: ما تشدّ به لتدر؛ يقال: عصب الناقة يعصبها عصباً وعصاباً اذا شدّ فخذيها أو أدنى منخريها بحبل لتدر.

وحيّ بني سبيعٍ يومَ ساقٍ تركناهم كجارية وبيد

قال أبو عبيدة . فمكث خالد بن جعفر بُرهةً[١] من دهره ، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان ، وخالدٌ يومئذ رأسُ هوازن . فلمّا أستحقّ عداوةَ عبسٍ وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألفى عنده الحارث بن ظالمٍ قد أهدى له فرساً فقال : أبيتَ اللعن ، نَعِمَ صباحك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني مُرّة ، فلن تُؤتى بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه ، إن لم تَنسُبه انتسب ، كنتُ أرتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلمّا أكرمتَ خالداً أهديتُه اليك .

وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال : أبيتَ اللعن ! نَعِم صباحُك ، وأهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني عامر أرتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخفِق في غزوةٍ ولم يعتلك في سفرٍ ، وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامرٍ على غيرهم .

قال : فغضب النعمان عند ذلك وقال : يا معشر قيسٍ ، أرى خيلكم أشباهاً ! أين اللواتي كأنّ أذنابها شِقاق أعلامٍ ، وكأنّ مناخرها وِجار[٢] الضِباع ، وكأنّ عيونها بَغايا النساء ، رِقاقُ المستطعَم[٣] ، تُعالك اللجم في أشداقها ، تدور على مَذاوِدِها[٤] كأنها يَقضَمنَ[٥] حصًى . قال خالد : زعم الحارث — أبيتَ اللعن — أنّ تلك الخيل خيله وخيل آبائه . فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلمّا

(١) البرهة (بالضم وبالفتح) : المدة الطويلة .

(٢) الوجار (بالفتح وبالكسر) : جحر الضبع وغيرها .

(٣) مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها .

(٤) المذاود : جمع مذود (وزان منبر) وهو معتلف الدابة .

(٥) القضم : الأكل بأطراف الاسنان أو هو أكل الشيء اليابس .

أمسَوا اجتمعوا عند قَينـةٍ من أهل الحيرة يقال لها بنت عَفزَرٍ يشربون . فقال خالدٌ : تَغَنّيْ :

دارٌ لهندٍ والرَّباب وفَرتَنى ولِميسَ قَبلَ حوادثِ الأيامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم . فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، وقال : ما تَزال تُتبِعُ أولى بآخرة ! قال أبو عبيدة : ثم إن النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً ؛ فطفق خالد بن جعفر يأكل ويُلقي نَوَى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث . فلمّا فرغ القوم قال خالد بن جعفر : أَبيتَ اللعن ! انظر الى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوى ! ما ترك لنـا تمراً إلّا أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلت التمر وألقيتُ النَّوى ، وأمّا أنت فأكلته بنواه .

فغضب خالد وكان لا يُنازع ، فقال : أتُنازعني يا حارثُ وقد قتلتُ حاضرتك وتركتك يتيماً في حُجور النساء ! فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أشهَدْه ، وأنا مُغنٍ اليوم بمكاني . قال خالد : فهلّا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيّد غطفان ! قال : بلى أشكرك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم الى بنت عَفزَرٍ ، فشرب عندها وقال لها تَغَنّيْ :

تَعَلَّمْ أَبيتَ اللعن أنّيَ فاتـكٌ من اليوم أو من بعده بابن جعفرِ
أخالدُ قد نَبَّهتَني غيرَ نائمٍ فلا تَأمَنَنْ فتكي يَدَ الدهر واحذَرِ
أعيّرتَـني أن نِلتَ منّا فوارساً غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنّانِ عَبقَرِ [١]
أصابهم الدهرُ الختورُ بختره [٢] ومَن لا يَقِ الله الحوادثَ يعثُرِ
فعلّك يوماً أن تنوء بضربـةٍ بكفِّ فتًى من قومه غيرِ جَيدَرِ [٣]

(١) عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

(٢) الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .

(٣) غير جيدر : غير قصير .

يُغِضَّ بها عُليا هَوازِنَ ، والمُنى … لقاءُ أبي جَزءٍ[1] بأبيضَ مِبتَرِ

قال : فبلغ خالد بن جعفرٍ قوله فلم يَحفل به . فقال عبد الله بن جَعدة — وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجل قَيسٍ رأياً — لابنه : يا بُنيَّ ائتِ أبا جَزء فأخبِرْه أنَّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور ، فأخفِ مَبيتك الليلة ؛ فإنه قد غلبه الشرابُ . فإن أبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلًا ليحرُسك . فوضعوا رجلًا بإزائه ، ونام ابن جعدة دون الرجل ، وخالدٌ من خَلفِ الرجل . وعرف أنَّ ابن عُتبة وابنَ جعدة يحرُسان خالداً . فأقبل الحارثُ فانتهى الى ابن جعدة فتعدّاه ، ومضى الى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل يَكدِمُه[2] لا يعقِل ، فخلى عنه والرجل تحته ، ومضى الى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . فقال لعُروة[3] : أخبِرِ الناسَ أني قتلتُ خالداً . وقال في ذلك :

ألا سائلِ النعمان إن كنتَ سائلًا … وحيَّ كِلابٍ هل فتكتَ بخالدِ
عَشَوتُ عليه وابنُ جَعدة دونَه … وعُروةُ يَكلأُ[4] عمَّه غيرِ راقد
وقد نصبا رَجلًا[5] فباشرتُ جوزَه … بكلكلِ مَخشيِّ العداوة حارد
فأضربُه بالسيف يأفوخَ[6] رأسِه … فصمَّم حتى نال نُوطَ القلائد
وأفلتَ عبدُ الله مني بذُعره … وعُروةُ من بعد ابنِ جَعدة شاهدي

---

(١) أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر أي سيف قاطع .

(٢) الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها .

(٣) هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر ، كما يفهم من الشعر الذي بعده .

(٤) يكلا : يحفظ ويحرس . وهو مهموز . ولو ترك همزه جاز أن يقال فيه يكلا مثل يخشى (كما ورد هنا) ويكلو مثل يدعو .

(٥) الرجل (بسكون الجيم) : لغة في الرجل (بضمها) . وجوز كل شيء : وسطه . وحارد : غاضب .

(٦) اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط . ونياط كل شيء معلقه .

فلمّا أبتْ غطفانُ أن تجيره غضبت لذلك بنو عبس . وبعث اليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات :

جزاكَ اللهُ خيراً من خليلٍ ... شفى من ذي تَبُولته[1] الخليلا
أزحتَ بها جوًى ودخيلَ حُزنٍ ... تمخّخ[2] أعظمي زمناً طويلا
كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيٍّ ... ولم تَحفِلْ به سيفاً صقيلا
أبأتَ[3] به زهيرَ بني بغيضٍ ... وكنتَ لمثلها ولها حمولا
كشفتَ له القناع وكنت ممن ... يُجلّي العارَ والأمرَ الجليلا

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتاني عن قُبَيسٍ بني زُهيرٍ ... مقالةُ كاذبٍ ذكر التَّبُولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتل ثاركم حِرزاً أصيلا
ولكن قلتم جاوِرْ سِوانا ... فقد جلّلتنا حدثاً جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا أخاكم ... لما طردوا الذي قتل القتيلا

قال أبو عبيدة : فلمّا منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة ، فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في عُليا هوازن . فلمّا كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غنيٍ ببعض البوادي ، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكَمأةَ ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصرته ومَنعه . فانطلق بها الغنويّ الى رحله ، فانسلّت في وسطٍ من الليل ، فأتى الغنويُّ الأحوصَ بن جعفر ، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال : هي

(١) التبولة : جمع تبل (بالفتح) وهو هنا الثأر .
(٢) تمخخ العظم : أخرج مخه .
(٣) أبأت القاتل بالقتيل . قتلته به . والظاهر أن في الكلام قلباً ، أي أبأته بزهير بني بغيض .

مُنذِرةٌ عليك . فقال له الأحوصُ : ومتى عهدُكَ بها ؟ قال : عهدي بها والماءُ يقطر من فرجها . قال : وأبيك إنّ عهدك بها لقريب .

وتبع المرأةَ عامر بن مالك يَقُصّ أثرها حتى انتهى الى بني زُرارة والمرأةُ عند حاجب وهو يقول لها : أخبريني أيُّ قومٍ أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني مَن في القوم ؟ قالت : رأيتهم يَغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه[1] حتى يرفعوا له من حاجبيه . قال : ذلك الأحوصُ بن جعفر . قالت : ورأيت شاباً شديد الخَلق ، كأن شعر ساعديه حَلَقُ الدّرع يَعذِم[2] القوم بلسانه عَذمَ الفرس العَضوض. قال : ذلك عُتبةُ بن بَشير بن خالد . قالت : ورأيت كهلاً اذا أقبل معه فتيان[3] ، يُشرف القوم اليه ، فإذا نطق أنصتوا . قال : ذلك عمرو بن خُوَيلدٍ ، والفتيان أبناه زُرعةُ ويزيد . قالت : ورأيت شاباً طويلاً حسناً ، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَؤُلُّون[4] اليه كما تؤلُّ الشَّول[5] الى فحلها . قال : ذلك عامر بن مالك .

قال أبو عبيدة : فدعا حاجبٌ الحارث بن ظالم فأخبره برأيه وخبرِ القوم وقال : يابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتوك ، فما أنتَ صانع ؟ قال الحارث : ذلك اليك ، إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم ، وإن شئتَ تنحّيتُ . وقال حاجب : تَنحّ عني غير ملوم . فغضب الحارث من ذلك وقال :

لَعمري لقد جاورتُ في حَيّ وائلٍ ... ومِن وائلٍ جاورتُ في حَيّ تغلِبِ

---

(١) المأق : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدّمها .

(٢) العذم : العض . والمراد بعذم اللسان اللوم والتعنيف .

(٣) ظاهر أن في الكلام نقصاً ، وتقدير الكلام : « ... اذا أقبل أقبل معه فتيان » أو « ... كان معه فتيان » .

(٤) الأل : السرعة .

(٥) الشول : جمع شائلة وهي الناقة التي خف لبنها وارتفع ضرعها .

فأصبحتُ في حيِّ الأراقمِ لم يَقُل لِيَ القومُ يا حارِ بن ظالمٍ أذهبِ
وقد كان ظَنّي إذ عقلتُ اليكم بني عُدُسٍ ظَنّي بأصحابِ يَثرب
غداةَ أتاهم تُبَّعٌ في جنوده فلم يُسلِموا المرءَ من حيِّ يَحصُبِ
فإن تكُ في عليا هوازن شوكةٌ تُخافُ ففيكم حدُّ نابٍ ومِخلَب
وإن يَمنعِ المرءُ الزُّراريُّ جارَه فأعجِب بها من حاجبٍ ثم أعجِب

فغضب حاجب فقال :

لَعَمرُ أبيكَ الخيرِ يا حارِ إنني لأمنعُ جاراً من كُلَيبِ بن وائلِ
وقد علِمَ الحيُّ المَعَدّيُّ أننا على ذاك كنّا في الخطوبِ الأوائل
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً لبسنا له ثوبَيْ وَفاءٍ ونائل
وأنَّ تميماً لم تُحارب قبيلةً من الناس إلا أولعتْ بالكواهل
ولو حاربتْنا عامرٌ يابنَ ظالمٍ لعضتْ علينا عامرٌ بالأنامل
ولاستيقنت عُليا هوازن أننا سنورطُها في دارها بالقنابل
ولكنني لا أبعث الحربَ ظالماً ولو هِجتُها لم آلُ شحمةَ آكل

قال : فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارة فلحق بعَروض اليمامة . ودعا معبداً ولقيطاً ابنَيْ زرارة فقال : سِيرا في الظُّعُن ، فوعدُكما رَحرَحان ؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن نَدَعهم بمكانهم ونسبِقهم الى الظُّعُن . قال : فلقُوها برَحرحان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها ، وأُسر معبدٌ وجُرح لَقيطٌ . فبعثوا بمَعبَد الى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى ، فقطَّعه إرباً إرباً حتى قتله . وقال عامر بن مالك يرُدّ على حاجب قوله :

أَلِكني الى امرِء الزُّراريِّ حاجبٍ رئيس تميم في الخطوب الاوائل
وفارسها في كلِّ يومِ كريهةٍ وخيرِ تميم بين حافٍ وناعل
لَعمري لقد دافعتُ عن حيِّ مالكٍ شآبيبَ(١) من حَربٍ تلقّحُ حائل(٢)

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب . وشؤبوب كل شيء : حدّه ، او الدفعة منه .

(٢) يقال : تلقحت الناقة اذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهي ليست كذلك . وحائل : غيرحامل .

على كل جرداء السَّراةِ طِمِرَّةٍ وأجرَدَ خوّارِ العِنانِ مُناقل[١]
نصحتُ له إذ قلتُ إن كنتَ لاحقاً بقومٍ فلا تعدِل بأبناء وائل
ولو ألجأته[٢] عُصبةٌ تغلبيَّةٌ لسرنا اليهم بالقنا والقنابل[٣]
ولو رُمتُمُ ان تمنعوه رأيتُمُ هناك أموراً غيُّها غيرُ طائل
لشابَ وليدُ الحيِّ قبلَ مشيبِهِ وعضَّت تميمٌ كلُّها بالأنامل
وقامتْ رجالٌ منكم خِندِفيَّةٌ يُنادون جهراً ليتَنا لم نُقاتِل

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى أتى سلمى بنتَ ظالم وفي حجرها ابن النُّعمان، فقال لها : إنه لن يُجيرَني من النُّعمان إلا تحرُّمي بابنه ، فادفعيه اليَّ . وقد كان النُّعمان بعث الى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنَّ ؛ فدعاه ذلك الى قتل الغلام فقتله . فوثب النُّعمان على عمِّ الحارث بن ظالم فقال له : لأقتلنَّك أو لتأتيني بابن أخيك . فاعتذر اليه فخلَّى عنه . فأقبل ينطلق فقال :

يا حارِ[٤] إني أحيا من مُخبَّأةٍ وأنتَ أجرأ من ذي لِبدةٍ ضاري[٥]
قد كان بيتي فيكم بالعلاء فقد أحللْتَ بيتي بين السَّيل والنار
مهما أخفكَ على شيءٍ تجيء به فلم أخفكَ على أمثالها حارِ
ولم أخفكَ على ليثٍ تُخاتِله[٦] عبلِ الذِّراعينِ للأقران هصَّار

---

(١) الاجرد من الخيل : القصير الشعر ، والخيل تمدح بذلك . والسراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر وهو الفرس الجواد ، او المشمر الخلق ، او المستفز للوثب والعدو ، او الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف . والمناقل من الخيل : الذي يتقي في عدوه الحجارة وهو أن يضع يده ورجله على غير حجر لحسن نقله في الحجارة .

(٢) ألجأته هنا : عصمته .

(٣) القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قنبلة وقنبل (بالفتح فيهما) .

(٤) في الاصول : « إنك » . والتصويب للمرحوم الشنقيطي في نسخته .

(٥) الضاري من السباع : الذي يغري بالصيد ويلهج بالفرائس .

(٦) تخاتله : تخادعه .

وقد علمتُ بأني لن يُنجّيني ... مما فعلتَ سوى الإقرار بالعارِ
فقد عَدَوتَ على النُّعمان ظالمِه ... في قتل طفلٍ كمثل البدر مِعطارِ[١]
فاْعلَم بأنك منه غيرُ مُنفلِتٍ ... وقد عدوتَ على ضِرغامةٍ شاري[٢]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك :

شعر الحارث في قتله ابن النعمان :

قِفا فاْسمعا أخبرْكما إذ سألتما ... مُحاربُ مولاه ، وثكلانُ نادمُ
حَسبتَ أبا قابوسَ أنكَ سابقي ... ولمَّا تَذُق ثُكْلاً وأنفك راغم
أُخصيَيْ حمارٍ بات يَكدُم نجمةً[٣] ... أتؤكَلُ جاراتي وجارُكَ سالمُ
تمنَّيتَهُ جهراً على غير ريبةٍ ... أحاديثُ طسمٍ ، إنما أنت حالمُ
فإن تكُ أذواداً[٤] أصبت ونسوةً ... فهذا ابن سلمى أمرُه متفاقمُ
علوتُ بذي الحيَّاتِ[٥] مفرقَ رأسه ... وكان سلاحي تجتويه الجماجمُ
فتكتُ به فتكاً كفتكي بخالدٍ ... وهل يركب المكروه إلا الاكارم
بدأتُ بهذي ثم أثني بمثلها ... وثالثة تبيضّ منها المقادم

(١) معطار : يتعهد بالطيب ويكثر له منه . وهذا كناية عن أنه ابن نعمة وترف .

(٢) الضرغامة : الاسد ، والرجل الشجاع ، فاما ان يكون على تشبيهه بالاسد او أن ذلك أصل فيه . شاري : وصف من شرى يشري (وزان فرح) إذا غضب ولج في الامر .

(٣) يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له ، والشجر ما له ساق طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدة النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيل . شبهه بخصي الحمار لتحقيره وتصغيره ، أو أنه مشنج الوجه متغضنه كخصي الحمار إذا كدم نجمة ، وذلك لصلابتها .

(٤) الذود : القطيع من الابل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث الى العشر .

(٥) ذو الحيات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيّات .

شفيتُ غليلَ الصدرِ منه بضربةٍ كذلك يأبى المُغضبون القماقم[١]

فقال النعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سِنان بن أبي حارثة المُرّي[٤] — وهو يومئذٍ رأس غَطفانَ — : أبيتَ اللَّعنَ ! والله ما ذِمّةُ الحارث لنا بذمّة ، ولا جاره لنا بجار ، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالم قولُ سِنان بن أبي حارثةَ ، فقال في ذلك :

شعر للحارث يخاطب به النعمان :

ألا أبلغِ النُّعمان عني رسالةً فكيف بخطّابِ الخُطوب الاعاظم
وأنتَ طويلُ البغي أبلجُ[٢] مُعوِرٌ[٣] فَروعٌ اذا ما خِيف إحدى العظائم
فما غرّه والمرء يُدرك وِترَه بأروع ماضي الهمِّ من آل ظالم
أخي ثقةٍ ماضي الجنان مُشيَّعٍ[٤] كَميشٌ[٥] التَّوالي عند صدقِ العزائم
فأُقسمُ لولا مَن تعرّض دونه لَعُولي بهنديٍّ الحديدة صارم
فأقتُلُ أقواماً لِئاماً أذلّةً يَعَضُّون من غيظٍ أصولَ الاباهم
تمنّى سِنانٌ ضَلّةً أن يُخيفني ويأمنَ ، ما هذا بفعل المُسالم
تمنّيتَ جهداً أن تَضيعَ ظُلامتي كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرّواسم[٦]

(١) القماقم : جمع قمقام ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

(٢) الأبلخ : المتكبر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . والأبلج (بالجيم) وصف مدح فلا يناسب الهجو هنا .

(٣) معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

(٤) المشيع : الشجاع ، لان قلبه لا يخذله فكأنه يشيعه ، أو لأن نفسه تشيعه على ما يقدم عليه — ومثله تشايعه — أي تتبعه وتشجعه .

(٥) كميش التوالي : يريد أنه مشمر جادّ . وتوالي كل شيء : أواخره .

(٦) رقص الابل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل سير لين .

يمين أمرىء لم يرضع اللؤمَ ثديه ولم تتكنّفه عروقُ الألائم

قال : فأمّنه النعمان ، وأقام حيناً . ثم ان مصدّقاً للنّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرّة يقال لها دَيهثُ ؛ فأتت الحارث فعلّقت دلوها بدلوه ومعها بُنيٌّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إني أتيتك مُضافةً[1]. فقال الحارث : اذا أورد القومُ النَّعمَ فنادي بأعلى صوتك :

دعوتِ بالله ولم تُراعي ذلك راعيكِ فنعمَ الراعي
وتلك ذود الحارث الكساع[2] يمشي لها بصارمٍ قطّاع
يشفي به مجامعَ الصُّداع

وخرج الحارث في أثرها يقول :

أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب[3] كم قد أجرنا من حريبٍ محروبْ
وكم رددنا من سليبٍ مسلوب وطعنةٍ طعنتُها بالمنصوب
ذاك جهيزُ الموت عند المكروب

ثم قال لها : لا تَردَنَّ عليك ناقةٌ ولا بعيرٌ تعرفينه إلا أخذتيه ففعلتْ ؛ فأتت على لَقوحٍ لها يحلِبُها حبشيٌّ ، فقالت : يا أبا ليلى ! هذه لي . فقال الحبشيّ : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرسلها لا أمّ لك ! فضرَط الحبشيّ . فقال الحارث : « إستُ الحالبِ أعلم » ، فسارت مثلاً . قال أبو عُبيدة : ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ :

كما كان أوفى اذ يُنادي ابن ديهثٍ وصرمَتُه[4] كالمغنم المتنهَّبِ

(١) مضافة : ملجأة .

(٢) الكسع : الضرب على الدبر ؛ يقال : ولي القوم فكسعهم بالسيف ، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به .

(٣) المعلوب : اسم سيف له ،

(٤) الصرمة هنا : القطعة من الابل .

فقام أبو ليلى اليـه ابن ظالمٍ وكان متى يسلل السَّيفَ يضربِ
وما كان جاراً غير دلوٍ تعلَّقتْ بحبلين في مُستحصِد القِدِّ مُكرَبِ[1]

قال أبو عُبيدة حدثني أبو محمد عِصامٌ العِجليّ قال : فلماّ قتل الحارث بن ظالمٍ خالدَ بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِندةَ يحِـلّ شُعبي – قال : شُعبي غير ممـدود – فلماّ ألحّ الاسود في طلب الحارث قال له الكِنديّ : ما أرى لك نجاةً إلا أن ألحقك بحضرَموتَ ببلاد اليمن فلا يُوصلَ اليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلماّ غرّبه[2] قال : إنني انقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد برِئتْ منك خفارتي . فرجع حتى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ الى بني عِجل بن لُجيم ، فنزل على زبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفي ذلـك يقول العِجليُّ :

ونحن منعنا بالرِّماح ابن ظالمٍ فظلّ يغني آمِناً في خِبائنا

قال أبو عُبيدة : فجاءته بنو ذُهل بن ثعلبـةَ وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : أخرج هذا المشئوم من بين أظهرنا ، لا يَعُرُّنا بشرّ ؛ فإنا لا طاقـةَ لنا بالملحاء (والملحاء كَتيبةُ الاسوَد) فأبت عِجلٌ أن تُخفِره[3] ، فقاتلوه فامتنعت بنو عجلٍ . فقال الحارث بن ظالمٍ في الكِندي وفيهم :

يُـكلِّفني الكِنديّ سير تنوفةٍ أُكابدُ فيها كلَّ ذي صُبَّةٍ مُثري

– الصُّبَّة : قطعةٌ من الغنم أو بقية منها –

وأقبل دُوني جمعُ ذُهلٍ كأنني خَلاةٌ[4] لِذهلٍ والزّعانف من عمرو

---

(١) المستحصد : الذي أحكم فتله . والمكرب : المشدود بالكرب (بالتحريك) وهو حبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ويثلث .

(٢) غربه : نحاه عن بلاده وأبعده .

(٣) الاخفار : الغدر ونقض العهد .

(٤) الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

ودُوني ركبٌ من لُجيمٍ مُصمِّمٌ وزبّان جاري والخفيرُ على بكرِ
لعمريَ لا أخشى ظُلامة ظالمٍ وسعدُ بن عجلٍ مُجمعون على نصري

لحوقه بطيء:

قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارث: إنّي قد اشتهر أمري فيكم ومكاني، وأنا راحلٌ عنكم. فارتحل فلحِق بطيّئ. فقال الحارثُ في ذلك:

لَعَمري لقد حلّتْ بيَ اليومَ ناقتي الى ناصرٍ من طَيّئٍ غيرِ خاذلِ
فأصبحتُ جاراً للمجرّةِ منهمُ على باذخٍ يعلو على المُتطاول

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو اليهن:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حيّة أنّ الأسود حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يبلغ منه. فقال له عروة بن عُتبة: إنّ له جاراتٍ من بَليِّ بن عمروٍ، ولا أراك تنال منه شيئاً أغيظَ له من أخذهنّ وأخذِ أموالهنّ، فبعث الأسودُ فأخذهن واستاق أموالهنّ.

فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الحين فأنساب في غُمار الناس حتى عرَف موضع جاراته ومَرعى إبلهنّ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّقاع، وكانت لبوناً كأغزَر الإبل، إذا حُلِبتْ أجترّت، ودمعت عيناها وأصغت برأسها، وتَفاجّت[١] تَفاجَّ البائل، وهجمت في المِحلب هجماً حتى تُسنّمه[٢]، وتجاوبت أحاليلُها[٣] بالشَّخب هثّاً[٤] وهثيماً حتى تَصُفّ بين ثلاثة محالب[٥]. فصاح الحارث بها ورجز فقال:

(١) تفاجت: باعدت ما بين رجليها.

(٢) تسنمه: تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام.

(٣) الأحاليل: جمع إحليل، وهو هنا مخرج اللبن من الفرع. والشخب (بالفتح): صوت اللبن عند الحلب. والشخب (بالفتح والضم): ما يخرج من الفرع من اللبن.

(٤) الهث: اختلاط الصوت في حرب او صخب. والمراد هنا اختلاط أصوات الأحاليل عند الحلب.

(٥) أي حتى تملأ ثلاثة محالب فيصف أحدها بعد الآخر.

إذا سمعتِ حنّـةَ اللِّقاعِ فادْعي أبا ليلى ولا تُراعي
ذلكِ راعيـكِ فنِعمَ الرّاعي يُجِبكِ رَحبَ الباعِ والذّراع
مُنطَلِقاً[1] بصارمٍ قطّاع

خلّيا عنهـا! فعرفاه فضرط البائنُ. فقال الحارث: «استُ الضارط أعلمُ» فذهبتْ مثلاً – قال الأثرم: البائنُ الحالبُ الأيمنُ، والمستعلي الحالبُ الأيسر – ثم عمد الى أموال جاراته والى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالهن وسـار معهن حتى أشتلاهنّ (أي أنقذهنّ).

رواية أخرى في قتله ابن الملك:

قال أبو عبيدة: ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً. وكانت أختُه سلمى بنتُ ظالم عند سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ. قال أبو عبيدة: وكان الأسودُ بن المُنذر قد تبنّى سِنانُ بن أبي حارثة المُرّيُّ ابنَه شُرَحبيلَ، فكانت سلمى بنتُ كثير ابن رَبيعة من بني غَنم بن دودان امرأةُ سِنان بن أبي حارثة المُرّيِّ تُرضعه وهي أمّ هَرِمٍ، وكان هَرِمٌ غنياً يقدِر على ما يُعطي سائليه. فجاء الحارثُ، وقد كان أندسَ في بـلاد غطَفان، فأستعار سَرْجَ سِنانٍ، ولا يعلم سِنانٌ، وهم نزولٌ بالشَّرَبَّةِ، فأتى به سَلمى ابنةَ ظالمٍ فقال: يقول لك بَعلك: ابعَثِي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمِن له ويتخفَّر به، وهذا سرجه آية اليك. فزيّنته ثم دفعته الى الحارث، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتله، ثم أنشأ يقول:

قِفا فأسمعـا أخبِركما إذ سألتما مُحاربُ مولاه، وثَكلانُ نادمُ

– ثكلان نادم: يعني الأسود لأنه قُتِل ابنه شُرَحبيل. مُحاربُ مولاه: يعني الحارث نفسه. ومولاه: سِنانٌ –

---

(١) منطلقاً: مشدوداً في وسطه.

أَخَصْيَيْ حِمارٍ باتَ يَكدِمُ نجمةً	أتُؤكَلُ جاراتي وجـارُكَ سالمُ
حَسِبتَ أبيتَ اللَّعنَ أنك فائتٌ	ولمّا تَذُقْ ثُكـلًا وأنفُكَ راغمُ
فإن تكُ أذواداً أُصبتَ ونسوةً	فهـذا ابنُ سَلمى رأسُه مُتفاقمُ
علوتُ بذي الحيّاتِ مَفرِقَ رأسه	وكان سِلاحي تجتويـه الجماجم
فتكتُ بـه كما فتكتُ بخالدٍ	ولا يركبُ المكروه إلا الأكارم
بدأتُ بتلك وأنثيتُ بهـذه	وثالثةٍ تبيضّ منهـا المَقادم

قال: ففي ذلك يقول عَقيلُ بنُ عُلَّفة في الإسلام وهو من بني يَربوع بن غَيظ بن مُرَّة لمّا هاجى شبيب بن البرصاء، وأبوه يزيد، وهو من بني نُشبة بن غَيظ ابن مُرَّة ابن عمّ سِنان بن أبي حارثة، فعيّره بقتل الحارث بن ظالمٍ شُرَحبيل لأنه ربيبُ بني حارثةَ بن مُرَّة بن نُشبةَ بن غَيظ رَهطِ شَبيبٍ، ففي ذلك يقول عُقَيلٌ:

قتلنا شُرَحبيلًا ربيبَ أبيكم	بناصيةِ المعلوب ضاحية غصبًا[1]
فلم تُنكِروا أن يَغمِزَ القومُ جارَكم	بإحدى الدَّواهي ثم لم تَطلُعوا نَقبا[2]

قال أبو عبيدة: وهرَب الحارث، فغزا الأسود بني ذُبيان إذ نقضوا العهد وبني أَسدٍ بشَطِّ أريكٍ. قال أبو عبيدة: وسألته عنـه فقال: هما أريكان الأسود والأبيض، ولا أدري بأيّهما كانت الوقعة. قال أبو عُبيدة وقال آخرون: إنّ سَلمى امرأة سِنان التي أخذ الحارث شُرَحبيل من عندها من بني أَسدٍ. قال: فإنما غزا الأسود بني أَسدٍ لدفع الأَسَديّة سَلمى ابنه الى الحارث، فقتل فيهم قتلًا ذَريعاً وسبى وأستاق أموالهم. وفي ذلك يقول الأعشى ميمون:

---

(١) المعلوب: سيف الحارث بن ظالم. وضاحية: علانية وجهراً.

(٢) النقب: الطريق، أو الطريق الضيق في الجبل. ويظهر أنه كنى بعدم طلوع النقب عن عدم السعي في طلب الثأر.

وشيوخٍ صَرعى بشطَّيْ أريـكٍ ونساء كأنّهنّ السَّعـالي[1]
من نَواصي دُودانَ إذ نقضوا العهـد وذُبيانَ والهجـانِ الغوالي
رُبَّ رَفدٍ هَرقته ذلك اليو م وأسرى من معشرٍ أقتـال[2]
هؤلا ثم هؤلا كُـلًّا أحذيـتَ نِعالًا مَحذوّةً بمثـال
وأرى مَن عصاكَ أصبح مخـذو لًا وكعبُ الذي يُطيعك عالي

قال: ووُجد نعلُ شُرَحبيل عند أضاخٍ، وهو من الشَّرَبّة في بني مُحاربِ بن خَصَفةَ بن قَيس عَيلان. قال: فأحمى لهم الأسودُ الصَّفا التي بصحراء أضاخٍ وقال لهم: إني أحذيكم نِعالًا، فأمشاهم على الصَّفا المُحمى فتساقط لحمُ أقدامهم. فلمّا كان الإسلام قتل جَوشَنٌ الكِنديُّ رجلًا من بني مُحاربٍ فأُقيد به جوشنٌ بالمدينة. وكان الكنديُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ، فهجا بني مُحارب فعيّرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال:

على عَهدِ كِسرى نَعلتكم ملوكُنا صَفًا من أضاخٍ حاميًا يتلهّبُ

قال أبو عُبيدة: وصار ذلك مثلًا يتوعّد به الشعراء مَن هَجوه ويحذّرونهم مثل ذلك. ومن ذلك أن ابن عَتّابٍ الكلبي ورد على بني النوس من جَديلة طيّئٍ، فسرقوا سهامًا له؛ فقال يحذّرهم:

بني النوس رُدّوا أسهُمي إنّ أسهُمي كنَعلِ شُرَحبيل التي في مُحاربِ

وقال في الجاهلية ابنُ أمّ كَهف الطائيُّ في مدحه لمالك بن حِمارٍ الشَّمخيّ، فذكر نعل شُرَحبيل فقال:

---

(١) السعالي: جمع سعلاة (بكسر السين) ويقال فيها سعلا (بالمد وبالقصر)، وهي الغول أو ساحرة الجن. وإذا كانت المرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق شبهت بالسعلاة.

(٢) الرفد (بالفتح وبالكسر) هنا: القدح الضخم. والمعنى المراد «رب قتلى» فإن إراقة الرفد يكنى به عن الموت.

ومولاكَ الذي قتل ابنَ سَلمى عَلانيةً شُرَحبيل ابن نَعلِ

لأنه لولا النعل لم يُعرَف، وإنما عُرِف بما صنع أبوه ببني مُحاربٍ من أجل نعله التي وُجدت في بني مُحاربٍ .

قال أبو عبيدة : وأخذ الأسود سِنان بن أبي حارثة ، فأتاه الحارث بن سُفيان أحدُ بني الصارد ، وهو الحارث بن سُفيان بن مُرّة بن عَوف بن الحارث بن سفيان أخو سَيَّار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لأمّه ، فاعتذر الى الأسود أن يكون سِنان ابن أبي حارثة عِلم أو اطّلع ، ولقد كان أطرد الحارث من بلاد غطفان ، وقال : عليَّ دِيَةُ ابنك ألفُ بعيرٍ دِيَةُ الملوك ؛ فحمّلها إيّاه وخلّى عن سنانٍ ؛ فأدّى الى الأسود منها ثمانمائة بعيرٍ ثم مات . فقال سيَّار بن عمرو أخوه لأمّه : أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسود . فرهنه سيَّارٌ قوسه ، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُراد بن حَنَشٍ الصارديُّ بني فَزارة جعل الحمالة كلها لسيَّار ابن عمرو فقال :

ونحن رَهنّا القوس ثُمّتَ فُوديتَ بألفٍ على ظَهرِ الفزاريِّ أقرَعَا
بعَشرِ مِئينٍ للملوك سعى بها لِيُوفيَ سيَّارُ بنُ عمرٍو فأسرعا
رَمينا صفاه بالمِئينَ فأصبحتْ ثَناياه[1] للساعين في المجد مَهيَعا

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعنَبٍ ، فردَّ عليه قُرادٌ فقال :

ما كان ثَعلَبُ ذي[2] عاجٍ ليحملها ولا الفزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانِ[3]

(١) الثنايا : جمع ثنية وهي طريق العقبة ؛ من ذلك قولهم : فلان طلاع الثنايا ، اذا كان سامياً لمعالي الامور . والمهيع : الطريق الواسع الواضح . والظاهر أنه يريد أن يقول : إننا حملناه من التكاليف ما حملناه فاحتملها ، حتى أصبحت سبيله في ذلك سبيلاً لمبتغي المجد .

(٢) ذو عاج : واد في بلاد قيس .

(٣) الجوفان (بالضم) : أير الحمار . ولعله نبز الفزاريّ بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل الجوفان .

لكن تضمّنها ألفاً فأخرجها على تكاليفها حارُ بن سُفيانِ[١]

وقال عُوَيف القوافي بن عُيَينة بن حِصن بن حُذَيفة بن بَدرٍ في الإسلام يفخر على أبي منظور الوَبَريّ حين هاجاه أحد بني وَبرِ بن كلابٍ :

فهل وجدتم حاملاً كحاملي إذ رهنَ القوس بألفٍ كاملِ
بدِيَة ابن الملك الحُلاحِلِ فافتكّها من قبلِ عامٍ قابلِ
سَيّارٌ المُوفي بها ذو النائل[٢]

قال أبو عُبيدة : فلمّا قتل الحارثُ شُرحبيل لحقَ ببني دارمٍ فلجأ الى بني ضمرةَ . قال : وبنو عبدالله بن دارمٍ يقولون : بل جاور معبد بن زُرارة فأجاره فجرّ جُواره يوم رحرحان ، وجرّ يومُ رحرحان يوم جبلةَ . وطلبه الاسود بن المنذرِ بخفرته[٣] . فلمّا بلغه نزوله ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسلِموه فأبَوْا . فقال يمُنّ على بني قَطَن بن نهشَل بن دارم بما كان من النّعمان بن المُنذر في أمر بني رشيَّة وهي رُمَيلة حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى أستنقذهم . ورشيَّة أمةٌ كانت لزرارة بن عُدُس بن زيدٍ المُجاشِعي ، فوطِئها رجلٌ من بني نهشل فأولدها ؛ وكان زُرارة يأتي بني نهشلٍ يطلبُ الغِلمةَ التي ولدتْ ، وولدت الأشهبَ بن رُميلة والرّبابَ بن رميلة وغيرهما ، وكانوا يسمعونه ما يكره ، فيرجع الى ولده فيقول : أسمَعني بنو عمي خيراً وقالوا : سنبعث بهم إليك عاجلاً ، حتى مات زُرارةُ . فقام لَقيطٌ ابنه بأمرهم ؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كره ، ووقع بينهم شرٌ . فذهب النهشليّ الى الملك فقال : أبيتَ اللعنَ ! لا تَصلْني وتصل قومي بأفضل من طِلبتِكَ الى لقيطِ الغِلمةَ ليكُفّ عني . فدعاه فشرب معه ، ثم أستوهبهم منه فوهبهم له . فقال الاسود بن المنذر في ذلك :

---

(١) يريد حارث بن سفيان . والترخيم في غير النداء يأتي في الشعر قليلاً .

(٢) النائل : العطاء .

(٣) الخفرة (بالضم) : الذمة .

كأيِّنْ لنا من نعمةٍ في رقابكم بني قَطنٍ فضلًا عليكم وأنعُما
وكم مِنّةٍ كانتْ لنا في بُيوتكم وقتلِ كريمٍ لم تَعُدُّوه مغرَما
فإنكم لا تمنعون ابنَ ظالمٍ ولم يمس بالايدي الوشيجَ المُقوَّما [1]

فأجابه ضَمْرةُ بن ضمرةَ قال :

سنمنع جاراً عائذاً في بيوتكم بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسلَّما
إذا ما دَعونا دارماً حالَ دونه عوابسُ يَعلُكنَ الشَّكيمَ المُعجَّما [2]
ولو كنتَ حرباً [3] ما وردتَ طُويلعاً ولا حوفه إلا خميساً عرَمرما
تركتَ بني ماء السماء وفِعلهم وأشبهتَ تيساً بالحجاز مُزنَّما [4]
ولن أذكر النُّعمان إلا بصالحٍ فإنَّ له فضلًا علينا وأنعُما

قال : وبلغ ذلك بني عامر ، فخرج الاحوص غازياً لبني دارم طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطوَوا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتقَوا برحرَحانَ ، فهُزمت بنو دارمٍ ، وأسر معبد بن زُرارة ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعدُ .

ثم أسر بنو هِزّان الحارثَ بن ظالم . وقال أبو عُبيدةَ : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحيةٍ من بلاد ربيعة ، ووضع سلاحه وهو في فلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام ، فمرَّ به نفرٌ من بني قيس بن ثعلبة

(١) الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه . والمقوّم هنا : الذي أزيل عوجه .

(٢) علكه : لاكه وحركه في فيه . والشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم . والمعجم : المعضوض .

(٣) حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدوّ المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

(٤) المزنم من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقه تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز . والمزنم أيضاً : الذي تقطع أذنه وتترك له زنمة .

ومعهم قومٌ من بني هِزّان من عنزةَ وهو نائمٌ ، فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه ، فانتبه وقد شدّوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على ان يُخبرهم من هو فلم يفعل . فاشتراه القيسيّون من الهِزّانيّين بزقِ خمرٍ وشاة — ويقال : اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق[١] بكرةٍ وعشرين من الشاء — ثم انطلقوا به الى بلادهم . فقالوا له : من انت ؟ وما حالك ؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال وهو قريبٌ من اليمامة .

قال : فبينا هم على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مرّةً وتهدّداً أخرى ولِيناً مرّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى ملّوه ، فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً ، فتوجه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه ، فلقي غِلمةً يلعبون ، فنظر إلى غلام منهم أخلقهم للخير عنده فقال : مَن انت ؟ قال : أنا بُجيرُ بن أبجرَ العِجليّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذ وأمّه امرأة قتادةَ بن مَسلمةَ الحنفي . فأتاه وأخذ بحقويه والتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إن عِجلاً أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الاول الذي ذكرناه في اوّل الحديث . فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال : ائتِ عمّك قتادة بن مَسلمة الحنفيّ فأخبره ؛ فأتى قتادة فأخبره فأجاره .

قال أبو عُبيدة : وأمّا فِراسٌ فزعم أنه أفلت من بني قيسٍ فأقبل شدّاً حتى أتى اليمامة ، واتّبعوه حتى انتهى الى نادي بني حَنيفَة وفيه قتادةُ بن مَسلمةَ . فلمّا رأوه يَهوي نحوهم قال : إن هذا لخائفٌ ، وبصر بالقوم خَلفه فصاح به : الِحصنَ الِحصن ! فأقبل حتى ولج الِحصن . وجاءت بنو قيسٍ ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الِحصن لأسلمتُه اليكم ، فأمّا اذا تحرّم بي فلا سبيل اليه . قال فقالوا : أسيرُنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه ، وإنما أتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومك وجيرُتك . قال أمّا ان اسلمه أبداً فلا يكون ذلك ،

---

(١) اغلاق الرهن : ايجابه للمرتهن اذا لم يفك . والمراد هنا اعطاه من باعه بكرة وعشرين من الشاء .

ولكن اختاروا مني : ان شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني ، وان شئتم أعطيته سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دُونَكُموه : فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : ان أفلتَّهم فرُدَّ اليَّ الفرس والسلاحُ لك .

قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الوادي ، ثم اتّبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قُشَيرٍ ، وهو قريبٌ من اليامة أيضاً بينهما أقلُّ من يوم . فلماً صار الى بلاد بني قُشير يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرفه بنو قُشَير فانطوا عليه واكرموه . وردَّ الى قَتادة بن مَسلمة فرسه وأرسل اليه بمائة من الإبل ، لا أدري أأعطاه إياها بنو قُشَير من أموالهم ليكافيء بها قتادة أم كانت له ، لم يُفسِّر أبو عُبيدة أمرها ولا سألته عنها . فقال الحارث بن ظالم في ابنيْ حُلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيّين وفيا كان من أمره — قال أبو عُبيدة : ويقال أسره راعيان من بني هِزّان يقال لهما ابنا حُلاكة — :

أبلغ لديك بني قيسٍ مُغلغلةً ... أني أُقَسِّمُ في هِزّان ارباعا
ابنا حُلاكة باعاني بلا ثمن ... وباع ذو آل هزّانٍ بما باعا
يا بني حُلاكة لمّا تأخذا ثمني ... حتى أُقسمَ أفراساً وأدراعا
قَتادةُ الخيرُ نالتني حَذيَّتُه[1] ... وكان رِقدماً الى الخيرات طلّاعا

وقال في ذلك أيضاً :

همّت عُكابةُ أن تَضيمَ لجيا[2] ... فأبتْ لُجيمَ ما تقول عُكابَه
فاسقي بُجيراً من رحيقٍ مُدامة ... واسقي الخفير وطهّري أثوابه

---

(١) الحذية : العطية .

(٢) لجيم : اسم القبيلة بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء ؛ وبهذا لا يتزن الشعر . فلعل الشاعر تصرف فيه فشدد الياء .

جاءت حَنيفةُ قبل جيئة يشكُرٍ كلّا وجدنا أوفياء ذؤابَهْ

مروره برجل من بني أسد :

وزعم أبو عُبيدة انّ الحارثَ لمّا هُزمت بنو تميم يوم رحرحان مرّ برجلٍ من بني أسدِ بن خُزَيمة ؛ فقال : يا حار إنك مشئوم وقد فعلتَ ما فعلت ، فأنظر اذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرقة رحرحان فإنّ لي به جملاً أحمر فلا تَعرض له . وإنما يعرِّض له ويكره أن يصرّح فيبلغ الاسود فيأخذه . فلمّا كان الحارثُ بذلك المكان أخذ الجمل فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايرُ من أمامه ولا يُسبَقُ من ورائه . فبلغ ذلك الاسود ، فأخذ الاسودُ الاَسديّ وناساً من قومه . وبلغ ذلك الحارث ابن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلا يتّهمهم الاسودُ :

أراني الله بالنَّعَمِ الْمُنَدَّى[١] بِبُرْقةِ رَحرَحان وقد أراني
لحيِّ الأنكدينَ وحيِّ عَبسٍ وحيّ نَعامةٍ وبني غُدان

لحوقه بمكة وانتماؤه الى قريش :

قال : فلمّا بلغ قوله الأسود خلّى عنهم ولحق الحارث بمكة وانتمى الى قريش؛ وذلك قوله :

وما قومي بثعلبة بن سَعدٍ ولا بفَزارة الشُّعرِ الرّقابا
وَقومي إن سألتِ بنو لُؤَيٍّ بمكة عَلّموا مُضَرَ الضِّرابا

قال : فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحيُّ على ناقة ؛ فذلك قوله :

وهشّ رَواحةُ الجُمَحيُّ رَحلي بناجيةٍ[٢] ولم يَطلُبْ ثَوابا

---

(١) تندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلاً ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردها الى الماء .

(٢) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها .

كأنَّ الرَّحل والأنساعَ منها ومِيثَرتي[١] كُسِين أقبَّ جابا

لحوقه بالشام عند ملك من غسَّان ومقتله :

– يروى « حَشّ » و « هَشّ » وهما لغتان . وحَشّ سوّى – قال : فلحق الحارث بالشأم بملك من ملوك غسَّان – يقال هو النعمان ، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغسَّانيّ – فأجاره . وكانت للملك ناقة مُحماةٌ في عُنقها مُديةٌ وزِنادٌ وصُرةُ مِلح ، وإنما يختبر بذلك رعيَّته هل يجترئ عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان، فوَحِمتْ إحدى امرأتيه – قال أبو عبيدة : وأصابت الناس سنةٌ شديدةٌ – فطلبت الشَّحمَ اليه . قال : ويحكِ ! وأنّى لي بالشحم والوَدَكِ ! فألحت عليه ، فعمد الى الناقة فأدخلها بطنَ وادٍ فلبَّ[٣] في سَبَلتها[٢] (أي طعن) . فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عُكَّتها .

قال : وفُقِدتِ الناقة فوُجدت نحيراً لم يُؤخذ منها إلا السَّنامُ ، فأعلموا ذلك الملكَ ، وخفي عليهم مَن فعله . فأرسل الى الخِمس التَّغلبي – وكان كاهناً – فقال : مَن نحر الناقة ؟ فذكر أنَّ الحارث نحرها . فتذمَّم[٤] الملك وكذَّب عنه . فقال : إن أردت أن تعلم عِلمَ ذلك فدُسّ امرأةً تطلب الى امرأته شحماً ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته اليها شحماً ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلمّا فقدت المرأة قال الخِمسُ : غالها ما غال الناقة ، فإن كرِه الملكُ أن يفتِّشه عن ذلك

---

(١) الانساع : جمع نسع (بالكسر) وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة هنا : وطاء محشوّ يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والاقب : الضامر . والجاب (يهمز ولا يهمز) : القوي الغليظ . يريد : كأن رحله وأدواته وضعت على عير وحشي أو ثور وحشي لقوّة الناقة التي رحل عليها وسرعتها .

(٢) سبلة البعير هنا : ثغرة نحره .

(٣) يقال : لب البعير اذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره .

(٤) تذمم : استنكف .

فليأمر بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِث بيته ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارث فقتله ؛ فأُخذ الحارثُ فحُبس . فاستسقى ماء فأتاه رجـلٌ بماء فقال : أتشرَب ؟ فأنشأ الحارث يقول :

لقد قال لي عند المجاهد[1] صاحبي وقد حيل دون الميش[2] هل أنت شاربُ
وَدِدتُ بأطراف البَنان لوَ أنني بذي أروَنَى ترمي وراني الثّعالب

— الثعالب : من مُرّة وهم رُماةٌ . أروَنَى : مكانٌ . وقال مَرّةً أخرى : الثعالب بنو ثعلبة . يقول : كانوا يرمون عنّي ويقومون بأمري — قال : فأمر الملك بقتله . فقال : إنك قد أجرتني فلا تَغدِرني . فقال : لا ضيرَ ! إن غدرتُ بك مرّةً فقد غدرت بي مِراراً . فأمر مالِكَ بن الخِمس التغلبيَّ أن يقتله بأبيه . فقال : يا أبنَ شرِّ الأظماء أنت تقتلني ! فقتله . وقال ابن الكلبيّ : لمّا قام ابن الخِمس الى الحارث ليقتله قال : مَن أنت ؟ قال : ابنُ الخِمس . قال : أنت ابن شَرِّ الأظماء . قال : وأنت ابن شرّ الأسماء ؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضريّ — وهم حيٌّ من جُرهُم — يرثي الحارث بن ظالم :

يا حـارِ حِنّياً[3] حُراً قُطـامياً
ما كُنت ترعيّـاً[4] في البيت ضِجعيّـا

---

(١) المجاهد : الشدائد .

(٢) الميش : الخلط ، كخلط الشعر بالصوف ، والصدق بالكذب ، والهزل بالجد ، واللبن الحلو باللبن الحامض ، وهو لا يتفق مع السياق هنا .

(٣) لعل حنيا : منسوب الى الحن (بكسر الحاء) وهو حيّ أو ضرب من الجن . والقطامي (قيس يفتحون القاف وسائر العرب يضمون) : الصقر ، ويستعمل في غير الصقر على التشبيه به .

(٤) الترعي ومثله الترعية (بكسر التاء وضمها وتشديد الياء) : الذي يجيد رعية الابل ؛ لانه يحسن الالتماس والارتياد للكلأ ، وهذا من عمـل أصاغر الناس لا السادة والاشراف . والضجعي بكسر (الضاد وضمها) : الذي يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .

أدعى[1] لُباخيًا[2] مُمَلًّأً عِيًّا

وأخذ ابن الخِمس سيف الحارث بن ظالم المعلوبَ، فأتى به سوقَ عُكاظَ في الحرَم، فجعل يعرضه على البيع ويقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاستراه إيّاه[3] قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إيّاه، فعلاه به حتى قتله في الحرَم. فقال قيس بن زهير يرثي الحارث بن ظالم:

ما قَصَرتْ[4] من حاضنٍ سِترَ بيتها أبرَّ وأوفى منك حارِ بن ظالم
أعزَّ وأحمى عند جارٍ وذِمّةٍ وأضربَ في كابٍ من النَّقع قاتم

هذه رواية أبي عبيدة والبَصريّين. وأمّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنّ النعمان بن المنذر هو الذي قتله. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال:

لمّا هرب الحارث الى مكة أسف النُّعمانُ بن المنذر على فَوْته إياه، فلَطَفَ له وراسله وأعطاه الأمان، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من ربيعة ومُضَر واليمن أنه لا يطلبه بذَحلٍ ولا يسوءه في حال، وأرسل به مع جماعة ليسكُنَ الحارثُ اليهم، وأمرهم أن يتكفَّلوا له بالوفاء، ويَضمنوا له عنه أنه لا يَهيجه، ففعلوا ذلك. وسكن اليه الحارث، فأتى النعمان وهو في قصر بني مُقاتل، فقال للحاجب: استأذن لي، والناسُ يومئذٍ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال

---

(١) لعلها «تدعى» لأن الظاهر أنه خطاب للحارث.

(٢) لباخي: ضخم كثير اللحم.

(٣) استراه إياه: طلب اليه أن يريه إياه.

(٤) قصر الستر: أرخاه. ولعل نصب «أبر» على حذف الجار؛ أي ما أرخت حاضن ستر بيتها على أبر وأوفى منك ... الخ.

النعمان : ائذن له وخُذ سيفه . فقال له : ضع سيفك وادخل . فقال الحارث : ولِمَ أضعه ؟ قال : ضعه . فلا بأس عليك .

فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الامانُ . فلمّا دخل قال : أنعمْ صباحاً أبيتَ اللّعن . قال : لا أنعمَ الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النعمان : كتابي والله ما أنكره ، أنا كتبتُه لك ، وقد غدرت وفتكتَ مِراراً ، فلا ضَير أن غدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : من يقتل هذا ؟ فقام ابن الخِمس التغلبي — وكان الحارثُ فتك بأبيه — فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخِمس مثل ما ذكر أبو عُبيدة .

خبر الحارث وعمرو بن الاطنابة

وإنما ذُكر ها هنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر، ولان فيما تناقضاه من الاشعار أغاني صالحٌ ذكرُها في هذا الموضع.

قال أبو عُبيدة: كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيُّ مَلكَ الحجاز، ولمّا بلغه قتلُ الحارث بن ظالم خالد بن جعفر، وكان خالدٌ مصافياً له، غضب لذلك غضباً شديداً، وقال: والله لو لقي الحارثُ خالداً وهو يقظان لمّا نظر اليه، ولكنه قتله نائماً، ولو أتاني لعرف قدره؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانه، فتغنَّينَ له:

عَلِّلاني وعلِّلا صاحبيَّا واسقياني من المُروّق[١] ريّا
إنّ فينا القيان يَعزِفْنَ بالدُّ فِّ لفتياننا وعيشاً رخيّا[٢]
يتبارَيْن في النّعيم ويصبُبْـ ـنَ خلالَ القرون مِسكاً ذكيّا
إنّما همُّهنّ أن يتحلّيْـ ـنَ سُموطاً وسُنبلاً فارسيّا
من سموط المرجان فُصِّل بالشَّذ رِ فأحسن بحليهنّ حُليّا
وفتًى يضرب الكتيبة بالسَّيـ ـفِ إذا كانت السيوفُ عِصيّا
إننا لا نُسَرُّ في غير نجدٍ إنّ فينا بها فتًى خزرجيّا
يدفع الضّيم والظُّلامة عنها فتجافي عنه لنا يا منيّا
أبلغ الحارثَ بن ظالمٍ الرِّعـ ـديدَ والناذر النُّذُور عليّا

(١) المروّق من الشراب: المصفّى.

(٢) العيش الرخي: الناعم.

أنما يَقتُل النِّيام ولا يقتـــلُ يقظانَ ذا سلاحٍ كميّاً[١]
ومعي شِكّتي[٢] معابلُ كالجمـــرِ وأعددتُ صارماً مَشرفيّاً
لو هبطت البلاد أنسيتُك القتــــلَ كما يُنسي النَّسيءُ النَّسِيّا

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بني الخزرج ، ثم دنا من قُبّة عمرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيّها الملك أغثني فإني جارٌ مكثورٌ[٣] وخذ سلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برز له عطَف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو ليلى ! فاعتركا مليّاً من الليل . وخشي عمرو ان يقتله الحارثُ فقال له: يا حارِ ، إني شيخٌ كبيرٌ وإني تعتريني سِنةٌ ، فهل لك في تأخيرِ هذا الامرِ الى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ! ومن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمرٌو الرُّمح من يده وقال : يا حارِ ألم أخبرك أن النُّعاسَ قد يغلبني ! قد سقط رمحي فاكفُف ، فكفَّ . قال : أنظرني الى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدعني آخذ رمحي : قال : خذه . قال : أخشى أن تُعجِلني عنه أو تفتك بي إذا أردتُ أخذَه . قال : وذِمّة ظالمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتك ولا فتكتُ بك حتى تأخذَه . قال : وذِمّة الإطنابة لا آخذُه ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ الى قومه وقال مُجيباً له :

اعزِفا لي بلَذّةٍ قَينَتَيّا قبلَ أن يُبكِرَ المنونُ عليّا
قبلَ أن يُبكِرَ العواذلُ إنّي كنتُ قِدماً لأمرهنّ عَصِيّا
ما أبالي أراشداً فأصبحاني حسِبتني عواذلي أم غَوِيّا
بعدَ ألّا أُصِرَّ لله إثماً في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا

---

(١) الكمي : الشجاع المتكمي في سلاحه .

(٢) الشكة : السلاح . والمعابل : جمع معبلة (بكسر الميم) وهي نصل طويل عريض . والمشرفي من السيوف : المنسوب الى المشارف ، وهي قرى من ارض اليمن ، وقيل من بلاد العرب تدنو من الريف .

(٣) مكثور : كثر أعداؤه أي غلبوه بكثرتهم .

من سُلافٍ كأنها دمُ ظبيٍ(١) في زُجاجٍ تخـاله رازِقيّاً(٢)
بلغتنـا مقالةُ المرء عمرٍو فأنِفنا وكان ذاك بَـدِيّاً
قـد هممنا بقتله إذ برزنا ولَقيناهُ ذا سلاحٍ كَمِيّاً
غيرَ ما نائمٍ تعلَّـلَ بالُحلـمِ مُعِدّاً بكفِّـه مَشرَفيّاً
فمنَنّا عليه بعـد عُلوٍّ بوفاء وكنتُ قِـدماً وَفيّاً
ورجعنا بالصَّفح عنه وكان الــمَنُّ منا عليه بعدُ تَليّاً

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في شعر عمرو بن الإطنابة :

الغناء في شعر عمرو والحارث :

صوت

عَلِّلاني وَعَلِّـلا صاحِبيَّا واسقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّاً
إنّ فينـا القِيانَ يعزفن بالدفّ لِفتيانِنـا وعيشاً رَخِيّاً

غنّته عَزّةُ المَيلاء من رواية حَمّاد عن أبيه خفيفَ رمـلٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرني أبي قال بلغني أنّ معبداً قال : دخلتُ على جميلةَ وعندها عَزّةُ الميلاء تغنّيها لحنها في شِعر عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ :

عَلِّلاني وعلّلا صاحبيّا

(١) يصف الخمر بطيب الريح ، فشبهها بدم الظبي وهو المسك ؛ فان المسك من دماء الظباء .

(٢) الرازقي : الكتان او ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطائف ابيض طويل الحب .

على مِعزَفةٍ[١] لها وقد أسنَّت ، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني ، فقلت : هذا وهي كبيرة مُسِنَّة ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابّة ! وجعلتُ أعجب منها .

ومنها في شعر الحارث بن ظالم :

صوت

ما أبالي إذا اصطبحتُ ثلاثاً أرشيداً حسبتني أم غوِيّاً
من سُلافٍ كأنها دمُ ظبيٍ في زُجاجٍ تخـاله رازِقيّاً

غنّاه فُلَيح بن أبي العَوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن مُحرِزٍ خفيف ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حبش .

ومنها :

صوت

بلغتنا مقـالة المرء عمرٍو فأنِفنـا وكان ذاك بَدِيّا
قد هممنا بقتـله إذ برزنا ولقِينـاه ذا سَلاحٍ كميّاً

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش ، وذكر إسحاق في مجرّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب ، ولم يَنسُب الطريقة ولا جنسَها .

* * *

(١) المعزفة : آلة العزف .

ونذكر ها هنا خبر رحرحان ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَها

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال :

كان من خبر رَحرحان[1] الثاني أنّ الحارث بن ظالمٍ المُرّيّ لمّا قتل خالد بن جعفر بنِ كلابٍ غدراً عند النعمان بن المُنذِر بالحيرة هرَب فأتى زُرارةَ بن عُدُسٍ فكان عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه ، وكَرِه أن يكون لقومه زَعَمٌ عليه و — الزعم المِنّة — فلم يَزَل في بني تميمٍ عند زُرارةَ حتى لحق بقُرَيش . وكان يقال : إنّ مُرّة بن عَوفٍ من لؤيّ بن غالبٍ ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي الى قريش :

رفعتُ السيفَ إذ قالوا قُرَيشٌ وبيَّنْتُ الشمائـلَ والقِبابا[2]

فما قومي بثعلبة بنِ سعـدٍ ولا بفَزارةَ الشُّعرِ الرّقـابا

وأتاهم لذلك النسب ، فكان عند عبد الله بن جُدعان . فخرجت بنو عامر الى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ الى زُرارة وعليهم الأحوصُ بنُ جعفر ، فأصابوا امرأةً من بني تميمٍ وجدوها تحتطِب ، وكان في رأس الخيل التي خرجتْ في طلب الحارث ابن ظالم شُرَيحُ بنُ الأحوَص ، وأصابوا غِلماناً يجتنون الكمأةَ . وكان الذي أصاب تلك المرأةَ رجلا من غنيٍّ ، فأرادت بنو عامر أخذها منه ، فقال الأحوصُ : لا تأخذوا أخيذة خالي . وكانت أمُّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبيَّـةَ بنتَ

(١) يوم رحرحان الاوّل كان بين دارم وعامر بن صعصعة .

(٢) رفعت السيف : أريت الناس زوال الخلاف بيننا وأن آلة الحرب موضوعة فينا مستغنى عنها.

رِباح الغنويّ وهي إحدى المُنجِبات. ويقال: أُتِيَ شُرَيحُ بن الأحوص بتلك المرأة اليه، فسألها عن بني تميم، فأخبرتهم أنهم لحقوا بقومهم حين بلغهم مجيئكم. فدفعها الأحوصُ الى الغنويّ فقال: اَعفِجها[1] الليلة واحذَر أن تنفلت. فوطئها الغنويُّ ثم نام، فذهبت على وجهها فلمّا أصبح دَعوا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال: هذا جَري رَطباً من زُبِّها.

وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أخي زرارة بن عُدُس. فأتت قومها، فسألها عمها زرارة عمّا رأتْ، فلم تستطع أن تَنطِق. فقال بعضهم: اسقوها ماء حارًّا فإن قلبها قد برَد من الفرَق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت. فقالت: يا عَمِّ! أخذني القوم أمس وهم فيما أرى يُريدونكم، فاحذَر أنت وقومك. فقال: لا بأس عليكِ يا بنتَ أخي، فلا تَذعَري قومَكِ ولا تَروِّعيهم، وأخبريني ما هيئةُ القوم وما نَعتُهم. قالت: أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدبِرون بأعجاز النساء. قال زرارة: أولئك بنو عامر، فمن رأيتِ فيهم؟ قالت: رأيتُ رجلًا قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه، صغيرَ العينين، عن أمره يَصدُرون. قال: ذاك الأحوص بن جعفر. قالت: ورأيتُ رجلًا قليل المَنطق، إذا تكلّم اجتمع القومُ لمنطِقه كما تجتمع الإبل لفحلها، وهو من أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له لا يُدبِر أبداً إلّا وهما يتبعانه، ولا يُقبِل إلّا وهما بين يديه. قال: ذلك مالكُ بن جعفر، وأبناه عامرٌ وطُفَيلٌ. قالت: ورأيتُ رجلًا أبيضَ هِلقامةً جسيماً — والهلقامة الأفوه[2] —. قال: ذلك ربيعةُ بن عبد الله ابن أبي بكر بن كلابٍ. قالت: ورأيتُ رجلًا أسود أخنس قصيراً، إذا تكلّم عَذَمَ[3] القوم عَذم المنخوس. قال: ذلك ربيعةُ بن قُرط بن عبد بن أبي بكرِ بن كلاب.

---

(١) العفج: الجماع.

(٢) الأفوه: العظيم الفم.

(٣) أصل العذم: العض، والمراد هنا اللوم.

قالت : ورأيتُ رجلًا صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثيرَ شعَرِ السَّبلة ، يسيل لُعابُه على لحيته إذا تكلّم . قال : ذلك حُندُجُ بن البكّاء . قالت : ورأيتُ رجلًا صغيرَ العينين ، ضيّق الجبهة طويلًا ، يقود فرساً له ، معه جفيرٌ لا يُجاوز يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيت رجلًا آدمَ ، معه ابنان له حسناً الوجه أصهبان ، إذا أقبلا نظر القومُ اليهما حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا اليهما . قال : ذلك عمرو بن خُوَيلد بن نُفَيل بن عمرو بن كلابٍ ، وأبناه يزيد وزُرعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَين أحمرَين جسيمَين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشًى ولا مجلس ، فاذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، واذا أقبلا لم يزالوا ينظرون اليهما حتى يجلسا . قال : ذانك خُوَيلدٌ وخالد ابنا نُفَيل . قالت : ورأيتُ رجلًا آدم جسيماً كأنّ رأسه مجزٌ غضورةٍ — والغضورةُ : حشيشٌ دُقاقٌ خشِنٌ قائم يكون بمكة . تريد أنّ شعرَه قائم خشنٌ كأنه حشيشٌ قد جُزّ — . قال : ذلك عوف بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلًا كأنّ شعرَ فخذَيه حلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيح بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلًا أسمر طويلًا يجول في القوم كأنه غريبٌ . قال : ذلك عبد الله بن جَعدة . ويقال قالت : ورأيت رجلًا كثير شعر الرأس ، صخّاباً لا يدَعُ طائفةً من القوم إلّا أصخبها . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

أسر معبد بن زرارة ومقتله :

فسارت بنو عامرٍ نحوهم ، والتقوا برَحرحان ، وأُسِر يومئذٍ معبدُ بن زُرارة ، أسره عامر بن مالكٍ ، واشترك في أسره طُفَيل بن مالك ورجلٌ من غنيٍّ يقال له أبو عُميلة وهو عِصمةُ بن وَهبٍ وكان أخا طُفَيل بن مالك من الرّضاعة . وكان معبد بن زرارة رجلًا كثير المال . فوفد لقيطُ بن زرارة على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأصمَّ ؛ لأنهم كانوا لا

يتنادَون فيه يا لَفُلان ويا لفلانٍ ، ولا يتغازَون ولا يتنادَون فيه بالشِّعارات[١] ، وهو أيضاً مُنصل الأَلِّ . والأَلُّ : الأسنَّة ؛ كانوا إذا دخل رجبٌ أنصلوا[٢] الأسنَّة من الرِّماح حتى يخرجَ الشهر . وسأل لقيطٌ عامراً أن يُطلِق أخاه . فقال : أمَّا حِصَّتي فقد وهبتها لك ، ولكن أرضِ أخي وحليفي اللَّذَين اشتركا فيه . فجعل لقيطٌ لكلِّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرضيا وأتيا عامراً فأخبراه . فقال عامرٌ للقيطٍ : دونك أخاك ، فأطلق عنه . فلمَّا أطلق فكَّر لقيطٌ في نفسه فقال : أعطيهم مائتي بعيرٍ ثم تكون لهم النعمةُ عليَّ بعد ذلك ! لا والله لا أفعل ذلك !

ورجع الى عامر فقال : إنَّ أبي زُرارة نهاني أن أزيد على مائةٍ ديةِ مُضَرَ ، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا في ذلك ؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له مَعبدٌ : مالي يُخرجني من أيديهم . فأبى ذلك عليه فقال : إذاً يقتسم العرب بني زُرارة . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر ! أنشدُك الله لمَّا خلَّيت سبيلي ، فإنما يريد ابنُ الحمراء أن يأكل كلَّ مالي — ولم تكن أُمُّه أمَّ لقيط — . فقال له عامر : أبعدكَ الله ! إن لم يُشفِق عليك أخوك فأنا أَحقُّ ألا أُشفِق عليك . فعمدوا الى معبدٍ فشدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به الى الطائف ، فلم يزل به حتى مات . فذلك قول شُرَيح بن الأحوص :

لقيطُ وأنت امرؤٌ ماجدٌ ولكنَّ حِلمك لا يَهتدي
ولمَّا أَمِنتَ وساغ الشرا ب واحتلَّ بيتُك في ثَهمَدِ[٣]

---

(١) شعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي يتنادون به في الحرب . وفي سائر الاصول : « بالثارات » .

(٢) أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

(٣) ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غني .

رفعتَ برجليـك فوق الفِرا ش ِ تُهدي القصائد في مَعبدِ
وأسلمته عند جِدِّ القتـالِ وتبخل بالمـال أن تَفتدي

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطاً :

وقال في ذلك عَوف بن عَطيَّة بن الخرع التَّيميُّ يعيِّر لقيطَ بن زُرارة :

هَلّا فوارس رحرحان هَجوتَهم عُشَراً تَناوَحُ في سَرارة وادِ [1]
لا تأكلُ الإبلُ الغِراثُ نَباتَه ما إن يقوم عِمـادُه بعِماد [2]
هَلّا كَرَرتَ على أخيكَ [3] مَعبدٍ والعـامريُّ يقودُه بصِفاد
وذكرتَ من لبن المحلّق شَربةً والخيل تعدو بالصِّفاح بَداد

— بَدادِ : متفرقة . والصِّفاح : موضع . والمحلّق : موسومة بحلَقٍ على وجوهها .
يقول ذكرتَ لبنها ، يعني إبلَه —

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه بهجان أدمٍ طـارف وتِلادِ
لكنْ تركتَه في عميقٍ قَعرُها جَزَراً لخامعةٍ [4] وطيرٍ عَواد

(١) العشر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو ، وهـو عريض الورق ، ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه وهي افضل موضع فيه . يهجو فوارس رحرحان وهم قوم لقيط بن زرارة بأنهم لهم مظهر وليس لهم مخبر مثل عشر سرارة الوادي .

(٢) اي هو أضعف العماد . والغراث : الجياع . يصف في هذا البيت الشجر الذي ذكره بأنه كريه وضعيف . ويروى : « إذ لا يقوم » و « أو لا يقوم » .

(٣) كررت : رجعت . ويروى : « على ابن أمك » . قال أبو عبيدة : وليست أمها واحـدة ولكن لها امهات تجمعها فوق ذلك » .

(٤) الخامعة : الضبع ، لانها تخمع (تعرج) اذا مشت .

لو كنتَ مُستَحِياً لعِرضكَ مرّةً قاتلتَ أو لَفَدَيتَ بالأذوادِ

وفيها يقول نابغةُ بني جعدة :

هلّا سألتَ بيومَي رحرحان وقد ظنّتْ هوازنُ أنّ العزّ قد زالا

مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان :

وفيها يقول مِقدامُ أخو بني عُدس بن زَيدٍ في الإسلام ، وقتلتْ بنو طُهَيَّة ابناً للقعقاع بن معبدٍ ، فتوادَوا فأخذتْ بنو طُهَيَّة منهم الفضلَ :

وأنتم بنو ماء السماء زعمتم ومات أبوكم يا بني معبدٍ هُزلا

وقال المخبّل السّعديّ يذكر معبداً :

فإن تكُ نالتنا كُلَيبٌ بقرّةٍ فيومُكَ فيهم بالمصيفةِ أبرَدُ
هم قتلوا يوم المصيفة مالكاً وشاط بأيديهم لقيطٌ ومعبد

وفيها يقول عياضُ بن مرثد بن أُسيد بن قُريط بن لبيدٍ في الإسلام :

نحن أسرنا معبداً يوم معبدٍ فما أفلتكَ حتى مات من شدّة الأسرِ
ونحن قتلنا بالصَّفا بعد معبدٍ أخاه بأطراف الرُّدَينيّة السُّمرِ

---

(١) مستحياً : مستبقياً .

(٢) الذود : القطيع من الإبل ، ولا يكون إلا من الاناث

(٣) شاط هنا : هلك .

* * *

وهذا يوم شِعب جبلة :

قال أبو عبيدة : وأمّا يوم جبلة ، وكان من عِظام أيام العرب ؛ وكان عِظامُ أيام العرب ثلاثةً[١] : يومَ كُلابِ[٢] ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي[٣] قارٍ . وكان الذي هاج يوم جبلة أنّ بني عَبسِ بن بَغيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبيان

---

(١) كانت هذه الايام كذلك لكثرة من كان فيها من المقاتلين .

(٢) «وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام يوم الكلاب ، ويوم ذي قار لربيعة ، ويوم جبلة» . والكلاب : ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة ، بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق . وللعرب في الكلاب يومان عظيمان : الاول كان بين شرحبيل وسلمة ابني الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وهو جدّ امريء القيس الشاعر . وذلك أن الحارث كان قد فرق أولاده ملوكاً على القبائل . فلما مات تفاسد ما بين القبائل ، فوقعت حرب بين ابنه شرحبيل ومعه بكر والرباب وبنو يربوع ، وابنه سلمة ومعه تغلب والنمر وبهراء ، فقتل شرحبيل يومئذٍ وانهزمت شيعته .

وأما يوم الكلاب الثاني فان بني تميم كانوا أغاروا على لطيمة (عير تحمل طيبا) لكسرى ؛ فأوقع بهم كسرى بهجر حتى وهنوا ؛ ويقال لهذا اليوم يوم الصفقة . فخشيت تميم أن تغير عليهم القبائل لما صاروا اليه من ضعف ، فتشاوروا فيا بينهم فرأوا أن يلتجئوا الى الكلاب ليستجموا فيه ، وهم آمنون أن تقطع اليهم الصحاري التي دونه إذ كان الوقت قيظاً . فرآهم في هذا المكان من دل بني الحارث بن عبد المدان عليهم ، فجمعوا لهم فكان بينهم ذلك اليوم المشهور الذي انتصرت فيه تميم على المغيرين عليها . وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث ثم قتل ، وقال في أسره قصيدته التي مطلعها :

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ندامايَ من نجران أن لا تلاقيا

(٣) ذو قار : واد متاخم لسواد العراق . ويوم ذي قار المعدود من عظام أيام العرب كان بين قبائل بكر بن وائل من العرب و كسرى ملك الفرس . وسببه أن النعمان بن المنذر لما قتل عدي بن زيد دس له ابنه زيد عند كسرى فطلب كسرى النعمان ، فخشيه واستودع حرمه وأمواله وسلاحه عند هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود ، ثم ذهب الى كسرى فقتله ، ثم طالب كسرى هانئ بن قبيصة بودائعه فامتنع ، فكان ذلك سبب يوم ذي قار المشهور بين قبائل بكر من العرب والفرس وكان الظفر فيه للعرب .

ابن بغيض، وحاربوا قومهم خرجوا مُتلدِّدين[1]. فقال الربيع بن زيادٍ العبسيُّ: أمَا والله لأرمينَّ العرب بجحرها، اقصدوا لبني عامر؛ فخرج حتى نزل مَضيقاً من وادي بني عامر ثم قال: امكثوا. فخرج ربيعٌ وعامر أبنا زيادٍ والحارثُ بن خُليفٍ حتى نزلوا على ربيعة بن شَكَلِ بن كعب بن الحَريش، وكان العَقد من بني عامر الى بني كعب بن ربيعة وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة. فقال ربيعة بن شَكَلٍ: يا بني عَبسٍ، شأنُكم جليلٌ، ودَخلُكم الذي يُطلَبُ منكم عظيمٌ، وأنا أعلم والله أنَّ هذه الحربَ أعزُّ حربٍ حاربتها العربُ قطُّ. ولا والله ما بُدٌّ من بني كلابٍ، فأمهلوني حتى أستطلع طِلعَ قومي.

فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاءوا بني كلابٍ، فلقيهم عَوف بن الأحوص فقال: يا قومِ، أطيعوني في هذا الطرَف من غطفان، فاقتلوهم واغنموهم لا تُفلح غَطفانُ بعده أبداً. ووالله إن تريدون على أن تُسمِّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء. فأبَوا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم. فقال لربيعة بن شَكَلٍ: أظلَلتَهم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك؟ قال نعم. قال: قد والله أجرتَ القومَ! فأنزلوا القوم وسطهم بحبوحة دارهم.

وذكر بِشرُ بن عبد الله بن حَيَّان الكلابيُّ أنَّ عَبساً لمَّا حاربت قومها أتَوا بني عامر وأرادوا عبدَ الله بن جَعدة وابن الحَريش ليصيروا حلفاءهم دون كلابٍ؛ فأتى قيسُ بن زهيرٍ وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتى أنتهيا الى الأحوص جالساً قدامَ بيته. فقال قيسٌ للربيع: إنه لا حِلفَ ولا ثِقةَ دون أن أنتهيَ الى هذا الشيخ. فتقدّم اليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من ورائه فقال: هذا مقامُ العائذ بك! قتلتم أبي فما أخذتُ له عَقلاً ولا قتلتُ به أحداً، وقد أتيتك لتُجيرنا. فقال الأحوص: نعم! أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسي، وعَوف بن

(١) التلدد: التلفت يميناً وشمالاً تحيراً.

الأحوص عن ذلك غائبٌ . فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا معشر بني جعفر ، أطيعوني اليوم واعصوني أبداً ، وإن كنتُ والله فيكم مَعصياً . إنهم والله لو لقُوا بني ذُبيان لَوَلْوَكم أطراف الأسنَّة إذا نَكهوا في أفواههم بكلامٍ ! فابدَءوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البُرغوث دِماغُه في دمه . فأبَوْا عليه وحالفوهم . فقال : والله لا أدخل في هذا الحِلفِ !

قال : وسمعتْ بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذُبيان ، فحشدوا واستعدُّوا وخرجوا وعليهم حصنُ بن حُذَيفة بن بَدرٍ ومعه الَحليفان أسدٌ وذبيان يطلبون بدم حُذَيفةَ ، وأقبل معهم شُرَحبيل بن أخضر بن الَجون — والَجون هو معاوية ؛ سمي بذلك لشدَّة سواده — ابن آكل المُرار الكِنديّ في جَمعٍ من كِندةَ ، وأقبلت بنو حَنظلة بن مالكٍ والرّبابُ عليهم لقيطُ بن زرارة يطلبون بدم مَعبد ابن زُرارة ويَثربِيِّ بن عُدُسٍ ، وأقبل معهم حسَّان بن عمرو بن الَجون في جمعٍ عظيمٍ من كِندة وغيرهم ، فأقبلوا اليهم بوضائع[1] كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم الرابطة . وكان في الرّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النعمان بن قَهوَسٍ التَّيميُّ ، وكان معه لِواء مَن سار الى جبلة ، وكان من فُرسان العرب . وله تقول دَختَنوسُ بنت لقيط بن زُرارة يومئذٍ :

فرَّ ابنُ قَهوَسٍ الشُّجا ... عُ بكَفِّه رُمحٌ مِتَلُّ
يعدُو به خاظي البَضيـــعِ[2] كأنَّه سِمعٌ أزَلُّ[3]
إنك مِن تيمٍ فَـدَعْ ... غَطَفان إن ساروا وحلُّوا

---

(١) الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .

(٢) البضيع : اللحم .

(٣) أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .

— مِتَلٌ : مستقيم ، يُتَلُّ[1] به كلُّ شيء . الخاظي : الشيء المُكتَنِز . والسِّمعُ : ولدُ الضَّبعِ من الذّئب . والعِسبار : ولدُ الذّئب من الكلبة — :

لا مِنكَ عِدُّهمُ ولا آباكَ إن هلكوا وذلّوا
فخرَ البغيِّ[2] بحِدجِ ربَّــتِها اذا الناسُ استقلّوا
لا حِدجَها ركِبتْ ولا لِرِغالِ[3] فيـه مُستظَلُّ
ولقــد رأيتُ أباكَ وَســطَ القومِ يَربُقُ[4] أو يَجُلّ
مُتقلِّــداً رِبْقَ الفِرا رِ كأنّه في الجِيدِ غُلّ

— يَجُلُّ : يلقط البَعَر . والفُرار : أولاد الغنم ، واحدُها فرارة — . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجبُ بن زُرارة ولَقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو وعُتَيبة ابن الحارث بن شِهاب ، وتبِعهم غُثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثر كثرة ، فلم تَشُكَّ العربُ في هلاك بني عامر . فجاءوا حتى مرّوا ببني سَعدِ بن زيدِ مَناةَ ، فقالوا لهم : سِيروا معنا الى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعدٍ : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم أنّ عامر بن صَعصعة ابن سَعدِ بن زيدِ مَناةَ .

فقالوا : أمّا إذا أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنعم . فلما سمعتْ عامر بمسيرهم اجتمعوا الى الأحوص بن جعفرٍ ، وهو يومئذٍ شيخٌ

(١) يتل : يصرع .

(٢) البغي هنا : الأمة ، وفي غير هــذا الموضع الفاجرة . والحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . وربتها : سيدتها .

(٣) رغال : الامة .

(٤) يربق : يشد البهيمة بالربقة وهي عروة في حبل تشد بها البهيمة .

كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزوَ غيرَ أنه يُدَبِّر أمر الناس ، وكان مُجَرِّباً حازماً ميمون النَّقيبة ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كبِرتُ ، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي منّي ، ولكنّي إذا سمعتُ عرفتُ ، فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليّ فاعرِضوا عليّ آراءكم ، ففعلوا .

فلمّا أصبحوا غَدَوا عليه ، فوُضعت له عَباءةٌ بفنائه فجلس عليهـا ، ورفع حاجبيه عن عينيه بعِصابةٍ ثم قال : هاتوا ما عندكم . فقال قيس بن زهيرٍ العبسيّ : بات في كنانتي الليلة مائةُ رأيٍ . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازمٌ صَليبٌ مُصيبٌ ، هات فأنثر كنانتك . فجعل يعرِض كلّ رأيٍ رآه حتى أنفَدَ . فقال له الأحوص : ما أرى باتَ في كنانتك الليلة رأيٌ واحدٌ ! وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صِرتم إليّ ، احملوا أثقالكم وضُعفاءكم ففعلوا ، ثم قال : احملوا ظُعُنكم فحملوها ، ثم قال : اركبوا فركبوا ، وجعلوه في محفّةٍ ، وقال : انطلقوا حتى تَعلُوا في اليمين ، فإن أدرككم أحدٌ كَرَرتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم .

فسار الناس حتى أتَوا وادي بجارٍ ضحوةً ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : ما هذا؟ قيل : هذا عمرو بن عبد الله بن جَعدة في فِتيانٍ من بني عامرٍ يَعقِرون بمن أجاز بهم ويقطعون بالنساء حَواياهن[١] . فقال الأحوص : قدِّموني ، فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟! قال عمروٌ : أردت أن تفضحنا وتُخرِجنا هاربين من بلادنا ونحن أعزّ العرب ، وأكثرهم عدداً وجَلَداً وأحدُّهم شوكةً ! تريد أن تجعلنا مَواليَ في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً ! قال : فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ! فما الرأي؟ قال : نَرجع الى شِعبِ جبلة فنُحرِزُ النساء والضَّعفةَ والذَّراريّ والأموال في رأسه ونكون في وَسطه ففيه ثَلٌ (أي خِصبٌ وماء) . فإن أقام مَن جاءك أسفل أقاموا على

(١) الحوايا جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .

غير ماء، ولا مُقام لهم، وإن صَعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة، فكنتَ في حِرزٍ وكانوا في غير حِرزٍ، وكنتَ على قتالهم أقوى منهم على قتالك. قال: هذا والله الرأي، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناس؟ قال: إنما جاءني الآن. قال الأحوص للناس: ارجعوا فرجعوا. ففي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة:

ونحن حَبسنا الحيَّ عَبساً وعامراً لحسَّان وابن الجون إذ قيل أقبِلَا
وقد صَعِدتْ وادي بجارٍ نِساؤهم كإصعادِ نَسرٍ لا يرومون منزلا
عَطفنا لهم عَطفَ الضَّروس فصادفوا من الهضبة الحمراء عِزّاً ومَعقِلا

ثم دخولهم شعب جبلة:

— الضَّروس: الناقة العَضوض[1] — فدخلوا شِعب جبلة. وجبلة: هضبةٌ حمراء بين الشُّرَيف والشَّرَف. والشُّرَيفُ: ماءٌ لبني نُمَير. والشَّرَف: ماءٌ لبني كلابٍ. وجبلة: جبلٌ عظيم له شِعبٌ عظيمٌ واسعٌ، لا يُؤتى الجبل إلا من قبل الشِّعب، والشِّعب مُتقاربُ المدخل وداخله مُتَّسعٌ، وبه اليوم عرينة من بَجيلة. فدخلت بنو عامرٍ شِعباً منه يقال له مُسَلَّحٌ، فحصَّنوا النساء والذراريَّ والأموال في رأس الجبل، وحلّئوا الإبل عن الماء، واقتسموا الشِّعبَ بالقِداح فأقرعَ بين القبائل في شَظاياه، فخرجت بنو تميمٍ ومعهم بارقٌ (حيٌّ من الأزدِ حلفاء يومئذٍ لبني نُمَيرٍ. وبارقٌ هو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو مُزَيقياء بن عامرٍ ماء السماء. وسُمّي مُزَيقياء لأنه كان يمزّق عليه كلَّ يومٍ حُلّةً) فولجوا الخليفَ (والخليفُ: الطريق بين الشِّعبَين شِبه الزُّقاق[2]) لأنَّ سهمَهم تخلّف. وفيه يقول مُعقّرُ بن أوسِ بن حِمارٍ البارقيُّ:

---

(١) الضروس: الناقة الحديثة النتاج. وإنما سميت ضروساً لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياماً حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها.

(٢) الزقاق: الطريق الضيق.

ونحن الأيمنون بنو نُمَيرٍ   يَسيلُ بنا أمامَهمُ الخليفُ

قال: وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جمله. فجعل يقول لها: من أسهل من الناس؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بنو فلان، حتى إذا تناهى الناسُ قال: اهبطي، لا يزال هذا الشِّعبُ مَنيعاً سائرَ هذا اليوم، وهبط.

وكانت كَبْشةُ بنتُ عُروةَ الرَّحّالِ بن عُتبة بن جعفر بن كلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامرِ بن الطُّفَيل، فقالت: وَيلكم يا بني عامرٍ ارفَعوني! فوالله إنّ في بطني لَعِزَّ بني عامرٍ. فصفّوا القِسِيَّ على عَواتقهم ثم حملوها حتى أثوَوْها بالقُنَّة (يقال قُنَّةٌ وقِنانٌ). فزعموا أنها ولدتْ عامراً يوم فرَغ الناس من القتال. فشهدت بنو عامرٍ كلُّها جبلة إلّا هِلال بن عامرٍ وعامر بن ربيعة بن عامرٍ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عبس بن رِفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سُلَيمٍ وكان لهم بأسٌ وَحزمٌ وعليهم مِرداسُ بن أبي عامرٍ، وهو أبو العبّاس بنِ مِرداسٍ. وكانت بنو عَبسِ بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بن كلابٍ. وزعم بعض بني عامرٍ أنّ مِرداساً كان مع أخواله غَنِيٍّ، وكانت أُمّه فاطمةَ بنت جَلهمة الغنويّة. وشهدتها غنيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني سعد بن بكرٍ وقبائل بَجيلة كلُّها إلا قَسراً لحربٍ كانت بين قسرٍ وقومها، فارتحلت بجيلة فتفرّقت في بطون بني عامرٍ، فكانت عاديةُ ابن عامرِ بن قُدادٍ من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت سُحمةُ من بجيلة في بني جعفر بن كلابٍ — ويقال: عمرو بن كلاب — وكانت عُرَينة من بجيلة في عمرو بن كلابٍ، وكانت بنو قَيس كُبَّةَ (لفرسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت فِتيانُ في بني عامر بن ربيعة، وبنو قُطَيعة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ، ونصيبُ بن عبد الله من بجيلة في بني نُمَيرٍ، وكانت ثعلبةُ والخطامُ من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وبنو عمرو بن مُعاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ معهم يومئذٍ نُفَيرٌ من عُكلٍ، فبلغ جمعهم ثلاثين ألفاً.

ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد :

وعمِيَ على بني عامر الخبرُ، فجعلوا لا يدرون ما قُربُ القوم من بُعدهم. وأقبلت تميمٌ وأسدٌ وذُبيان ولِفُّهم نحو جبلة ، فلقُوا كَربَ بن صَفوان بن شِجنة بن عُطارد ابن عَوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة ، فقالوا له : أين تذهب ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامر ؟ قال لا . قالوا : فأعطنا عهداً ومَوثِقاً ألّا تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيله . فمضى مُسرِعاً على فرسٍ له عُريٍ ، حتى إذا نظر الى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ؛ فأرسلوا اليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأتوا منزلي فإنّ الخبر فيه .

فلمّا جاءوا منزله إذا فيه تُرابٌ في صُرّةٍ ، وشَوكٌ قد كسر رؤوسه وفرّق جهته ، وإذا حنظلةٌ موضوعةٌ ، وإذا وَطبٌ معلّق فيه لبنٌ . فقال الأحوص : هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيق ألّا يتكلّم ، وهو يُخبركم أنّ القومَ مثلُ التراب كثرةً ، وأنّ شوكتهم كليلةٌ وهم متفرّقون ، وجاءتكم بنو حنظلة . أنظروا ما في الوَطب ، فاصطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ (قَرَصَ) . فقال : القوم منكم على قَدرِ حِلابِ اللبن الى أن يَحزُرَ . فقال رجلٌ من بني يربوعٍ – ويقال قالته دَختَنُوسُ بنتُ لقيط بن زرارة – :

كَربُ بن صَفوان بن شِجنةَ لم يَدَعْ ... مِن دارمٍ أحداً ولا مِن نَهشَلِ
أجعلتَ يَربوعاً كقَـورةِ دائرٍ ... ولَتَحلِفَنّ بالله أن لم تفعـلِ

وذلك قولُ عامر بن الطُّفَيل بعد جبلة بحينٍ :

ألا أبلِغ لديـك جُموعَ سعدٍ ... فبيتوا لن نهيجكمُ نِيـاما
نَصحتم بالمَغيبِ ولم تُعينـوا ... علينـا إنكم كنتم كِراما
ولو كنتم مـع ابن الجون كنتم ... كمن أودى وأصبـح قد ألاما

فلمّا استيقنتْ بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِـدوا الشِّعبَ ، وأمر الأحوص بالإبل التي

ظُمِئَتْ قبل ذلك فقال: اعقِلوها كلَّ بعيرٍ بعِقالَين في يديه جميعاً. وأصبح لقيطٌ والناسُ نُزولٌ به، وكانت مشورتُهم إلى لقيطٍ؛ فاستقبلهم جملٌ عودٌ[١] أجربُ أحذُّ أعصلُ كاشرٌ عن أنيابه؛ فقال الحُزاةُ من بني أسد – والحازي العائف – اعقِروه. فقال لقيطٌ: والله لا يُعقَرُ حتى يكون فحلَ إبلي غداً. – وكان البعير من عصافير المُنذِرِ التي أخذها قُرَّةُ بنُ هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَيرٍ. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب – ثم استقبلهم معاوية بنِ عُبادةَ بن عُقَيلٍ وكان أعسرَ فقال:

أنا الغُلامُ الأعسر   الخيرُ فيَّ والشر

والشرُّ فيَّ أكثر

فتشاءمت بنو أسدٍ وقالوا: ارجِعوا عنهم وأطيعونا. فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تشهدْ جبَلة مع لَقيطٍ إلا نُفَيراً يسيرا، منهم شأسُ بنُ أبي بُلَيَّ أبو عمرو بنِ شأسٍ الشاعر، ومَعقِلُ بن عامرِ بنِ مَوْءلة المالكيُّ. وقال الناس لِلَقيطٍ: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا اليهم. فقال شأس: لا تدخُلوا على بني عامر؛ فإني أعلمُ الناسِ بهم، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني، فما رأيتُ قوماً قطُّ أقلقَ بمنزلٍ من بني عامر! والله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشجاعَ؛ فإنه لا يقِرّ في جُحره قلَقاً، وسيخرجون اليكم. والله لئن بِتُّم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم. فقال لَقيطٌ. والله لَندخُلَنّ عليهم. فأتوهم وقد أخذوا حِذرهم. وجعل الأحوَصُ ابنَه شُرَيحاً على تعبئةِ الناس. فأقبل لقيطٌ وأصحابهُ مدِلّين فأسندوا[٢] الى الجبل حتى ذرّت الشمس. فصعِدَ لقيطٌ في الناس وأخذ بجافَتَي الشَّجْن[٣].

فقالت بنو عامر للأحوص: قد أتوك. فقال: دعوهم. حتى إذا نصفوا الجبلَ

---

(١) العود هنا: المسن من الإبل. والاحذّ هنا: خفيف شعر الذنب، أو قصير الذنب. والاعصل: الملتوي الذنب.

(٢) أسندوا الى الجبل: اعتمدوا عليه. يقال: سند وتساند وأسند الى الشيء واستند اذا اعتمد عليه.

(٣) الشجن (بالفتح): أعلى الوادي.

وانتشروا فيه، قال الأَحوصُ: حُلُّوا عُقُلَ الإبل ثم أَحدِروها واتبعوا آثارها، وليتّبع كلُّ رجلٍ منكم بعيره حجرين أو ثلاثةً، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يفجأ الناس إلا الإبلُ تُريد الماء والمرعى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبل؛ وأقبلت الإبلُ تحطِمُ كلَّ شيء مرّت به، وجعل البعيرُ يُدَهدي بيديه كذا وكذا حجراً. وقد كان لقيط وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فقال رجلٌ من بني أَسدٍ:

زعمتَ أنّ العير لا تقاتلُ بلى إذا تقعقع[1] الرحائلُ
واختلف الهنديُّ والذوابلُ وقالتِ الابطالُ من ينازلُ
بلى وفيها حسبٌ ونائلُ

فانحطّ الناس منهزمين من الجبل حتى السهل. فلمّا بلغ الناسُ السهلَ لم يكن لأحدٍ منهم هِمّةٌ إلا أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شرَّ الهزيمة. فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول:

لم أرَ يوماً مثلَ يوم جبَلَهْ يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
وغطفانُ والملوكُ أزفله[2] نضربُهُم بقُضُبٍ مُنتخله[3]
لم تعدُ أن أفرش عنها الصَّقَله[4] حتى حدَوْناهم حُداء الزَّوملهْ[5]

وجعل معقِل بن عامر يرتجز ويقول:

نحن حُماةُ الشِّعبِ يوم جبله بكلِّ عضبٍ صارمٍ ومِعبله
وهيكلٍ[6] نهدٍ معاً وهيكله

---

(١) تقعقع الشيء: اضطرب وتحرك. والرحائل: جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه، يتخذ للركض الشديد.

(٢) الازفلة: الجماعة.

(٣) منتخلة: مختارة.

(٤) أفرش عنه: أقلع. والصقلة: جمع صاقل، من السيف اذ جلاه. يريد انها حديثة الجلاء.

(٥) الزوملة: الابل.

(٦) هيكل هنا: ضخم. والنهد من الخيل: كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع.

المِعبلةُ : السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو مِعبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

صد بني تميم لبني عامر

وخرجت بنو تميمٍ من الخليف على الخيل فكرّكوا الناسَ (يعني ردّوهم) وانقطع شُريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْف فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك ، وجعل لقيطٌ يومئذ وهو على برذَونٍ له مجفّفٍ[1] بديباج أعطاه إياه كِسرى – وكان أوّلَ عربيٍّ جفّف – يقول :

عرفتكم والدمعُ مِ العينِ يكِفْ[2] — لفارس أتلفتموه ما خُلِفْ
إنّ الشَّيلَ والشِّواء والرُّغُف[3] — والقَيْنةَ الحسناء والكأسَ الأُنفْ
وصَفوةَ القِدرِ وتعجيلَ اللَّقَفْ[4] — للطاعنين الخيلَ والخيلُ قُطُفْ[5]

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلا قال له : أنت والله قتلتَنا وشتّمتنا . فجعل يقول :

يا قومِ قد أحرقتموني باللّومْ — ولم أقاتِلْ عامراً قبلَ اليَوْمْ
فاليومَ إذ قاتلتُهم فلا لومْ — تقدّموا وقدِموني للقَومْ
شتّانَ هذا والعناقُ والنومْ — والمضجعُ الباردُ في ظلِّ الدَّومْ

وقال شأس بن أبي بُليٍّ يجيبه :

لكن أنا قاتلتها قبلَ اليومْ — إذ كنتُ لا تُعصى أموري في القومْ

---

(١) مجفف : عليه تجفاف (بفتح التاء) وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الانسان أيضاً .

(٢) يكف : يسيل .

(٣) الشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشواء (بالكسر ويضم) : ما شوى من اللحم وغيره أي عرض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل . والكأس الانف : التي لم يشرب بها قبل ذلك .

(٤) اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام .

(٥) قطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو او البطيء من الدواب .

وجعل لقيطٌ يقول: من كرَّ فله خمسون ناقةً، وجعل يقول:

أكُلُّكمْ يزجركم أرحِبْ[1] هلا ولن ترَوْهُ الدهرَ إلا مُقبِلا
يحمل زَغفاً[2] ورئيساً حجفلا وسائلًا في أهله ما فعلا

وجعل يقول أيضاً:

أشقرُ[3] إن لم تتقدم تُنحَر وإن تأخر عن هِياجٍ تُعقَرِ

ثم عاد يقول:

إن الشواء والنَّشيلَ والرُّغُف

فأجابه شُريحُ بن الأحوص:

إن كنتَ ذا صدقٍ فأقحِمهُ الجُرُف وقرِّب الأشقرَ حتى تعترفْ
وجوهنا إنَّا بنو البيضِ العُطُفْ[4]

سقوط لقيط في الموقعة

وبينه وبينه جُرفٌ مُنكَرٌ، فضرب لَقيطٌ فرسه وأقحمه عليه الجُرُفَ؛ فطعنه

---

(١) أرحب وهلا: مما تزجر به الخيل؛ يقال للخيل: أرحب وارحبي اي توسعي وتباعدي وتنحي. وهلا أي اسكني وقري.

(٢) الزغف والزغفة (وتحرك الغين فيهما): الدرع المحكمة أو اللينة، والجمع الزغف (بالفتح) كالواحد.

(٣) أشقر: اسم فرسه يخاطبه.

(٤) العطف: جمع عطوف، وهو وصف من عطف عليه يعطف عطفاً إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يريد.

شُرَيح فسقط . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أن الذي طعنه جَزْءُ بن خالدِ ابن جعفرٍ ، وبنو عُقَيلٍ تزعم أنَّ عوفَ بنَ المنتفِق العُقَيليَّ قتله يومئذ وأنشأ يقول:

ظلّت تلومُ لما بها عرسي[1] جهلًا وأنتِ حليمةٌ أمسِ
إن تقتلوا بَكْري وصاحبَه فلقد شَفَيتُ بسيفه نفسي
فقتلتُه في الشِّعبِ أوّلَ فارسٍ في الشرقِ قبل ترحُّلِ الشمس

فزعموا أن عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفرٍ ، وقُتل ابنٌ له وابنُ أخ له . وأمَّا العلماء فلا يشكّون أن شُريحاً قتله ، وارتُثَّ به طعناتٌ – والارتثاث أن يُحمَل وهو مجروح ، فإن حُمل ميّتاً فليس بمرتث – فبقي يوماً ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته:

ياليتَ شعري عنكِ دَخْتَنوسُ إذا أتاكِ الخبرُ المرسوسُ[2]
أتحلقُ القرونَ أم تميسُ لا بل تميسُ إنها عروسُ

دختنوسُ بنت لَقيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُس . وجعلت بنو عبسٍ يضربونه وهو ميّت ، فقالت دَخْتَنوسُ :

شعر لدختنوس في أبيها

ألا يا لها الويلاتُ ويلاتُ من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابةٌ وما تحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ من ردى[3]
فلو أنكم كنتم غداة لقيتمُ لقيطاً صبرتم للأسنّةِ والقنا

(١) العرس : الزوجة .
(٢) المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رس له الخبر اذا ذكره له .
(٣) ردى هنا : رمى .

غدرتم ولكن كنتمُ مثل خُضَّبٍ[1] أصابَ[2] لها القنّاصُ من جانب الشرى
فما ثأره فيكم ولكنَّ ثأره شُرَيحٌ وأردته الأسنَّةُ إذ هوى
فإن تُعقِب الأيّامُ من عامرٍ يكُن عليهم حريقاً لا يُرامُ إذا سما
ليجزيهم بالقتل قتلاً مضعَّفاً وما في دماء الحُمسِ يا مالُ من بوا[3]
ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها علينا من العار المجدَّع للعُلا
لقد صبرَتْ للموت كعبٌ وحافظتْ كِلابٌ وما أنتم هناك لمن رأى

وقالت دختنوس أيضاً :

لعمري لئن لاقت من الشرّ دارمٌ عناء لقد آبت حميداً ضِرابُها
فما جبنوا بالشعب إذ صبرَتْ لهم ربيعةُ يُدعى كعبُها وكِلابُها
عصَوا[4] بسيوفِ الهندِ واعتكَرتْ لهمْ[5] براكاء موتٍ لا يطيرُ غرابُها

براكاء : مباركة القتال وهو الجِدُّ في القتال . يقال للرجل اذا وقع في خطب لا يطير غرابه . وقالت دختنوس :

بكَر النعيُّ بخير خِندِفَ كهلها وشبابها
وبخيرها نسباً إذا عُدَت الى أنسابها
فرّت بنو أسدٍ خُرُو دَ[6] الطيرِ عن أربابها

---

(١) الخضب : النعام . والظليم الخاضب : الذي احمرت ساقاه من أكل الربيع .

(٢) أصاب هنا : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضع .

(٣) البواء (بالمد ، وقصر هنا للشعر) : السواء والتكافؤ ؛ يقال فلان بواء فلان اذا كان كفؤه اذا قتل به .

(٤) يقال عصا بالسيف يعصو ، وعصى به يعصى (وزن فرح) إذا اخذه اخذ العصا أو ضرب به ضربه بها .

(٥) اختلط سوادها واشتد من النقع المثار .

(٦) الخرود : التنحي .

لم يحفلــوا نسباً ولم يلــوُوا لفيء عُقابها

وقُتل يومئذ قُرَيظ بن معبَد بن زُرارةَ، وزيــد بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث ابن الابرص بن ربيعة بن عامر بن عُقيل، وقُتل الفَلَتــانُ بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشلٍ، وقُتل أبو إياس بن حرملة بن جعــدة بن العجلان بن حشْوَرة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان وهو يقول :

أقــدم قطينُ إنهم بنو عبسْ المعشر الحِلَّةُ في القومِ الحُمسْ

الحِلَّة : لم يكونوا يتشدّدون في دينهم . قال : واستُلحم[١] عمرو بن حسحاس بن وهب بن أعياء بن طريفٍ الأسديّ، فاستنقذه معقِلُ بن عامر بن موءلة فداواه وكساه . فقال معقل في ذلك :

يدَيتُ[٢] على ابن حسحاسٍ بنِ وَهْبٍ بأسفلِ ذي الجِذاةِ يــدَ الكريمِ
قصرْتُ له من الدهمــاء لمَّا شهدتُ وغــاب من له من حميمِ
ولو أَنّي أشاء لكنتُ منــه مكانَ الفرقــدين من النُّجوم
أُخبِّره بأن الجُــرحَ يُشوي وأنــك فوق عجلِزةٍ جموم[٣]

– يقول : إن الجرح الذي بك شوًى لم يُصب مقتلا –

ذكرْتُ تعلّةَ الفتيــان يوماً وإلحــاقَ الملامةِ بالمُليم

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كبشةَ بنت الحجّاج بن معاوية بن قُشَير،

---

(١) استلحم الرجل (بالبناء للمجهول) : روهق في القتال واحتوشه العدوّ .

(٢) يديت : اتخذت عنده يداً ، والاكثر في اتخاذ اليد أن يقال أيديت بالالف ؛ امــا يديت فقليل . ويقال يديت فلاناً اذا اصبت يده؛ وهذا مطّرد في سائر الاعضاء . وذو الجذاة : موضع .

(٣) العجلزة : الشديدة الخلق القوية ، توصف بها النوق والخيل ، وفي الخيل أعرف . والجموم من الخيل : الذي اذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار ، يوصف به المذكر والمؤنث .

وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر، إنهم يموتون وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح : يا آل كِنْدة ! فحمل عليه شُريح بن الأحوص ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدة يقال له حَوْشَبٌ، فضربه شُريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنِصف السيف وكان مما رعّب الناس مكانه . وشدّ طُفَيل بن مالك ابن جعفر فأسر حسّان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقيتْه بنو عبْس، فأخذه قيس بن زُهير فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فأحيوه أو ائتوني بملكٍ مثله . فتخوّفت بنو عبس شرّه وكان مهيباً، فقالوا : أمهلنا . فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك ابن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال : دونكم سلمى بنَ مالك فانه نديمه وصديقه وكانا مشتبهين أحمرين أشقرين ضخمةً أنوفهما، وكان في سلمى حياء – فأتوْه فقال: سأُكلّم لكم طُفَيلًا حتى يأخذَ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك، وأيم الله ليأتينّ شحيحاً . فانطلقوا اليه، فقال طفيلٌ : قد أتَوْني بك، ما أعرَفني بما جئتم له ! أتيتموني تريدون منّي ابن الجَوْن تقيدون به من عَوف، خُذوه، فأعطاهم إياه ؛ فأتوا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه ؛ فسُمّي الجزّازَ . فذلك قول نافع بن الخنجر ابن الحكم بن عُقيل بن طُفَيل بن مالك في الاسلام :

قضينا الجَوْنَ عن عبْسٍ وكانت ... منيّةُ معبدٍ فينا هُزالا

قال : وشهدها لَبيدُ بن ربيعةَ بن مالك بن جعفر وهو ابنُ تسع سنين ، ويقال : كان ابنَ بِضعَ عشرة سنة، وعامرُ بنِ مالك يقول له : اليومَ يتِمْتَ من أبيك إن قُتِلَ أعمامك . وقُتل يومئذ زُهير بن عمرو بن معاوية، وُجد مقتولًا بين ظهرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلُغ القتال ؛ وهو معاوية الضِّباب بنُ كِلابٍ . فقال أخوه حُصَينٌ للذي قتله :

يا ضَبُعاً عثواء[1] لا تستأنسي تلتقم الهبرَ من السَّقْبِ الرَّذي[2]
أقسم بالله وما حجَّتْ بَـلِي[3] وما عـلى العُزّى[4] تُعزّه غَنِي
وقد حلفتُ عند منحر الهَدِي أعطيكم[5] غـيرَ صدور المَشْرفي
فليس مثلي عن زُهَـيرٍ بغَني هو الشجاعُ والخطيبُ اللَّوذعي
والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي والحـاملُ الثِّقْلَ إذا ينزلُ بي

وذكروا أنَّ طُفَيل بن مالك لمَّا رأى القتال يوم جبلةَ قال: وَيلَكم! وأين نعمُ هؤلاء! فأغـار على نعَمِ عمرو وإخوته وهم من بني عبدالله بن غطفان ثم من بني الثرْماء، فأستاق ألفَ بعير. فلقيه عُبَيْدةُ بن مالـك فاستجداه، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأني بك قد لَقِيتَ ظَبيانَ بن مُرَّةَ بن خالد فقال لك: أعطاك من ألفِه مائةً! لجُبْتَ مُغضبا. فلقي عُبَيْدةُ ظَبيانَ؛ فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أمائةً من ألفٍ! فغضِب عُبيدةُ. قال: وذُكر أن عُبَيدةَ تسرَّع يومئذ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أن يفعل حتى يرى مقاتَلاً، فعصاهما وتقدَّم، فطعنه رجلٌ في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان، فأتى طُفَيلاً فقال له: دونك السِّنانَ فأنْزِعه، فأبى أن يفعل ذلك غضباً، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً، فأتى سلمى بنَ مالـك فانتزعه منه؛ وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فرغ القومُ من القتال. وقتلت بنو عامرٍ يومئذ من تميم ثلاثين غلاماً أغرلَ[6]. وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً، وتبِعه الزَّهدمان زهدمٌ وقيسٌ ابنا حَزْن بن وَهْب بن عُوَير بن رَواحة

(١) الضبع العثواء: الكثيرة الشعر. والعثا: لون الى السواد مع كثرة شعر.

(٢) الهبر: قطع اللحم. والسقب: ولد الناقة أو هو ساعة يولد. والرذي (بالذال المعجمة): المهزول الهالك. والرذي: الهالك.

(٣) بلي: قبيلة من العرب.

(٤) العزى: شجرة من السمر كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا عليها سدنة. وغنيٌ: قبيلة من غطفان. والهدي: ما يهدى لمكة من النعم.

(٥) يريد: لا أعطيكم.

(٦) أغرل: أقلف لم تقطع غرلته. يريد أنهم كانوا صغاراً.

العبسيأن، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له: استأسِرْ وقد قدَرا عليه، فيقول: من أنتما؟ فيقولان: الزّهدمان، فيقول: لا أستأسرُ اليوم لموليَين. فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذو الرُّقيبة بن سلَمة بن قُشَير، فقال لحاجب: أستأسِر. قال: ومن أنت؟ قال: أنا مالكٌ ذو الرُّقيبة. فقال: أفعلُ، فلعمري ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكون عبداً. فألقى اليه رمحه؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه. فصاح حاجبٌ: يا غوثاه. وندر السيف، وجعل زهدمٌ يُريغ[1] قائم السيف. فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب. فمضى زهدمٌ واخوه حتى أتيا قيسَ بن زُهيرِ بن جَذيمةَ فقالا: أخذ مالكٌ أسيرنا من أيدينا. قال: ومن أسيركما؟ قالا: حاجبُ بن زُرارة. فخرج قيس يتمثَّل قولَ حنظلة بن الشَّرقيّ القينيّ أبي الطَّمَحانِ رافعاً صوته يقول:

أجِدَّ بني الشرقيِّ أولع أنني متى أستجِر جاراً وإن عزَّ يغدرِ
إذا قلتُ أوفى أدركته دَرُوكَةٌ فيا موزعَ الجيرانِ بالغيِّ أقصِرِ

حتى وقف على بني عامر فقال: إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: مَن صاحبُنا؟ قال: مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزّهدمَين. فجاءهم مالك فقال: لم آخذه منهما، ولكنه استأسر لي وتركها. فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقيبة، فقالوا: من أسرك يا حاجب؟ فقال: أمّا من ردَّني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى منّي عورةً فتركها فالزهدمان. وأمّا الذي استأسرتُ له فمالكٌ؛ فحكّموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحُكمَ في نفسك. فقال: أمّا مالكٌ فله ألفُ ناقةٍ، وللزهدمين مائةٌ. فكان بين قيس بن زهير وبين الزّهدمين مغاضبةٌ بعد ذلك؛ فقال قيسٌ:

جزاني الزّهدمانِ جزاءَ سَوْءٍ وكنتُ المرءَ يُجزى بالكرامه
وقد دافعتُ قد علمتْ معدٌّ بني قُرْطٍ وعمّهمُ قُدامهْ

---

(١) يريغ: يطلب.

رَكِبتُ بهم طريقَ الحقِ حتّى أثبتهم بهــا مائةٌ ظُلامه

وقال جرير في ذلك :

ويومَ الشِّعبِ قد تركوا لقيطاً كأنَّ عليه حُلَةَ أرجُــوانِ[1]
وكُبِّل حاجبٌ بشمامِ[2] حَوْلاً فحكّم ذا الرُّقيبة وهو عــاني

وأمّا عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ فأفلتَ يومئذ . فزعمتْ بنو سُلَيمٍ أنَّ الخيــل عُرضت على مرداس بن أبي عامرٍ يوم جبَلَةَ ، وكان أبصر الناسِ بالخيل ، فعُرضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كِلابٍ ، فقال : والله لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا رِداني بها وخمسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم النــاس يوم جبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال الكِلابيّ : فراكضتُه نهاراً على السَّواء ، واللهِ ما علمتُ أنه سبَقني بمقدارٍ أعرفه ، ثم زاد مكانه ونقَصتُ ، فقلت : قُمِر واللهِ مِرْداسُ . وهَوى عمرو الى فرسه فضربهــا بالسَّوط فانكشفتْ فإذا هي خُنثى ، لا ذكرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أني سُبِقتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَميُّ . فقلت لا ، ثم أخبرتُهم الخبرَ . فقال مِرداسُ :

تمطّت كُميتٌ كالهِراوةِ ضــامرٌ لعَمْرِو بن عمرٍو بعد ما مُسَّ باليَدِ
فلولا مدى الخُنثى وبُعدُ جِرائهــا لَقاظَ ضعيفَ النَّهض حقّ مُقيَّدِ[3]
تذكَّر رُبطاً بالعــراقِ وراحةً وقد خفق الأسيافُ فوق المقلّدِ[4]

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٢) شمام : موضع ، ويروى بالكسر على البناء مثل قطام ، وبالفتح على أنه لا ينصرف .

(٣) لعله يريد : لولا سرعة الخنثى لوقع سريعاً فأقام مدّة القيظ ضعيف النهض حق مقيد .

(٤) خفوق السيف اضطرابه . والمقلد : موضــع القلادة من العنق ، وموضع نجاد السيف على المنكبين .

وزعم علماء بني عامر أنه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون، فلحِق قيسُ بن المُنتفِق بن عامر بن طُفَيل بن عُقيل عمرَو ابن عمرو فأسره. فأقبل الحارثُ بن الأبرص بن رَبيعةَ بن عُقَيْل في سرَعان الخيل[١]، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس: إن أدركني الحارثُ قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك! تجزّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك، ولك العهدُ لأفِيَنّ لك، ففعل. وأدركها الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول: أقْتُل أقتل. فلحِق عمرو بقومه. فلمّا كان الشهر الحرام خرج قَيسٌ الى عمرو يستثيبه، وتبِعه الحارث بن الابرص حتى قدِما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمِك هذه القُبّة. وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة. فجاءت بالقُبّة فرأتِ الحارثَ أهيأهما وأجملَهما، فظنّته قيساً فضربت القُبّة على رأسه وهي تقول: هذا والله رجلٌ لم يُطلَع الدّهرَ عليه بما اطّلع به عليّ. فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يابنةَ أخي، على من ضربتِ القُبّة؟ فنعتتْ له نعتَ الحارِث. فقال: ضربتِها والله على رجلٍ قتل أباكِ وأمر بقتل عمّك. فجزِعتْ مما قال لها عمُّها. فقال الحارث بن الابرص:

أما تدرين يابنةَ آلِ زيدٍ … أُمَيْنُ[٢] بما أجنّ اليومَ صدري
فكم من فارسٍ لم تُرزَئيه … فتى الفتيانِ في عيصٍ وقصر
رأيتُ مكانه فصددتُ عنه … فأعيا أمره وشددتُ أزري
لقد آمرته فعصى إماري … بأمّ عزيمةٍ في جَنْبِ عمرو
أمرتُ به لتَخْمُشَ[٣] حنّتاهُ … فضيّع أمره قيسٌ وأمري

(١) سرعان الخيل (بفتح الراء وسكونها): أوائلها.

(٢) أمين: مصغر آمنة تصغير ترخيم.

(٣) الخمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل في سائر الجسد. يريد: ليقتل فتبكي عليه حنّتاه فتخمشا وجوههن من كثرة اللدم لها.

– الحَنَّة : الزوجة . يقال حَنَّتُه، وطلّتُه – . ثم إن عمراً قال : يا حار، ما الذي جاء بك ! فوالله ما لك عندي نعمةٌ، ولقد كنت سيّء الرأي فيّ، قتلتَ أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل كففتُ عنك، ولو شئت إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لـك عندي من يد، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث . فلما جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً، فخرج قيسٌ بها، حتى اذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بنُ الابرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا اليه وأرادوا الخروج . فقـال : مهلًا ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنه يوشك أن يرجع وأن يؤول الى الحق فإنه رجل حسودٌ. فلمّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كفّ عنه ردّ اليه ما أخذ منه .

وأمّا عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهابٍ فإنه أسر يومئذ فقُيّد في القِدّ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلًا فأخذ منه مائةَ ناقة، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ ، وكان له خليلاً ، فانتهى اليه مرداس وهو يقول :

لعمرُك ما ترجو مَعدٌّ ربيعَها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ
يزيد بن عمرو خيرُ مَن شدّ ناقةً ... بأقتادها(١) إذا الرياحُ تُصَرْصر
تداعت بنو بكر عليّ كأنما ... تداعت عليّ بالأحـزّة(٢) بربر
تداعَوْا عليّ أن رأوني بخلوةٍ ... وأنتم بأحدان(٣) الفوارس أبصر

(١) الاقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو كل أداة الرحل .

(٢) الأحزة : جمع حزيز، وهو ما غلظ من الارض وانقاد . وبربر : جيل من الناس .

(٣) أحدان : جمع واحد كراكب وركبان .

ويروى «بوُحدان». فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردَّها إليه. فطرقه البكريون فسقَوْه الخمر حتى سكِر، ثم سألوه الإبل فأعطاهم إيَّاها. فلمَّا أصبح ندِم، فخرج الى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاحٍ أنت أم سكران؟! فانصرف فاطَّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول:

أَجِـنَّ بلَيْلى قلبُهُ أم تذكَّرا مَنازلَ منها حولَ قُرّي ومحضرا[1]
تخِرُّ الهدالُ[2] فوق خيماتِ أهلِها ويُرْسون جِساً بالعِقـال مُوَطَّرا

— الجِسُّ: الفرس الخفيفة. والمُوَطَّر: المعطوف —

سآبى وأستغني كما قـد أمرتني وأصرِفُ عنك العُسْر لستُ بأفقرا
وإنَّ سُلَيْماً والحجازُ مكانُهـا متى آتِهم أجِـد لبيتي مهجرا

— المهجرُ: الموضع الصالح؛ يقال هذا أهجر من هذا إذا كان أجوَد منه وأصلح —

يفرِّج عنّي حـدُّهم وعديدُهم وأسرج لبدي خارجياً مصدَّرا[3]
قصَرتُ عليه الحـالبَيْنِ فجودُه[4] إذا ما عـدا بلَّ الحِزامَ وأمطرا

— الحالبين: الراعيين. يقول احتبستها —

فخُذ إبـلاً إنَّ العِتاب كما ترى على خذمٍ[5] ثم أرمِ للنصر جعفرا

---

(١) وقري ومحضر: موضعان.

(٢) الهدال هنا ضرب من الشجر يكون بالحجاز له ورق عراض، او هو ما تدلى من الاغصان.

(٣) المصدّر من الخيل: السابق

(٤) المراد بالجود هنا العرق.

(٥) الخذم (بالتحريك) السرعة في السير.

فإنّ بأكناف البحار[١] الى الملا وذي النخل مصحىً إن صحوْت ومَسكَرا
وأرعى من الأظلاف[٢] أثلاً وحمضة[٣] وترعى من الأطواء أثلاً وعرعرا

وانصرف يومئذ سِنانُ بن أبي حارثة المرّيّ في بني ذُبيان على حاميته، فلحِق بهم معاويةُ بن الصَّموت بن الكامل الكلابي، وكان يسمّى الأسدَ المجدّع، ومعه حرملةُ العُكْليّ ونفرٌ من الناس، فلحِق بسِنانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزاري في سبعين فارساً من بني ذُبيان. فقال سنانٌ: يا مالكُ كُرَّ وأحمنا ولك خولةُ بنت سنانٍ ابنتي أزوِّجكها. فكرّ مالكٌ فقتل معاوية، ثم اتّبعه حرملة العُكْليّ وهو يقول:

لأيِّ يوم يخبأ المرء السَّعه مودَّعٌ ولا ترى[٤] فيه الدَّعه

فكرّ عليه مالكٌ فقتله، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتّبعه رجلان من قيسِ كُبّة من بجيلةَ، فكرّ عليهما فقتلهما، ومضى مالكٌ وأصحابهُ. فقال مالك في ذلك:

ولقد صددتُ عن الغنيمةِ حرملاً ولَقِيته لدداً[٥] وخيلي تطردُ
أقبلتُه[٦] صدر الأغرّ وصارماً ذكراً فخرّ على اليدَينِ الأبعد

(١) البحار: جمع بحرة (بالفتح) وهي الفجوة من الارض تتسع، أو هي الوادي الصغير يكون في الارض الغليظة، أو هي الروضة العظيمة مع سعة. والملا: الارض الواسعة أو الفلاة.

(٢) والاظلاف: جمع ظلف (بالتحريك) وهو ما غلظ من الارض وصلب.

(٣) الحمض من النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له.

(٤) المودّع: المترف المنعم. والدعة هنا: الخفض في العيش والراحة. يقول: هو مترف منعم ولا ترى عليه آثار النعمة.

(٥) اللدد: مصدر لددت فلاناً ألده إذا خصمته وجادلته.

(٦) أقبلت الشيء الشيء: جعلته قبالته.

وابنَ الصموت تركتُ حين لقيتُه ... في صدر مارنةٍ يقوم ويقعدُ
وأبنا ربيعةَ في الغبار كلاهما ... وأبنا غنيٍّ عامرٌ والأسْوَدُ
حتى تنفّس بعد نكْظٍ مُجحراً(١) ... أذهبتُ عنه والفرائصُ تُرعَد

— النكظ الجهد . قال : —

يعدو بذي سابحٌ ذو مَيعةٍ ... نَهدُ المراكلِ ذو تليل(٢) أقود

فخطب اليه مالك خَولةَ فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنو جعفر فيزعمون أن عُروة الرّحّال بن عُتبةَ بن جعفر وجد سِنانَ بن أبي حارثةَ وابنَيه هرِماً ويزيدَ على غديرٍ قد كاد العطش أن يُهلِكهم، فجزّ نواصيهم وأعتقهم . ثم إن عُروةَ أتى سناناً بعد ذلك يستثيبه ثواباً يرضاه فلم يثبه شيئاً . فقال عروة في ذلك :

ألا مَن مبلغ عنّي سِناناً ... ألوكاً لا أريد بها عِتابا
أفي الخضراء تقسِمُ هجمَتيكم(٣) ... وعُروةُ لم يُثَبْ الا التّرابا
فلو كان الجعافرُ طاوعوني ... غداةَ الشِّعبِ لم تذُقِ الشّرابا
أتجزي القَينَ نعمتها عليكم ... ولا تجزي بنعمتها كِلابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِناناً انصرف ذات يوم هو وناسٌ من طيّئٍ وغيرهم قبل الوقعة، فبلغه أنّ بني عامر يقولون : مننّا عليه ؛ فأنشأ يقول :

---

(١) المجحر : المضطر الملجأ .

(٢) السابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . وميعة كل شيء : أوّله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير . والتليل : العنق . والاقود : إن كان وصفاً لنهد فهو المنقاد الذليل، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل، ويكون في البيت إقواء .

(٣) الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل واختلف في مقدارها على عدة اقوال .

والله ما منُّوا ولكن بِشكّتي منّت وحادرةُ المناكب صِلدِمُ[١]
بجرير شول يومَ يُدعى عامرٌ لا عاجزٌ وَرَعٌ[٢] ولا مستسلم

وأمّا بارقٌ فتدّعي أمرَ سِنانٍ يومئذ على الثّواب، ثم أتوْه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقِر بن أوْس بن حِمار البارقيّ :

متى تكُ في ذُبيانَ منك صنيعةٌ فلا تحمَدَنها الدّهرَ بعد سِنانِ
يظلّ يُمَنّينا بحسن ثوابه لكم مائةٌ يحدو بها فرَسان
مخاضٌ أُودّيها وجلّ لقائح وأُكرمُ مثوى منكم مَنْ أتاني
فجئناه للنُّعمى فكان ثوابه رَغوثٌ ووطبا حازرٍ مذِقان[٣]
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى يؤامرهم[٤] فينا له أملان
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً فلا تثقن بالشكر في غطفان

تاريخ يوم جبلة :

قال : وكان جبَلةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة . ووُلد النبيّ صلى الله عليه وسلم عام الفيل، ثم أوحى الله اليه بعد أربعين سنة، وقُبض وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقـدِم عليه عامرُ

(١) الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها . والمناكب : جمع منكب (بكسر الكاف) وهو من الانسان وغيره مجتمع رأس الكتف والعضد . وصلدم : صلب شديد أو هو شديد الحافر .

(٢) الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

(٣) والمراد بالرغوث هنا . ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .

(٤) يؤامرهم : يشاورهم .

بن الطُّفيل في السنة التي قُبض فيها صلّى الله عليه وسلم، قال: وهو ابن ثمانين سنة. وقال المعقِّر بن أوس بن حِمار البارقيّ حليفُ بني نُمَيرِ بن عامر.

أمن آل شعثاء الحمولُ البواكرُ ... مع الليل أم زالت قُبيلُ الأباعرِ
وحلّت سُلَيمى في هضابٍ وأيكةٍ ... فليس عليها يوم ذلك قادر
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النّوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
وصبّحها أملاكُها بكتيبةٍ ... عليها إذا أمستْ من الله ناظر
معاويةُ بنُ الجون ذُبيانُ حوله ... وحسّانُ في جمع الرِّباب مُكاثر
فمرّوا بأطنابِ[1] البيوت فردّهم ... رجالٌ بأطراف الرماح مساعر[2]
وقد جمعوا جمعاً كأن زُهاءه ... جرادٌ هوى في هبوةٍ[3] متطاير
فباتوا لنا ضيفاً وبتنا بنعمةٍ ... لنا مُسمِعاتٌ بالدُّفوف وسامر
ولم نقرِهم شيئاً ولكنّ قصدهم ... صَبوحٌ لدينا مطلعَ الشّمس حازر[4]
صبحناهم عند الشّروق كتائباً[5] ... كأركان سلمى شَبرُها متواتر
كأنّ نعامَ الدَّوّ باض عليهم[6] ... وأعيُنُهم تحت الحبيكِ جواحر[7]

— الحبيكُ في البَيض إحكام عملها وطرائقها —

---

(١) الاطناب: حبال تشدّ بها البيوت.

(٢) مساعر: جمع مسعر يقال: فلان مسعر حرب، اذا كان يؤرّثها، فتحمى به الحرب.

(٣) الهبوة: الغبار الثائر.

(٤) حازر: حامض.

(٥) الكتائب: فرق الجيش، واحدها كتيبة. وسلمى هنا: جبل في بلاد طيّ. والشبر: الاعطاء. ومتواتر: متتابع. يصف الكتائب بالضخامة كأنها أركان جبل سلمى المعروف. والمراد باعطائها المتواتر: فتكها المتواصل.

(٦) يريد تشبيه ما على رؤوسهم من بيض الحديد ببيض النعام.

(٧) جواحر: غائرات.

من الضاربين الكبش[1] يمشون مقدماً إذا غص بالريق القليل الحناجر
وظن سراة القوم ألا يقتلوا إذا دعيت بالسفح[2] عبس وعامر
ضربنا حبيك البيض في غمر لجة فلم يبق في الناجين منهم مفاخر
ولم ينج إلا من يكون طمره[3] يوائل أو نهد ملح مثابر
هوى زهدم تحت الغبار لحاجب كما انقض أقنى[4] ذو جناحين ماهر
هما بطلان يعثران كلاهما أراد[5] رئاس السيف والسيف نادر
ولا فضل إلا أن يكون جراءة وذبيان تسمو والرءوس حواسر
ينوء وكفاً زهدم من ورائه وقد علقت ما بينهن الأظافر
يفرج عنا كل ثغر نخافه مسح[6] كسرحان القصيمة ضامر

— القصيمة من الرمل : ما أنبتت الغضى والرمث —

وكل طموح في العنان كأنها إذا اغتمست في الماء فتخاء[7] كاسر
لها ناهض[8] في المهد قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

---

(١) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم أو هو حاميهم والمنظور اليه فيهم .

(٢) سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء .

(٣) الطمر : الفرس الجواد ، او المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر الى ملجأ لينجو . والنهد : القوي الضخم . يقال فرس نهد ، وشاب نهد .

(٤) القنا : نتوء في وسط قصبة الأنف وإشراف ، وقيل : هو في الصقر والبازي اعوجاج في المنقار .

(٥) رئاس السيف مقبضه . ونادر : ساقط . يقول : ان كل واحد منهما يطلب رئاس السيف لقتل صاحبه .

(٦) المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صباً ، شبه بالمطر في سرعة انصبابه . والسرحان : الذئب .

(٧) الفتخاء الكاسر : العقاب . والفتخ : اللين في المفاصل وغيرها .

(٨) الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقل للنهوض .

– وبهذا البيت سمِّي معقِّراً واسمه سُفيان بن أوس . وإنما خصّ العاقرَ لأنها أقلّ دلًّا على الزوج من الولودِ فهي تصنع له وتداريه –

تخاف نساءٍ يبتدرنَ حليلَها مُحرَّدةً[1] قد حرّدتها الضرائرُ

وقال عامر بن الطُّفيل بعد ذلك بدهر :

ويوم الجمع لاقَينا لَقيطاً كسَونا رأسه عَضباً حُساما[2]
أسرْنا حاجباً فثوى بقِـدٍ[3] ولم نـترك لنسوته سَواما
وجمعُ الجَون إذ دلفوا إلينا صبحنا جمعَهم جيشاً لُهـاما[4]

وقال لَبيدُ بن ربيعة في ذلك :

وهُمُ حماةُ الشِّعب يوم تواكلتْ أسدٌ وذُبيـانُ الصَّفا وتميمُ
فارتثَّ[5] كَلْاهم عشيَّةَ هَزمهم حيٌّ بمنعرَج المسيلِ مُقيـم

تم اليومُ والحمد لله .

* * *

صوت

أيجمُل ما يُـؤتى الى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عددُ النمل

---

(١) التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .

(٢) العضب : السيف . وحسام : قاطع .

(٣) القدّ (بالكسر) : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الابل الراعية . يريد أنه لم يترك للنساء مالا .

(٤) اللهام : الكثير .

(٥) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح . والكلمى : جمع كليم وهو الجريح .

فلو أننا كنا رجالًا وكنتم نساءً حجالٍ لم نُقِرّ بذا الفعلِ

الشعر لغُفيرة بنت غِفار – وقيل بنت عبّاد – الجديسيَّة التي يقال لها الشَّموس. والغناء لعريب خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم.

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قتل عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابي عن المفضَّل أن عِمليقاً ملكَ طسمِ ابن لاوَذ بن إرَمَ بن سامِ بن نوحٍ عليه السلام، وجديسِ بن لاوَذ بنِ إرم بن سام ابن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم في موضع اليمامة، كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق، وأن امرأةً من جديسٍ كان يقال لها هُزيلَة، وكان لها زوج يقال له قرقس، فطلّقها وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته الى عِمليقٍ، فقالت: «أيها الملك إني حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفعاً، حتى إذا تمّت أوصاله، ودنا فِصالُهُ، أراد أن يأخذه مني كرهاً، ويتركني من بعده وَرْهاً[1]». فقال لزوجها: ما حجّتك؟ قال: «حجّتي أيها الملك أني قد أعطيتها المَهر كاملاً ولم أصب منها طائلاً، إلا وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلا». فأمر بالغلام أن يُنزع منها جميعاً ويُجعل في غِلمانه، وقال لهزيلة: «أبغيه ولداً، ولا تنكحي أحداً، وأجزيه صفَداً[2]». فقالت هزيلة: «أمّا النكاح فإنما يكون بالمَهر، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهر، وما لي فيها من أمر». فلما سمع ذلك عِمليقٌ أمر بأن

---

(١) الورهاء: الخرقاء. والوله: الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب.

(٢) الصفد: العطاء.

تباع هي وزوجها، فيُعطى زوجُها خُمس ثمنها، وتُعطى هُزيلةُ عُشر ثمن زوجها. فأنشأت تقول:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكما في هزيلة ظالما
لَعَمْري لقد حُكِمتَ لا متورِعاً ... ولا كنت فيما تُبرم الحكم عالما
ندِمتُ ولم أندم وأنَّى بعثرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألّا تزوّج بِكرٌ من جَديس وتُهدى الى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلّاً. فلم يزل يفعل هذا حتى زُوِّجت الشَّموس وهي عفيرةُ بنت عبّاد أخت الأسوَد الذي وقع الى جبل طيّئ فقتلته طيٌ وسكنوا الجبل من بعده. فلمّا أرادوا حملَها الى زوجها انطلقوا بها الى عِمليقٍ لينالها قبله، ومعها القيانُ يتغنَّين:

إبدي[1] بعمليقٍ وقومي فاركَبي ... وبادري الصُّبح لأمرٍ مُعجِبِ
فسوف تلقَين الذي لم تطلُبي ... وما لِبِكرٍ عنده من مهرَب

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه

فلمّا أن دخلت عليه افترعها وخلّى سبيلَها. فخرجتْ إلى قومها في دمائها شاقّة درعها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدم يسيل وهي في أقبح منظرٍ، وهي تقول:

لا أحدٌ أذلَّ من جَديسِ ... أهكذا يُفعَلُ بالعروسِ
يرضى بهذا يا لقومي حُرٌّ ... أهدى وقد أعطى وسيق المهْرُ
لأخذةُ الموتِ كذا لنفسه ... خيرٌ من أن يُفعلَ ذا بعرسه

(١) ابدي: أمر للانثى من «بدأ» مع تسهيل الهمزة.

وقالت تحرّض قومها فيما أُتي إليها :

أيجمُلُ ما يُـؤتى الى فتياتكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عددُ النَّملِ
وتُصبح تمشي في الدِّماء عفيرةً ... جهاراً وزُفَّت في النساء الى بعل
ولو أننا كنا رجـالًا وكنتم ... نساء لَكُنّا لا نُقِرّ بذا الفعل
فموتوا كِراماً أو أميتوا عدوَّكم ... ودِبّوا لنار الحرب بالحطَب الجزل
وإلا تخلُّوا بطنَهـا وتحمّلوا ... الى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزل
فللبينُ خيرٌ من مُقام على أذى ... وللموتُ خيرٌ من مُقامٍ على الذُّلِّ
وإن أنتمُ لم تغضَبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لاتعاب من الكُحل
ودونكم طِيبَ العروس فإنما ... خُلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبُعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مِشية الفَحل

ائتمار جديس للغدر به وبقومه

فلمّا سمع الأسود اخوها ذلك وكان سيّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشر جديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا وإدهاننا[1] ما كان له فضلٌ علينـا . ولو أمتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ[2] . فأطيعوني فيما آمرُكم بـه ، فإنه عِزُّ الدهر، وذهابُ ذلّ العمر، وأقبلوا رأيي . قال : وقـد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً . فإذا جاءوا يرفُلون في الحُلَلِ ثُرنا الى سيوفنا وهم غارّون[3] فأهمدناهم بها . قالوا : نفعل . فصنع

---

(١) الادهان : المصانعة واللين مثل المداهنة .

(٢) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق مثل النصفة والانصاف .

(٣) الغارّ : الغافل . وأهمدناهم : أمتناهم .

طعاماً كثيراً وخرج به الى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته، فأجابه الى ذلك وخرج اليه مع أهله يرفُلون في الحلى والحُلل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم الى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشدّ الاسود على عمليق فقتله، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفلة فلم يدَعوا منهم أحداً. فقال الأسود في ذلك :

ذوقي ببغيك يا طسمُ مجلّلةً ... فقد أتيتِ لَعَمْري أعجب العجبِ
إنّا أبينا فلم ننفكّ نقتلهم ... والبَغيُ هيّج منّا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيُهم أبداً ... ولن يكُونوا كذي أنفٍ ولا ذنب
وإن رَعيتم لنا قُربى مُؤكّدةً ... كنّا الأقاربَ في الأرحام والنسب

ثم إن بقيّة طسم لجأوا إلى حسّان بن تُبّع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيّئ قبل نزول طيّ إيّاهما. وكانت طيّئ تسكن الجُرف من أرض اليمن، وهو اليوم محلّة مُراد وهمدان، وكان سيّدهم يومئذ أسامة بن لؤيّ بن الغوث بن طيّئ، وكان الوادي مسبعةً، وهم قليلٌ عددهم، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدرَ أين يذهب ولم يَرَوْه الى قابلٍ، وكانت الأزْدُ قد خرجت من اليمن أيام العَرِم، فاستوحشت طيّئ لذلك وقالت : قد ظعَن إخواننا فصاروا الى الأرياف. فلما همّوا بالظّعن قالوا لأسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدٍ ريفٍ وخِصبٍ، وإنّا لنرى في بَعَره النّوى. فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لعلّنا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا. فأجمعوا أمرهم على ذلك. فلمّا كان الخريف جاء البعيرُ فضرب في إبلهم، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين. فقال أسامة بن لؤيّ :

إجعَل طريباً كحبيبٍ يُنسى ... لكل قومٍ مُصبحٌ ومُمسى

قال : وطريبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به. فهجمت طيّئ على النخل في الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، وإذا هم برجلٍ في شِعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو

الأسود بن عبّاد، فهالهم ما رأوا من عِظَم خلقه وتخوّفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الارض واستبروها هل يرون بها أحداً غيره فلم يروا. فقال أسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث: أي بُنيّ! إنّ قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي، فإن كفيتَنا هذا الرجل سُدتَ قومك آخر الدهر، وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلّمه وساءله. فعجِب الأسود من صِغَر خلق الغوث فقال له: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه، وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خلقه وصِغَرهم عنه، وشغلوه بالكلام، فرماه الغَوثُ بسهمٍ فقتله، وأقامت طيء بالجبلين بعده، فهم هنالك الى اليوم.

* * *

صوت

إذا قبّل الانسانُ آخر يشتهي ثناياه لم يحرج وكان له أجرا
فإن زاد زاد اللهُ في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وِزرا

الشعر لرجل من عُذرة. والغناء لعريب ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

حديث عمرو بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري:

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرياشيّ قال قال حمّاد الراوية. أتيتُ مكةَ فجلستُ في حلقةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعة، فتذاكروا من العُذريّين، فقال عمر بن أبي ربيعة: كان لي صديقٌ من عُذرةَ يقال له الجعد ابن مِهجعٍ، وكان أحد بني سَلامان، وكان يَلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن، على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يُوافي

الموسم في كلّ سنة ؛ فإذا راث[١] عن وقته ترجّمت[٢] عنه الأخبار ، وتوكّفت له الأسفار حتى يقدَم . فغمّني ذات سنةٍ إبطاؤه حتى قدِم حُجّاج عُذرة ، فأتيتُ القوم أنشُد صاحبي ، وإذا غلامٌ قد تنفّس الصعداء ثم قال : أعَنْ أبي المُسهر تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهاتَ ! أصبح والله أبو المُسهر لا مُؤيِساً فيُهمَل ولا مرجوّاً فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل :

لعمرك ما حُبّي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضي به فأموت

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهوّركما في الضّلال ، وجرّكما أذيال الخسار ، فكأنكما لم تسمعا بجنّة ولا نار . قلت : مَن أنت منه يابنَ أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أمَا والله يابن أخي ما يمنعك أن تسلك مَسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنّك وأخاك كالبُرد والبِجادِ لا ترقعُه ولا يرقعك ، ثم صرفتُ وجهَ ناقتي وأنا أقول :

أرائحةٌ حُجّاجُ عُذرةَ وجهةً ولمّا يرُح في القوم جَعدُ بن مِهجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقي من الهوى متى ما يَقُل أسمع وإن قلتُ يَسمعِ
ألا ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه فلي زَفراتٌ هِجنَ ما بين أضلُعي
فلا يُبعِدنْكَ الله خِلًّا فإنني سألقى كما لاقيتَ في كلّ مَصرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عرَفات . فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته ، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : برْحُ العَذلِ وطولُ المَطل ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) راث : أبطأ .

(٢) ترجمت : تظننت ، من الرجم بمعنى الظن والحدس . وتوكفت توقعت وانتظرت . والاسفار : جماعة المسافرين ؛ يقال قوم أسفار ، وسفار (بضم السين وتشديد الفاء) وسفر (بفتح فسكون) ، وسافرة .

لئن كانتْ عُدَيّةُ ذاتَ لُبٍّ ... لقد علمتْ بأنّ الحبّ داء
ألم تنظر الى تغيير جسمي ... وأنّي لا يفارقني البكاء
ولو أنّي تكلّفتُ الذي بي ... لقفّ[1] الكَلْمُ وانكشف الغطاء
فإنّ معاشري ورجال قومي ... حُتوفُهم الصبابة واللِّقاء
إذا العُذريُّ مات خَليَّ ذَرعٍ ... فذاك العبد يبكيه الرّشاء

فقلت : يا أبا المُسهر إنها ساعةٌ تُضرَب اليها أكباد الإبل من شرقِ الأرض وغربها ، فلو دعوتَ الله كنتَ قِمناً أن تظفر بحاجتك وأن تُنصَر على عدوّك . قال : فتركني وأقبل على الدعاء . فلمّا نزلتِ الشمسُ للغروب وهمّ النّاسُ أن يُفيضوا سمعته يتكلّم بشيء ، فأصغيتُ اليه ، فإذا هو يقول :

يا رَبَّ كلِّ غَدوةٍ ورَوحهْ ... من مُحرِمٍ يشكو الضُّحى ولَوحهْ
أنت حسيبُ الخلق يومَ الدَّوحهْ

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها :

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأخبرنّك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزدَلِفة ، فأقبل عليّ وقال : إني رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاء ، وذو المال لا يُصدِره ولا يُرويه الثِّماد[2] . وقطر الغيث[3] أرض كلبٍ ، فانتجعتُ أخوالي منهم فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جُمّةَ[4] الماء ، وكنتُ فيهم في خير أخوال :

(١) قف : يبس ، يريد التأم . يقول : لو أني حاولت الذي بي وتكلفته لسهل علي أن أبرأ منه ولكنه قدر من الله لا محيص منه .

(٢) الثماد : جمع ثمد (بالتحريك وبالفتح) وهو الماء القليل الذي لا مادّ له .

(٣) كذا في ج . وفي سائر الاصول : «ونضر الغيث» وهو تحريف .

(٤) جمة الماء (بالضم) : معظمه .

ثم إني عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحوذانُ ، فركبتُ فرسي وسمطت¹ خلفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت ، حتى إذا كنت بين الحيّ ومرعى النَعَم رُفعت² لي دَوحةٌ عظيمةٌ ، فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظلّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحيـة الحيّ ورُفعت لي شخوصٌ ثلاثة ، ثم تبيّنتُ فاذا فارس يطرد مِسحَلاً³ وأتاناً ، فتأملته فاذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍ سوداء ، واذا فُروع شعره تضرب خصرَيه ، فقلت : غلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرسٍ أعجلته لذّة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلا يسيراً حتى طعن المِسحَل وثنّى طعنةً للأتان فصرعها ، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول :

نَطعنُهم سُلكى ومخلوجـةً كرّكَ لامَين عـلى نابلِ⁴

فقلت : إنك قد تعبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجله فنزل فشدّ فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذُؤيب :

---

(١) سمط هنا : علّق .

(٢) رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .

(٣) المسحل : الحمار الوحشي . والاتان : الحمارة الوحشيّة .

(٤) البيت لامرئ القيس . والسلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . واللام : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الاخرى ، وهو أجود ما يكون . فاذا التقى بطنان او ظهران فهو لغاب ولغب . والنابل : صاحب النبل . يصف الطعن بأنه كان يذهب فيهم ويرجع سريعاً كما تردّ سهمين على رام رمى بهما . وقيل سئل امرؤ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبـدة عن معنى قوله « كرك لأمين » فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاماً وظهاراً ، فما رأيت أسرع منه فشبهت به . وقال القتيبي : إنما هو « كركلامين » أي تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامي : إرم إرم ، أي ليس بين الطعن والطعن إلا بمقدار ارم ارم . وقال زيد بن كندة : يريد أنه يطعن طعنتين مختلفتين ويوالي بينهما كما يوالي هذا القائل بين هاتين الكلمتين . (راجع لسان العرب في الموادّ خلج وسلك ولأم ، وشرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب) .

وإنّ حديثاً منكِ لو تَبذُلينَــه جَنى النَّحلِ في ألبانِ عُوذٍ مَطافلِ[١]

فقمتُ الى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسر العمامة عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينار المنقوش . فقلت : سبحانك اللّهمّ ! ما أعظم قُدرتك وأحسن صَنعتك ! فقال : مِمّ ذاك ؟ قلت : مما راعني من جمالــك وبهرني من نورك . قال وما الذي يروعك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابّ ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم ييأس . قلت : لا يصنع الله بك إلّا خيراً . ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : ما هذا الذي أرى قد سمطتَ في سَرجك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أرَبٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسَّوط في ثناياه ، فجعل والله يتبيّن لي ظِلّ السوط فيهن . فقلت : مهلًا فإني خائفٌ أن تكسرهنّ . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ . قال : ثم رفع عقيرته يتغنّى :

إذا قبَّل الإنسان آخر يشتهي ثنــاياه لم يأثمْ وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حَسناته مثاقيل يمحو الله عنه الوِزرا

ثم قام الى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فبرقت لي بارقةٌ تحت الدِّرع ، فإذا ثَديٌ كأنه حُقٌّ عاجٍ . فقلت : نشدتُك الله أمرأةٌ ؟ إي والله إلّا أنّي أكره العشير وأحبّ الغزَل . ثم جلستْ فجعلتْ تشرَب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرتُ الى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة . فوالله ما راعني إلا مَيلها على الدوحة سَكرى . فزُين لي والله الغدرُ وحَسُنَ في عيني ، ثم انّ الله عصمني منه ، فجلستُ حَجرةً منها . فما لبثت إلّا يسيراً حتى انتبهت فَزِعةً ، فلاثت عِمامَتها برأسها ، وجالت في متن فرسها ، وقالت جزاك الله عن الصُّحبة خيراً . قلت : أو

(١) عوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج الى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل.

ما تزوّدينني منك زاداً ؟ فناولتني يدَها ، فقبَّلتها فشمِمْتُ والله منها ريح المسك المفتوت ، فذكرتُ قول الشاعر :

كأنهـا اذ تقضَّى النوم وانتبهت سَحابةٌ ما لهـا عينٌ ولا أثرُ

قلت : وأين الموعدُ ؟ قالت : انّ لي إخوةً شُرساً وأباً غيوراً . ووالله لأن أُسرّك أحبّ إليّ من أن أُضرّك ، ثم انصرفت . فجعلت أتبعها بصري حتى غابت ، فهي والله يابنَ أبي ربيعة أحلّتني هذا المحلّ وأبلغتني . فقلت له : يا أبا المُسهر انّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح . فبكى واشتدّ بكاؤه . فقلت : لا تَبكِ ؛ فما قلت لك ما قلت الا مازحاً ، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال لي : خيراً . فلمّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي فشدّ على بعيرٍ له ، وحملتُ عليه قبَّة حمراء من أدَمٍ كانت لأبي ربيعـة المخزوميّ ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطرَفَ خزٍّ ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كلبٍ ، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، واذا هو سيّد الحيّ واذا الناس حوله ، فوقفتُ على القوم فسلمت ، فردّ الشيخ السلام ، ثم قال مَن الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة . فقال : المعروف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : الكُفء والرَّغبة . قلت : إني لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زَهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشرفك ، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذريّ ، وها هو ذاك . فقال : والله إنه لكفيء الحَسب رفيع البيت ، غيرَ أنّ بناتي لم يَقعنَ الّا في هذا الحيّ من قُريش .

فوجمتُ لذلك ، وعرف التغيُّرَ في وجهي فقال : أما إني صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك . قلت : وما ذاك فمثلي مَن شكر ؟ قال : أخيِّرهـا فهي وما اختارت . قلت : ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيار غيرك . فأشار إليّ العذريّ أن ادَعه يخيّرها . فأرسل اليها : إنّ من الأمر كذا وكذا . فأرسلتْ اليه : ما كنت

لأستبدّ برأي دون القرشيّ ، فالخيار في قوله ، حكّمه . فقال لي : إنها قد ولّتك أمرَها فاقضِ ما أنت قاض . فحمدتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه وقلت : اشهَدوا أنّي قد زوّجتها من الجعد بن مِهجَع وأصدقتها هذا الألفَ الدّينار ، وجعلت تَكرِمَتها العبدَ والبعيرَ والقبّة ، وكسوتُ الشيخ المطرَفَ ، وسألته أن يبنيَ بها عليه في ليلته . فأرسل الى أمها ، فقالت : أتخرج ابنتي كما تخرج الأَمَةُ ! فقال الشيخ : هجّري[1] في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، ثم أهديتْ اليه ليلًا ، وبِتُّ أنا عند الشيخ . فلمّا أصبحتُ أتيتُ القبّة فصِحتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثّر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدتْ لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها . فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريدُ
وأن تطرَحَني أو تقول فُتيَّةٌ ... يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعود
فورّيتُ عمّا بي وفي داخل الحشى ... من الوجد بَرْحٌ فاعلمنّ شديد

فقلت : أقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول :

كفيتُ أخي العذريّ ما كان نابه ... وإني لأعباء النوائب حمّالُ
أما استُحسِنتْ منّي المكارمُ والعُلا ... اذا طُرِحتْ ! إني لمالِيَ بذّال

وقال العذريّ :

اذا ما أبو الخطّاب خلّى مكانَه ... فأفٍّ لدُنيا ليس من أهلها عُمَرْ
فلا حيّ فِتيانُ الحجازين بعدَه ... ولا سُقيتْ أرض الحجازين بالمطر

---

(١) هجري : أي بادري وأسرعي .

صوت

انّ الخليط قد أزمعوا تَركي ... فوقفتُ في عَرَصاتهم أبكي
جِنّيَّةٌ برزتْ لتقتلني ... مَطليَّة الأصداغ بالمسك
عجباً لمثلكِ لا يكونُ له ... خَرْجُ العِراقِ ومِنبرُ الملك

الشعر لابن قَيس الرُّقَيَّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذكَر في أخبارها ان شاء الله تعالى .

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

عائشةُ بنت طلحةَ بن عُبَيد الله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم. وأُمها أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصِدّيق. أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال مُصعبٌ:

كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها في ذلك:

كانت عائشة بنت طلحةَ لا تستر وجهها من أحد. فعاتبها مُصعبٌ في ذلك، فقالت: انّ الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناسُ ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنتُ لأستره، ووالله ما فيّ وَصمةٌ يقدر أن يذكرني بها أحدٌ. وطالت مُرادّةُ مصعبٍ إيّاها في ذلك، وكانت شرسة الُخلق. قال: وكذلك نساء بني تيم هنّ أشرَسُ خَلق الله وأحظاه عند أزواجهن. وكانت عند الحسين ابن عليٍّ صلواتُ الله عليهما أمّ اسحاق بنتُ طلحة، فكان يقول: والله لربّما حملتْ ووضعتْ وهي مُصارمةٌ لي لا تكلّمني.

غضبت على مصعب فبعث اليها ابن قيس الرقيات:

قال: نالت عائشةُ من مُصعبٍ وقالت: عَليّ كظهر أُمي، وقعدتْ في غرفة وهيّأت فيها ما يصلحها. فجهد مصعبٌ أن تكلِمه فأبتْ. فبعث اليها ابن قَيس الرقيّات، فسألها كلامه، فقالت: كيف بيميني؟ فقال: ها هنا الشّعبيُّ فقيه أهل العراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرته، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أتحلّني وتخرج خائباً! فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم. وقال ابن قَيس الرُقيّات لمّا رآها:

جِنِّيَّةٌ برزتْ لتقتلنا مَطليَّةُ الأقرابِ[1] بالمسك

وذكر باقيَ الأبيات .

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن اسحاق اليعقوبيّ قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال :

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت :

كان أشعبُ يألف مصعباً ، فغضبت عليه عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحبّ الناس اليه ، فشكا ذلك الى أشعب . فقال : ما لي إن رضيتْ؟ قال : حُكمُك . قال : عشرة آلاف درهم . قال : هي لك .

فانطلق حتى أتى عائشة فقال : جُعِلتُ فداءكِ ! قد علمتِ حُبّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً اليك من غير منالةٍ ولا فائدة ، وهذه حاجةٌ قد عَرضت تقضين بها حقي وترتهنين بها شُكري . قالت : وما عناك ؟ قال : قد جعل لي الأمير عشرةَ آلاف درهم إن رضيت عنه . قالت: ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فارْضَيْ عنه حتى يُعطيَني ثم عودي الى ما عوّدك الله من سوء الخُلق . فضحكتْ منه ورضيت عن مصعب . وقد ذكر المدائنيُّ أن هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأن الرسول اليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق .

وأخبرني الحسين بن يحيي قال قال حماد قال أبي حُدِّثت عن صالح بن حسَّان قال :

كان بالمدينة امرأة حسناء تُسمَّى عَزَّةَ المَيلاء يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب

---

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة .

ابن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص، فقالوا: إنّا خطبنا فانظري لنا. فقالت لمصعب: يابن أبي عبد الله ومَن خطبتَ؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت: فأنت يابن أبي أُحيحة؟ قال: عائشة بنت عثمان. قالت: فأنت يابن الصدّيق؟ قال: أمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة. قالت: يا جارية هاتي مَنقلِيّ (تعني خُفَّيها) فلبستهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية انظري ما هذا. فنظرت ثم رجعت فقالت: امرأةٌ أُخذت مع رجل. فقالت: داءٌ قديم، امضِ ويلكِ. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتُك! كنّا في مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك، فلم أدرِ كيف أصفك فديتُك. فألقي ثيابكِ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها. فقالت لها عَزّة: خُذي ثوبَك فديتك. فقالت عائشة: قد قضيتُ حاجتكِ وبقيتْ حاجتي. قالت عزّة: وما هي بنفسي أنتِ؟ قالت: تُغنّيني صوتاً. فاندفعت تغنّي لحنها:

صوت

خليليّ عوجا بالمحلّة من جُملِ	وأترابها بين الأُصيفر والخبلِ
نَقِفْ بمغانٍ قد محا رسمها البِلى	تَعاقبها الأيام بالريح والوَبل
فلو درج النملُ الصِغار بجلدها	لأندَبَ[1] أعلى جِلدِها مدرَجُ النمل
وأحسن خلق الله جيداً ومقلةً	تُشبَّه في النسوان بالشادن[2] الطِّفل

— الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعمرٍ العُذريّ. والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى — فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف

(١) أندب أعلى جلدها: ترك فيه ندوباً. والندب (بالتحريك): أثر الجرح.

(٢) الشادن من أولاد الظباء: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والطفل بالفتح: الناعم الرخص.

من أنواع الفضة وغير ذلك ، فدفعته الى مولاتها فحملته . وأتتِ النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، حتى أتتِ القوم في السقيفةِ . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يابن أبي عبد الله ، أمَّا عائشة فلا والله إن رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً ، محطوطة[١] المتنين ، عظيمة العجيزة ، ممتلئة الترائب[٢] ، نقيَّة الثغر وصفحةِ الوجه ، فرعاء[٣] الشعر ، لفَّاء الفخذين ، ممتلئة الصدر ، خميصة[٤] البطن ، ذات عُكَن ، ضخمة السُّرَّة ، مُسَرولة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها . وفيها عيبان ، أمَّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمَّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك .

ثم قالت عزّة : وأمَّا أنت يابن أبي أُحيحة فإني والله ما رأيتُ مثل خَلقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ ، ليس فيها عيب . والله لكأنما أُفرِغتْ إفراغاً ، ولكن في الوجه ردّة[٥] ، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنس به . وأمَّا أنت يابن الصدّيق فوالله ما رأيت مثل أمّ القاسم ، كأنها خُوط[٦] بانة تنثني ، وكأنها جَدلُ عِنان ، أو كأنها جانٌ[٧] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ . ولكنها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فاذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كلٌّ شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

---

(١) محطوطة المتنين ممدودتهما . والمتنان : جنبتا الظهر ، ويقال لهما المتنتان .

(٢) الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .

(٣) فرعاء الشعر : طويلته . واللفف في الفخذين : التفافها أو ضخامتها وا كتناز لحمها .

(٤) خميصة البطن : ضامرته . والعكن : الأطواء في البطن من السمن ، الواحدة عكنة (بالضم) .

(٥) الردّة : القبح مع شيء من الجمال .

(٦) الخوط : الغصن الناعم .

(٧) الجان هنا : حية كحلاء العينين لا تؤذي . شبهتها بالحية في اللين . وفي سائر الأصول : « أو كأنها خشف » . والخشف (مثلثة الخاء) : ولد الظبية .

أخبرني الطوسيّ وحرميٌّ عن الزبير عن عمه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك، قالوا جميعاً:

إنّ أمّ عائشةَ بنتِ طلحة أمُّ كلثوم بنتُ أبي بكرٍ الصدّيق، وأمّها حبيبة بنت خارجةَ بن زيد بن أبي زهير من بني الحَزرج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها. فزوّجتها عائشة عبد الله بنَ عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذرها[1]، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكنى، وعبدَ الرحمن، وأبا بكر، وطلحةَ، ونفيسةَ وتزوّجها الوليد بن عبد الملك، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ. وكان ابنها طلحة من أجواد قريش، وله يقول الحزين الدِّيلي:

فإن تـك يا طَلحُ أعطيتَني عُذافرةً[2] تَستخفّ الضِّفارا[3]
فما كان نَفعُك لي مَرّةً ولا مرّتـين ولكن مِرارا
أبوك الذي صدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمّك بيضاء تَيمِيَّةٌ إذا نُسب الناسُ كانوا نُضارا

مصارمتها لزوجها وإيلاؤه منها:

قال: فصارمت عائشة بنتُ طلحة زوجها، وخرجت من دارها غَضبى، فمرّت في المسجد وعليها مِلحفةٌ تريد عائشةَ أمّ المؤمنين، فرآها أبو هُريرةَ فقال: سبحان

(١) أبو عذر المرأة وأبو عذرتها: الذي افتضها وافترعها.

(٢) العذافرة: الناقة الشديدة العظيمة.

(٣) الضفار (بفتح الضاد): ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور. أي تستخف زمامها لقوّتها.

الله! كأنها من الحور العين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. وكان زوجها قد آلى منها، فأرسلتْ عائشة: إني أخاف عليك الإيلاء[1]، فضمّها اليه. وكان مُولياً منها فقيل له: طلّقها، فقال:

يقولون طلّقها لأصبح ثاوياً مُقيماً علي الهمّ، أحلامُ نائمِ
وإن فراقي أهل بيتٍ أحبُّهم لهم زُلفةٌ عندي لإحدى العظائم

زواجها من مصعب بن الزبير:

فتوفي عبدُ الله بعد ذلك وهي عنده، فما فتحت فاها عليه، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذنوبها التي تعدّدها. ثم تزوجها بعده مُصعبُ بن الزبير، فأمرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلَ ذلك. وبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعباً قدّم أيرَه، وأخّر خيره. فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال: لكنّه أخّر أيرَه وخيرَه.

وكتب ابن الزبير الى مصعب يؤنّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزلَ إلا بالبيداء، وقال له: إني لأرجو ان تكون الذي يُخسف به بالبيداء، فما أمرتُك بنزولها إلا لهذا. وصار اليه وأرضاه من نفسه. فأمسك عنه.

قال وحدّثني المدائني عن سُحيم بن حفص قال:

كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاحٍ ينالُها منه وبضربها. فشكا ذلك الى ابن أبي فروة كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنت لي. قال: نعم! إفعل ما شئت فإنها افضلُ شيء نلته من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسودان

---

(١) الإيلاء: اليمين، وفي الشرع أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته. وحكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف، فاما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع.

فاستأذن عليهـا . فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ! قال نعم . فأدخلته . فقال للأسودين : احفرا ها هنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شُؤم مولاتك ، امرني هذا الفاجر أن أدفنها حيّةً وهـو أسفكُ خلقِ الله لدمٍ حرامٍ . فقالت عائشة : فأنظرني أذهبْ اليه . قال هيهات ! لا سبيل الى ذلك ، وقـال للأسودين : احفرا .

فلمّا رأت الجدّ منه بكتْ ثم قالت : يا بن ابي فروة إنك لقاتلي ما منه بُدٌّ ؟ قال : نعم ، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قـالت : وفي أيّ شيءٍ غَضبهُ . قال : في امتناعك عنه ، وقد ظنّ أنك تُبغضينه وتتطلعين الى غيره فقد جُنّ . فقالت : أنشدُك الله إلا عاودته . قال : إني أخاف أن يقتلني . فبكت وبكى جواريها . فقال : قد رَققت لك ، وحلف أنه يغرّر بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تضمنُ عني ألّا أعودَ ابداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت . قيامٌ بحقك ما عشتُ . قال : فأعطيني المواثيق ، فأعطته . فقال للأسودين : مكانَكما ، وأتى مصعباً فأخبره . فقال له : استوثق منها بالايمان ، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب .

أخبار لها مع مصعب :

قال : ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبّحة[١] ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت احب اليّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرة ، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليـه ، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر ، فشكت عائشة مصارمته الى

(١) التصبح : نوم الغداة ؛

مولاة لها. فقالت: الآن يصلح ان تخرجي اليه. فخرجت فهنأتـه بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إني أشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر.

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المسعَر قال:

كان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعفةً، وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نُضد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و] المجمر[١]، وخلعت على كل امرأةٍ منهن، خِلعة تامة من الوشي والخزّ ونحوهما، ودعت عَزة الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت، ثم قالت لعزّة: هاتي يا عزةُ فغنّينا، فغنّتهن في شعر امرئ القيس:

وثغرٍ أغرّ شتيت النبات لذيذ المُقبَّل والمُبتَسَمْ
وما ذقتُه غيرَ ظنٍ بـه وبالظن يقضي عليك الحكَمْ

وكان مصعبٌ قريباً منهن ومعه اخوانٌ له، فقام فأنتقل حتى دنا منهن والستور مُسبلةٌ، فصاح: يا هذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على ما وصفتِ، فبارك الله فيك يا عزّة! ثم ارسل الى عائشة: أما أنت فلا سبيل لنا اليك مع من عندك، وأما عزّة فتأذنين لها ان تغنّينا هذا الصوت ثم تعود اليك، ففعلت. وخرجت عزّة اليه فغنّته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً. ثم قال لها: يا عزة إنك لتُحسنين القولَ والوصف، وأمرها بالعَود الى مجلسها، وتحدّث ساعة مع القوم ثم تفرّقوا.

(١) المجمر (بكسر فسكون ففتح وبضم فسكون فكسر): العود الذي يتبخر به.

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد الله :

وقال المدائني ، وذكره القحذمي أيضاً في خبره ، : فلما قُتِل مصعب عن عائشة خطبها بِشرُ بن مروان ، وقدِم عُمرُ بن عُبيد الله بن معمرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بِشرَ بن مروان خطبها ، فأرسل اليها جاريةً لها وقال : قُولي لابنة عمي يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول ، وأنا ابن عمك واحقُّ بك ، وان تزوجت بك ملأتُ بيتك خيراً ، وحرك أيراً . فتزوجته فبنى بها بالحيرة ومهدت له سبعةَ افرشةٍ عرضها اربعُ اذرع ، فاصبح ليلة بنى بها عن تسعٍ . قال : فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص فديتُك ! قد كملتَ في كل شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره ان بشراً بعث اليها عُمر بن عُبيد الله بن معمر يخطبها عليه ، فقالت له : يا مصارع قلة[1] ! أما وجد بشرٌ رسولاً الى ابنة عمك غيرك ! فأين بك عن نفسك ؟ ! قال : أو تفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوجها . وقال مصعب الزبيري في خبره : لمّا بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنك الليلة ، فلم يصنع الا واحدةً . فقالت له لمّا اصبح : قُم يا قَتّال . قال : وقالت له حينئذٍ :

قد رأيناك فلم تَحلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزبيري وعصبيّة . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق .

ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد الله :

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي

(١) «يا مصارع قلة» . وظاهر أنها تريد أن تؤنبه .

أن عمر بن عبيد الله لمّا قدم الكوفة تزوج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل اليها ألفَ ألف درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة الف هديةً ، وقال لمولاتها : لك عليَّ ألفُ دينارٍ ان دخلتُ بها الليلة . وأمر بالمال فحُمل فأُلقي في الدار وغُطّي بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها : أهذا فرشٌ أم ثياب ؟ قالت : انظري اليه ، فنظرت فإذا مالٌ ، فتبسمت . فقالت : أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزباً ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله الا بعد ان اتزين له واستعد . قالت : فيم ذا ! فوجهك والله أحسن من كل زينة ، وما تَمُدِّين يدك الى طيب أو ثوب او مال او فرش الا وهو عندك . وقد عزمتُ عليك ان تأذني له . قالت : افعلي .

فذهبت اليه فقالت له : بتْ بنا الليلة . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأُدني اليه طعامٌ فأكل الطعام كله حتى أعرى الخِوان ، وغسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضّأ ، وقام يصلي حتى ضاق صدري ونمتُ ، ثم قال : أعليكم اذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخلْ ، فأدخلتُه واسبلتُ السِتر عليهما . فعددتُ له في بقيّة الليل على قِلّتها سبع عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها .

فلمّا اصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ! والله ما رأيتُ مثلك ، أكلتَ أكل سبعةٍ ، وصلّيت صلاة سبعةٍ ، ونكتَ نيك سبعة . فضحك وضرب بيده على منكِب عائشة ، فضحكتْ وغطت وجهها وقالت :

قد رأيناك فلم تحلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

ويدلّ ايضاً على بطلان خبره أنه لمّا مات ندبته قائمةً ، ولم تندب أحداً من ازواجها الا جالسةً . فقيل لها في ذلك ، فقالت : انه كان أكرمهم عليّ وامسهم رحماً بي ، وأردت ألّا اتزوج بعده . وكانت نُدبةُ المرأة زوجها قائمةً مما تفعله من لا تريد ان تتزوج بعد زوجها . أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير بن حرب عن محمد بن سلّام . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر الى سياقة خبرها :

حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر :

قال المدائنيّ في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحةَ، فقيل لها : قد جاء الامير، فتنحيت ، ودخل عمر بن عُبيد الله ، وكنتُ بحيث اسمع كلامهما، فوقع عليهــا فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلتُ لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا! فقالت : انا نتشهّى لهذه الفحول بكل ما حرّكها وكل ما قدَرنا عليه .

قال المدائني : وحدّثني مسلمةُ بن محاربٍ قال :

قالت رَملةُ بنت عبد الله بن خَلفٍ – وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنه طلحةَ الجود – لمولاة لعائشة بنت طلحة : أريني عائشة متجرّدة ولك الفاً درهم . فأخبرت عائشة بذلك . قالت : فإني اتجرّد ، فأعلميها ولا تعرّفيها أني اعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلةً ومدبرةً . فأعطتْ رملةُ مولاتها الفي درهم ، وقالت لوددت أني أعطيتك اربعــة آلاف درهم ولم أرها . قال : وكانت رملة قد أسنّت ، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الانف . وفيها وفي عائشة يقول الشاعر :

أنعِمْ بعائشَ عيشاً غير ذي رَنَقٍ   وأنبِذ برملة نبذ الجورب الخلَقِ

ويقال : ان رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيام اقرائها ثم تغتسل ، تُريه أنها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حيضها . فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

جعــل الله كل قطرة حَيضٍ   قطرتْ منك في حماليق عيني

أخبار لها مع عمر بن عبيد الله :

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبي مُحلِّم عن أبي بكر بن عيّاش قال :

قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنت طلحة وقد اصاب منك طيبَ نفس : ما مرّ لي مثلُ يوم أبي فُدَيكٍ[1] . فقالت له : أعدُد ايامك واذكر أفضلها ، فعدّ يوم سِجستان ويوم قطريّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن في ايامك أشجع منك فيه . قال : وايّ يوم ؟ قالت : يوم أرختْ عليها وعليك رملة السِّترَ . تريد قُبح وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانيَ سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنين وثمانين ، فتأيّمت بعده ، فخطبها جماعة فردتهم ، ولم تتزوج بعده أحداً .

قال المدائنيّ : كان عمر بن عُبيد الله من أشدّ الناس غَيرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ ، فقال لها : انفُضي الترابَ عنّي . فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كان أحسن منه على وجه مُصعبٍ ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدثني القحذميّ قال :

---

(١) أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، فوجه اليه عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ عمر بن عبيد الله بن معمر وأمره أن يندب معه من أحب ، فندب عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة آلاف من أهل البصرة وسار بهم حتى انتهوا الى البحرين . وهنالك التقوا بأبي فديك وأصحابه ، فكانت بينهم وقعة شديدة قتل فيها أبو فديك وكثير من أصحابه ، وأسر منهم فريق . (راجع تاريخ الطبري القسم الثاني صفحة ٨٥٢ — ٨٥٣) .

كانت عائشة بنت طلحة من أشدّ الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجيء يحدّثها في رقيق الثياب، فاذا قالوا: قد جاء الأمير ضَمَّتْ عليها مِطرَفها وقطَبَتْ. وكانت كثيراً ما تصف لعمر بن عُبيد الله مصعباً وجماله، تَغيظه بذلك فيكاد يموت.

طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجت :

وقال المدائنيّ حدثني مَسلمةُ بن مُحارب وعُبيد الله بن فائـد، وأخبرنا به حرميّ عن الزبير عن عمه ومحمد[1] بن الضحّاك، قالوا:

دخلتْ عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة، فقالت: يا أمير المؤمنين، مُرْ لي بأعوانٍ. فضمّ اليها قوماً يكونون معها، فحجّت ومعها ستّون بغلًا عليها الهوادج والرحائل. فعرض لها عُروة بن الزبير فقال:

عائشُ يا ذاتَ البغالِ الستّينْ أكُلَّ عـامٍ هكذا تحجّينْ

فأرسلت اليه: نعم يا عُرَيّةَ، فتقدّمْ إن شئتَ؛ فكفّ عنهـا. ولم تتزوج حتى ماتت.

وقال غير المدائنيّ: إن عائشة بنت طلحة حجّت وسُكَينة بنت الحسين عليهما السلام معاً، وكانت عائشة أحسن آلةً وثَقَلًا[2]. فقال حاديها:

عائش يا ذات البغال الستّين لا زلتِ ما عِشتِ كذا تحجّين

فشقّ ذلك على سُكَينة، ونزل حاديها فقال:

(١) في ب، س: «ويحيى بن الضحاك» وهو تحريف.

(٢) الثقل (بالتحريك): المتاع.

عائش هذي ضرَّةٌ تشكوك لولا أبوها ما أهتدى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكفَّ فكفَّ .

وقال : إسحاق بن ابراهيم في خبره حدثني محمد بن سلّام عن يزيد بن عِياض قال :

استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك في الحجّ ، فأذِن لها وقال : ارفعي حوائجك وأستظهري ، فإنّ عائشة بنت طلحة تحجُّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جهدتْ فيها . فلمّا كانت بين مكة والمدينة اذا مَوكبٌ قد جاء فضغطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألتْ عنها فقالوا : هذه خازنتها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغطهم ، فسألتْ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا الى سننها . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِباب والهوادج . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

وقال هارون بن الزّيّات حدثني قَبيصة عن أبن عائشة عن أمّه عن سلّامة مولاة جدّته أُثَيلة بنت المُغيرة بن عبد الله بن مَعمرٍ قالت :

زُرتُ مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئـذٍ وصيفةٌ[1] ، فرأيتُ عجيزَتها من خلفها وهي جالسةٌ كأنها غيرُها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلم ما هي ، فلمّا وجدتْ مسّ أصبعي قالت : ما هذا؟ قلت : جُعِلتُ فداءك ! لم أدرِ ما هو ، فجئت لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثر مَن يَعجبُ مما عَجِبتِ منه .

إعجاب أبي هريرة بجمالها :

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَينة عن أبيه عن جدّه : أنّ عائشة

---

(١) أي جارية شابة .

نازعتْ زوجها الى أبي هُرَيرة ، فوقع خِمارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبحان الله ! ما أحسن ما غذّاك أهلك ! لكأنما خرجتِ من الجنّة .

قال ابن عائشة وحدثني أبي أنّ عائشة بنت طلحة وفَدَت على الشام ، فقال لها : ما أوفدك ؟ قالت : حَبستِ السماءُ المطرَ ، ومَنع السلطانُ الحقّ . قال : فإني أَبلُّ رَحِمَكِ وأعرف حقَّك ، ثم بعث الى مشايخ بني أُميّة فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمروا عندي الليلة فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلّا أفاضتْ معهم فيه ، وما طلع نجمٌ ولا غارَ إلا سمّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أنكره ، وأمّا النجوم فمن أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتي عائشة . فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها الى المدينة .

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته وخبره معها :

أخبرني عمي عن الكرانيّ عن المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزّازيّ قال :

لمّا تأيّمتْ عائشةُ بنت طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج الى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتُناضل بين الرُّماة . فمرّ بها النميريّ الشاعرُ ، فسألتْ عنه فنُسِب لها ، فقالت : ائتوني به . فقالت له لمّا أتوها به : أنشدني ممّا قلتَ في زينب[1] . فامتنع وقال : ابنةُ عمي وقد صارتْ عِظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لمّا فعلتَ . فأنشدها قوله :

نزلنَ بفخٍ ثم رُحنَ عشيّةً يُلبّينَ للرحمن مُعتمِراتِ[2]

---

(١) هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٢) فخ : واد بمكة . وفيه يقول بلال يحن اليه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وعندي إذخر وجليل

والاعتمار : القصد والزيارة ، وهو في الشرع : زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة معروفة في كتب الفقه .

يجتنِبْنَ أطرافَ الأكُفِّ من التُّقى ويخرجن شَطرَ الليـل مُعتجراتِ[1]
ولمَّا رأتْ رَكبَ النميريِّ أعرضتْ وكنَّ مِنَ أنْ يَلقَينه حَذِراتِ
تضوّع مِسكاً بطنُ نَعمان أن مَشَتْ بـه زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

فقالت : والله ما قلتَ إلّا جميـلاً ، ولا وصفتَ إلا كرماً وطيباً وتُقى ودِيناً ، أعطوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها فقالت : عليّ به لجاء . فقالت : أنشِدني من شعرك في زينب . فقال : أوَ أُنشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَواليها ، فقالت : دَعوه ؛ فإنه أراد أن يَستقيد لابنـة عمه ، هاتِ . فأنشدها :

ظعن الأميرُ بأحسنِ الخلقِ وغَدَوْا بلُبِّك مَطلع الشّرقِ
وتنوء تُثقِلها عجيزتُهـا نَهضَ الضعيف ينوء بالوَسْقِ
ما صبَّحتْ زوجاً بطلعتهـا إلّا غدا بكواكب الطَّلْقِ
قُرَشيّةٌ عَبِقَ العبيرُ بهـا عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
بيضاء من تيم كَلِفتُ بها ، هـذا الجنون وليس بالعشق

قالت : والله ما ذكر إلا جميلاً ، ذكر أنّي اذا صبَّحت زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلق ، وأنّي غدوت مع أمير تزوّجني الى الشرق . أعطوه ألفَ درهم وأكسوه حُلّتين ، ولا تَعُد لإتياننا يا نميريُّ .

أخرّ الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن محمد بن سلّام :

أن عبد الملك ولّى الحارث بن خـالد على مكة . فأذّن المؤذّن ، وخرج

(١) الاعتجار : ليّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .

للصلاة ، فأرسلت اليه عائشة بنت طلحة : قد بقي من طوافي شيء لم آتِه ، وكان يتعشّقها ، فأمرَ المؤذِّن فكفَّ عن الإقامة ، ففرغت من طوافها . وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله . فقال : ما أهوَن والله غضبه وعَزْله إيايَ عليّ عند رِضاها عني .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبَّة قال :

قال سَلمُ بن قُتَيبة : رأيتُ عائشة بنت طلحة بمِنًى أو مسجد الخيفِ ، فسألتني مَن أنت ؟ قلت : سَلمُ بن قُتَيبة . فقالت: رَحِم الله مصعباً! ثم ذهبت تقوم ومعها امرأتان تُنهضانها ، فأعجزتها أليتاها من عظمها ، فقالت : إني بكما لمَعنَاةٌ ، فذكرتُ قول الحارث :

وتنوء تُثقِلها عجيزَتُها نَهضَ الضعيف ينوء بالوَسَقِ

وروى هذا الخبر هارون بن الزيَّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو عمرو بن خَلَّاد عن المدائنيّ قال :

قال أبو هُرَيرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيت شيئاً أحسنَ منك إلَّا معاوية أوّل يومٍ خطب على مِنبرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار في الليلة القرّةِ في عين المقرور .

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد ابن الحكم عن عَوانة قال :

كتب أبانُ بن سعيدٍ الى أخيه يحيى يخطب عليه عائشةَ بنت طلحة ، ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أيلة ؟ قال : أراد العُزلة . قالت : اكتب الى أخيك :

حللتَ محلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ عدواً ولا مستنفَعٌ بـك نافعُ

صوت

اذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءه صنيعةُ تَقوى أو صديقٌ تُوامِقُهْ
مَنَعْتَ وبعضُ المَنعِ حَزمٌ وقوّةٌ فلم يَفتَلِتك المـالَ إلّا حقائقُه[1]

عَروضه من الطويل. توامقـه: تفاعله من الموامقة، أي تَودّه ويودّك؛ يقال وَمقتُه أمِقُه أي أحببته. ويفتلتك أي يُخرجه من يدك وقَبضتك. الشعر لكُثَيِّر. والغناء لمالك بن أبي السَّمحِ، ويقـال إنه للهُذَليّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر.

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنـا طلحة بن عبد الله قال حدثني أبو مَعمرٍ عافيةُ بن شَبيبة قال حدثني العُتبيّ قال:

أفلس صَيرَفيٌّ بالمدينة، فخرج قومٌ يسألون له، فمرّوا بأبن عِمران الطَّلحيّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابُـه، فسألوه، فقرَع بمخصرته[2] ثم رفع رأسه اليهم فقال:

اذا المالُ لم يوجبْ عليك عطاءه صنيعةُ تَقوى أو صديقٌ تُوامِقُهْ
بخلتَ وبعضُ البخل حَزمٌ وقوّةٌ فلم يفتلتك المـال إلا حقائقه

إنّا والله ما نَحيد عن الحق، ولا نتدفّق في الباطل، وإنّ لنا لحقوقاً تشغل فضول

---

(١) حقائقه أي حقوقه.

(٢) المخصرة: ما يختصره الانسان أي يمسكه ليتوكأ عليه مثل العصا والقضيب والمقرعة.

أموالنا ، وما كلُّ مَن أفلس من صيارفة المدينة قدرنا أن نجبره ، قوموا . قال : فقمنا نستبق الباب .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا أبو مَسلمة المدينيّ قال أخبرني أبي قال :

كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مملقًا ليس في ديوانٍ ولا عطاء ، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن اسماعيل . فقال له يوماً : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل ، وقد أمرتُ الحرس ألا يعرضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبق هشاماً يومئذٍ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه . فعرض له الأنصاريّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤ من الأنصار ، وقد بلغتُ هذه السنّ ولستُ في ديوانٍ . فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعَلَ .

قال : فأقبل عليه هشامٌ فقال : والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المُقبلة ، ثم أقبل على الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جُمعة يقول :

اذا المالُ لم يوجبْ عليك عطاءَه صنيعةُ تقوى أو خليلٌ توامِقُهْ
منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوّةٌ فلم يفتلتك المالَ إلّا حقائقه

* * *

صوت

من شعر عمرو بن شأس :

فَوانَدمي على الشباب ووانَدمْ نَدِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذَمّ

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ
أرادتْ عِراراً بالهوان ومن يُرِدْ عِراراً لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ
فإن كنتِ مني أو تريدين صحبتي فكوني له كالسمن رُبَّت له الأدَم
وإلّا فبيني[1] مثلَ ما بان راكبٌ تيمّم خِمساً ليس في وِرده يَتَم
فإنّ عِراراً إن يكن ذا شكيمةٍ تَعافينها منه فما أملكُ الشِّيَم
وإنّ عِراراً إن يكن غيرَ واضحٍ فإني أُحبّ الجونَ ذا المَنكبِ العَمَم
وإني لأُعطي غثَّها وسمينها وأسري اذا ما الليل ذو الظُّلَم أدْلهم
حِذاراً على ما كان قدَّم والدي إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُدُ الصِّرَم

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن شأس الأسديّ . والغناء في الأوّل والثاني من الأبيات لمعبد ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى ، عن اسحاق . وذكر عمرو أن فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هزجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبشٍ ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنه لسُلَيم . الشامخ : الذي يشمخ بأنفه زَهواً وكِبراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت له : يعني للسمن فلا تُفسده[2] . والأَدَمُ جمعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أدَمٌ ، كما يقال أفيقٌ وأَفَقٌ[3] . واليَتَم[4] : الغفلة والضَّيعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختلج

(١) ويروى هذا البيت في ديوان الحماسة :

وإلا فسيري مثل ما سار راكب تجشم خمساً ليس في سيره أمم

والأمم هنا : القرب والقصد .

(٢) يريد أن الأدم التي هي أوعية السمن إذا دهنت بالرب ، منعت فساد السمن وزادت في طيب ريحه . والرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره .

(٣) الأفيق والأديم كلاهما الجلد المدبوغ .

(٤) قيل معنى اليتم هنا الإبطاء .

عن أمه . والعرب تقول : « لا تخلِج الفصيلَ عن أمه ، فإنّ الذئب عالمٌ بمكان الفصيل [اليتيم] » . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان؛ ومنه شكيمة اللِجام ، وجمعها شكائمُ : قال عُوَيفُ القوافي :

أقولُ لفِتيـانٍ كِرامٍ تَرَوّحوا على الجُردِ في أفواههن الشكائمُ

والواضح : الأبيض . والجون : الأسود والأبيض أيضاً ، وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عمَمٌ ، ورجلٌ عميمٌ ، وامرأةٌ عميمةٌ ، ونخلٌ عميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُرى : السيرُ ليلاً . وأدْلهم : اشتـدّ سواده : والحرجفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِرمُ : جمع صِرمة وهي القطعة من الإبل . يعني أن هذه الريح اذا هبّت طرَدَ الرعاء الإبلَ الى مُراحِها وأعطانِها فتسكن فيها .

نسب عمرو بن شأس وأخباره

هو عمرو بن شأس بن عبيدة بن ثعلبة بن ذُوَيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة : وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسَّان وابنه عِرار بن عمرو ، وكانت تؤذيه وتعيِّره بسواده .

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الاعرابي :

كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه ، ويقال لها أم حسَّان ، واسمها حيَّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء ، وكانت تعيِّره وتُؤذي عِراراً وتشتُمه ويشتمها . فلمَّا أعيتْ عمراً قال فيها :

ديار ابنــة السَّعدي هيهِ تكلَّمي ... بدافقة الحَوْمان فالسَّفح من رمم[١]
لعَمرُ ابنــة السَّعدي إني لأتّقي ... خلائق تُؤبَى[٢] في الثراء وفي العدم
وقفتُ بها ولم أكن قبلُ ارتجي ... اذا الحَبلُ من إحدى حبائبي أنصرم
وإني لمُزرٍ[٣] بالمطيِ تنقُّلي ... عليه وإيقاعي المهنَّــدَ بالعِصَم
وإني لأعطي غَثَّها وسمينهــا ... وأسري اذا ما الليلُ ذو الظلم أدلهمّ

---

(١) هيه : كلمة استزادة للحديث ، مثل إيه . والحومان ورمم : موضعان .

(٢) تؤبى : تعاف وتكره .

(٣) مزر : مستخف متهاون . وتنقلي عليه : بدل من المطي . والعصم : القلائد، واحدتها عصمة، والمراد مواضعها . يريد أنه كثير الاسفار كثير الإغارة .

اذا الثلجُ أضحى في الديار كأنه ... مناثرُ[1] ملحٍ في السهول وفي الأكَمْ
حذاراً على ما كان قدّم والدي ... اذا روّحتهم حَرجفٌ تطرد الصِرم
وأترك ندماني[2] يجرّ ثيابه ... وأوصاله من غير جُرحٍ ولا سقم
ولكنّها من ريّةٍ بعد ريّةٍ ... مُعتّقةٍ صهباء راووقُها رذَم[3]
من العانيات[4] من مُدامٍ كأنها ... مذابحُ غزلانٍ يطيب بها الشمم
واذ إخوتي حولي واذ انا شامخٌ ... واذ لا أجيب العاذلات من الصمم
ألم يأتها أني صحوتُ وأنني ... تحالمتُ حتى ما أُعارم من عرم[5]
وأطرقتُ إطراق الشُجاع ولو يرى ... مساغاً لنابيه الشجاعُ لقد أزم[6]
وقد علمتْ سعدٌ بأني عميدُها ... قديماً وأني لستُ أهضمُ من هضَم

— يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهضّمه فيطلبني بمثل ذلك ، اي ارفع نفسي عن هذا —

---

(١) مناثر : جمع منثر (وزن مكتب) ، وهو اسم مكان من نثر ينثر . وهو يريد كأنه الثلج ملح منثور ، فشبه مساقط الثلج بمناثر الملح . والأكم (بفتحتين وبضمتين) : جمع أكمة (بفتحتين) وهي دون الجبل .

(٢) الندمان : الذي يوافقك في شرابك . والأوصال : المفاصل ، واحدها وصل (بكسر الواو وضمها) .

(٣) راووق الخمر : ناجودها الذي تروّق فيه . والرذم (بالتحريك) : اسم من الامتلاء وصف به .

(٤) العانيات : الأسيرات ، أي هي من المحتبسات في دنانها . وقوله «كأنها مذابح غزلان» يريد أن يصفها بطيب الريح .

(٥) يقال : عرم يعرم (من بابي نصر وضرب) وعرم (بكسر عين الفعل) وعرم (بضمها) عرامة وعراماً (بضم أوله) اذا اشتدّ .

(٦) الاطراق : السكوت في سكون . والشجاع هنا : الحية الذكر . وأزم عض ؛ يقال : أزمه يأزمه وعليه اذا عضه .

خُزيعـةُ ردّاني[1] الفَعَالَ ومعشرٌ قديماً بنوا لي سُورة[2] المجد والكَرَمْ
اذا ما وردنا الماء كانت حُماتـه بنو أسدٍ يوماً على رغم من رغم[3]
ارادت عراراً بالهـوان ومن يُرد عراراً لعَمري بالهوان فقـد ظَلَم

وذكر باقي الابيات . قال ابن الاعرابي وأبو بكر الشَّيباني : فجهد عمرو بن شأس أن يُصلح بين ابنه وامرأته أم حسَّان فلم يمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما. فلمَّا رأى ذلك طلّقها ، ثم ندم ولام نفسه ؛ فقال في ذلك .

تذكّر ذِكرى أم حسَّان فأقشعرّ على دُبرٍ لمَّا تبيَّنَ ما أئتمرْ[4]
فكدتُ أذوق الموت لو أن عاشقاً أمرّ بمُوساه الشوارب فـانتحر[5]
تذكَّرتُها وهناً وقد حال دونهـا رعانٌ وقيعانٌ بها الزّهرُ والشجر[6]
فكنتُ كذاتِ البوّ[7] لما تذكرتْ لهـا رُبعاً حَنَّت لِمعهده سَحَر
حِفاظاً ولم تَنزع هواي أثيمـةٌ كذلك شأوُ المرء يخلجه القـدر

---

(١) ردّاني : ألبسني . والفعال (بالفتح) : الخير . يريد : ورثني شمائل الخير .

(٢) سورة المجد : يريد منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .

(٣) الرغم (مثلث الراء) هنا : الكره والقسر . ورغم : ذل ؛ يقال رغم أنف فلان اذا ذل وانقاد .

(٤) دبر كل شيء : آخره . وأتمر هنا : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطىء أخرى .

(٥) في العبارة هنا قلب أي أمر موساه بالشوارب . والشوارب هنـا : عروق في الحلق . والانتحار هنا : قتل المرء نفسه .

(٦) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل ، ومثله الوهن . ورعان : جمع رعن (بالفتح) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل . والقيعان جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٧) البوّ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب الى أمه فتعطف عليه وتدر . والرّبع (بضم ففتح) : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج ، فان نتج في آخره فهو هبـع (بضم وفتح) .

قال ابن الأعرابي: الأثيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: [لم] تنزع الأثيمةُ هواي. تَخلِجه: تَصرفه. شأوُه: همُّه ونيَّته. قال وقال فيها أيضاً:

ألم تعلمي يا أمَّ حسّان أنني ... اذا عَبرةٌ نَهنهتُها[١] فتخلتِ
رجعتُ الى صدرٍ كجرّةِ حَنتمٍ[٢] ... اذا قُرِعتْ صِفراً من الماء صلّت

أخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبَّة عن اسحاق بن محمد بن سلَّام، وأخبرني ابراهيم بن ايوب عن ابن قُتيبةَ قال قال ابن سلَّام:

لمّا قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الاسديّ، فلمّا ورد به وأوصل كتاب الحجاج، جعل عبدُ الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن يكن غير واضح ... فإني أحبُّ الجونَ ذا المَنكِبِ العمَم

فضحك عرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مِمَّ ضحكتَ ويحك؟! قال: اتعرف عراراً يا امير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال لا. قال: انا والله هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظٌّ وافق كلمةً، واحسنَ جائزته وسرَّحه.

وقال الطوسيّ: اغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عديٌّ وهو ابن اخت الحارث بن ابي شمرٍ الغسّاني على بني اسدٍ، فلقيته بنو سعدِ بن ثعلبة بن دُودان بالفرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذار[٣]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعدٍ

(١) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. ونهنهتها: كففتها.

(٢) الحنتم: جرار خضر تضرب الى الحمرة. وصلت: صوّتت.

(٣) وقيل في ضبطه إنه ككتاب.

عديًّا، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذار اخوا ربيعة، وأُمُّهما امرأة من كنانةَ يقال لها تماضرُ إحدى بني فرّاس بن غنم وهي التي يقال لها مقيّدة الحمار . فقالت فاختة بنت عديٍّ :

لَعَمرُك ما خشيتُ على عديٍّ رماحَ بني مُقيّدة الحمارِ
ولكني خشيتُ على عديٍّ رماحَ الجن او إياكَ حارِ

— تعني الحارث بن أبي شمر خاله —

قتيلٌ ما قتيلُ ابني حُذارٍ بعيدُ الهمِّ طلّاعُ النِّجارِ

ويروي : «جواب الصحاري» ، فقال عمرو بن شأس في ذلك :

صوت

متى تعرف العينان اطلال دمنةٍ لليلى بأعلى ذي معارك[١] تدمعا
على النحر والسِّربال حتى تبُلَّه سَجومٌ ولم تجزع على الدار مجزعا
خليليَّ عُوجا اليوم نقض لُبانةً وإلا تعُوجا اليوم لا ننطلق معا
وإن تنظراني اليومَ اتبعكما غداً قيادَ الجنيبِ او اذلَّ واطوعا

وهي قصيدة . غنى في هذه الابيات ابراهيم ثقيلًا اول بالوسطى عن الهشامي . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهي في غير هذا الموضع الحقدُ ؛ يقال : في صدره علي إحنةٌ ، وترةٌ ، وضبٌ ، وحسيكةٌ ، ودمنةٌ . وعُوجا : احبِسا وتلبَّثا ، عاج يعوج عياجاً. وما أعيجُ بكلامك اي ما ألتفت اليه. واللُّبانة:

(١) ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .

الحاجةُ ؛ يقال : لي في كذا لُبانةٌ ولبونة ولُماسة ، ووطرٌ ، وحوجاء ممدودة . وقوله « لا ننطلق معاً » ، يقول إن لم تقفا تأخرتُ عنكما فتفرّقنا . وتنظراني ؛ يقال نظرته انظره ، وانظرته أُنظره إنظاراً ونظرةً ايضاً اذا آخرته ؛ قال الله عزّ وجل : فنظِرَةٌ الى ميسرةٍ . والجنيب : المجنوبُ من فرس وغيره ، والجنيب ايضاً الذي يشتكي رئته من شدة العطش .

وقال الطوسي قال الاصمعي : جاور رجلٌ من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من اجمل الناس واظرفهم ، فخطبها عمرو الى ابيها . فقال ابوها : اما ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لاني اكره ان يقول الناس غصبه أمره ، ولكن اذا أتيتُ قومي فاخطبها اليّ أزوّجكها .

فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد الا يتزوجها ابداً الا ان يُصيبها مَسبيّةً . فلما ارتحل ابوها همّ عمرٌو يغزو قومها ، فسار في أثر ابيها . فلما وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر الى الجارية امامهم وقد اخرجت رأسها من الهودج تنظر اليه . فلما رآها رجع مُستحيِياً متذمّماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من اهل الخير ؛ فقال في ذلك :

صوت

اذا نحن أدلجنا[١] وانتِ امامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيدُ العيسَ[٢] خِفة أذرعٍ وإن كنّ حسرى ان تكوني اماميا
ولو اتِّقاء الله والعهد قد رأى مَنيَّته مني ابوك اللياليا

---

(١) الادلاج : سير الليل .

(٢) العيس من الابل : البيض مع شقرة يسيرة ، الواحد أعيس وعيساء . والحسرى : جمع حسير وهي الدابة المعيية المتعبة .

ونحن بنو خير السّباع أكيلةً واحربِه[1] اذا تنفس عاديا
بنو اسدٍ وردٍ يشقّ بنابه عظام الرجال لا يُجيب الرّواقيا[2]
متى تدع قيساً ادع خندفَ إنّهم اذا ما دُعوا اسمعتَ ثَمّ الدواعيا
لنا حاضرٌ لم يحضر الناس مثله وبادٍ اذا عدُّوا علينا البواديا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيل في الاول والثاني من الابيات ، وفيه لحنٌ قديم .

اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدّثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سُوَيد بن ابي رُهم قال : قلت لابن سيرين : ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ ، حسنُه حسنٌ ، وقبيحه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول في النسيب ؟ قال : لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر :

اذا نحن ادلجنا وانتِ امامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفةَ اذرعٍ وإن كنّ حسرى ان تكوني اماميا

قال : وأراد بإنشاده إياهما انك قد رأيتني احفظ هذا الجنس وأرويه وانشدتُك إياه ، فلو كان به بأسٌ ما انشدتُه .

* * *

صوت

فإن تكن القتلى بَواء فإنّكم فتى ما قتلتم آلَ عوف بن عامرِ
فتًى كان أحيا من فتاةٍ حييّةٍ وأشجع من ليثٍ بخفّان خادر

(١) وأحربه : يريد أنه أحرب السباع أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفترس الناس .

(٢) هذا كناية عن أن فريسته لا سبيل الى شفائها وسلامتها .

عروضه من الطويل . البواء بالباء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ ببَواء ، أي ما هو له بكفء أن يُقتل به . و « ما » في قولها « فتى ما قتلتم » صلة . وآل عوف نداء . وخفّان : موضع مشهور . وخادر : مقيم في مَكمنه وغيله ، وهو مأخوذ من الخدر [1] .

الشعر لليلى الاخيَليَّة ترثي توبة بن الحُمير . والغناء لإسحاق بن ابراهيم الموصلي ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لابراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ . وفي هذه القصيدة عدةُ أغانٍ تُذكر مع سائر ما قاله توبةُ في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مقتله إن شاء الله تعالى .

(١) من معاني الخدر (بالكسر) : أجمة الأسد ، ومن معاني الخدر (بالفتح) : الاقامة .

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحمير معها

وخبر مقتله

هي ليلى بنت عبد الله بن الرّحال – وقيل ابن الرّحالة – بن شدّاد بن كعب بن مُعاوية ، وهو الاخيل وهو فارس الهرّار ، ابن عُبادة بن عُقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الاسلام . وكان توبة بن الُحمير يهواها . وهو توبة بن الُحمير بن حَزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل .

أخبرني ببعض اخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب بن نصر المُهلّبي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن علي أبو المُغيرة قال حدثنا عن أبي عُبيدة قال حدثني أنيس بن عمرو العامري قال :

كان توبة بن الُحمير احد بني الاسَديَّة ، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث ، وكان يتعشّق ليلى بنت عبد الله بن الرّحالة ويقول فيها الشعر ، فخطبها الى ابيها فأبى أن يزوجه إيّاها وزوجها في بني الادلع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم يرَ منها اليه بشاشةً ، فعلم أن ذلك لأمرٍ ما كان ، فرجع الى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بني الادلع أنّه اتاها فتبعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتكَ بليلى دارُها لا تزورها   وشطّت نواها واستمرّ مريرُها [1]

---

(١) يقال : نأه ونأى عنه اذا بعد عنه . وشطت : بعدت . والنوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب او بعد ، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة . يقال : استمرت مريرة فلان على كذا اذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده .

وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ اذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقد رابني منها الغداةَ سفورُها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال :

كان توبة بن الُحمير اذا اتى ليلى الأخيلية خرجت اليه في بُرقع . فلما شُهر أمرُه شكوه الى السلطان، فأباحهم دَمه إن اتاهم . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلما علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه . فلما رآها سافرةً فطن لما أرادت وعلم أنه قد رُصد، وأنها سفرت لذلك تحذّره، فركض فرسه فنجا. وذلك قوله :

وكنتُ اذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقد رابني منها الغداةَ سفورُها

قال ابو عُبيدة وحدثني غير أنيس أنه كان يُكثر زيارتها . فعاتبه اخوها وقومُها فلم يُعتِب[1] ، وشكوه الى قومه فلم يُقلع ، فتظلّموا منه الى السلطان فأهدر دَمه إن اتاهم . وعلمت ليلى بذلك ، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعلمه بمجيئه ليقتلنّها ، ولئن أنذرته بذلك ليقتلنها . قالت ليلى : وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه ، فرصدوه بموضع ورصدته بآخر ، فلما اقبل لم اقدر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيت البرقع عن رأسي . فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففاتهم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو زيادٍ الكلابيُّ قال :

خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلًا له حتى أوحش

---

(١) أي لم يرضهم .

وأرمل[١]، ثم أمسى بأرض فنظر الى بيت بوادٍ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف، فأبصر امرأة وصبياناً يدورون بالخباء فلم يكلّمه أحدٌ. فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرةَ إبلٍ رائحةٍ، وسمع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدّم فسمع الرجل يُناجي المرأة ويقول: ما هذا السوادُ حذاءكِ؟ قالت: راكبٌ أناخ بنا حين غابت الشمس ولم أكلمه. فقال لها كذبت، ما هو إلا بعضُ خُلّانك، ونهض يضربها وهي تناشده. قال الرجل: فسمعته يقول: والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك ويُغيثك.

فلما عيلَ صبرُها قالت: يا صاحب البعير يا رجلُ! وأخذ الصحميّ هراوته ثم اقبل يُحضرُ[٢] حتى أتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضربات او أربعاً، ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد الله، ما لك ولنا! نَحِّ عنا نفسك.

فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظنّ انه قتل الرجل وهو لا يدري مَن الحيّ بعدُ، حتى اصبح في أخبيةٍ من الناس، ورأى غنماً فيها أمةٌ مولّدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر، فقال: أخبريني عن أناسٍ وجدتهم بشعبِ كذا. فضحكت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وانتَ به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادُكِ؟ فوالله ما انا به عالم. قالت: ذاك خِباء ليلى الأخيلية، وهي أحسنُ الناس وجهاً، وزوجها رجلٌ غيورٌ فهو يعزُب بها عن الناس فلا يَحُلّ بها معهم، والله ما يقربُها أحدٌ ولا يضيفها، فكيف نزلتَ أنت بها؟ قال: إنما مررتُ فنظرت الى الخباء ولم أقربه، وكتمها الامر. وتحدّثَ الناسُ عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجلُ ولم يُدرَ مَن هو. فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال:

---

(١) أوحش هنا: جاع. وأرمل: نفد زاده.

(٢) الاحضار: العدو.

ألا يا ليلَ أختَ بني عُقيلٍ أنا الصَّحميُّ إن لم تعرفيـني
دعتني دعوةً فحجزتُ[1] عنها بصكّاتٍ رفعتُ بها يميـني
فإن تكُ غيرةٌ أبرئك منها وإن تكُ قد جُنِنتَ فذا جُنوني[2]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا رشد بن خنثم الهلالي قال حدثني أيوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال :

سمعتُ الحجاج يقول لليلى الاخيلية : إن شبابك قد ذهب ، واضمحلَّ امرُك وامر توبة ؛ فأقسم عليك إلّا صدقتِني ، هل كانت بينكما ريبةٌ قطُّ أو خاطبك في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيها الامير إلا أنه قال لي ليلةً وقد خلونا كلمةً ظننتُ أنه قد خضع فيها لبعض الامر ، فقلتُ له :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُح بها فليس اليها ما حَيِيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي ان نخونه وأنت لأخرى فارغٌ وحليلُ

فلا والله ما سمعت منه ريبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموتُ . قال لها الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت: وجّه صاحباً له الى حاضرنا فقال: اذا اتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقيل فاعلُ شرفاً ثم اهتِف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً من الدهر لا يسري اليّ خيالُها

فلما فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له :

وعنه عفا ربي واحسن حفظه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُهـا

---

(١) حجزت : كففت ودفعت .

(٢) معنى البيت : إن كان ما حملك على ضرب زوجك غيرة فأنا أشفيك منها ، وإن كان جنوناً فأنا ذو جنون يغلب جنونك ، أو فهذا الذي رأيته مني جنوني .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

وهو اجمع في قصيدة توبة :

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغرّ الغوادي مطيرُها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلتِ في خضراء دانٍ بريرُها[1]
وأشرفُ بالقوز اليفاع[2] لعلّني أرى نار ليلى او يراني بصيرُها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداةَ سفورها
علي دماء البُدن[3] إن كان بعلها يرى ليَ ذنباً غير أني أزورها
وأني إذا ما زرتُها قلتُ يا اسلَمي وما كان في قولي أسلَمي ما يَضيرُها
وغيّرني إن كنتِ لما تغيّري هواجرُ تكتنيتها وأسيرُها
وأدماء[4] من سرّ المهاري كأنها مهاة[5] صُوارٍ غير ما مسّ كورُها

---

(١) البرير : ثمر الأراك .

(٢) القوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف .

(٣) البدن (بالضم ، وبضمتين أيضاً) : جمع بدنة (بالتحريك) وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة .

(٤) الأدمة في الابل : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والمهاري : جمع مهرية وهي إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان أبي حي من العرب ، وقيل : هي منسوبة الى بلد . وقال الأزهري : هي نجائب تسبق الخيل . وسرها : محضها وأفضلها .

(٥) المهاة : البقرة الوحشية . والصوار : قطيع البقر .

قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفـةٍ مَخُوفٍ رداها كلما اَستنّ مُورُها[١]
ترى ضُعفاء القومِ فيها كأنهم دعاميصُ[٢] ماء نشّ[٣] عنها غديرُها

غنى في الاربعة الابيات الأُول فُلَيحُ بن ابي العوراء ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنى في الثالث والرابع ابن سُرَيج رملًا بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجّم، وذكر غيرهما أنه لمحمد بن اسحاق بن عمرو بن بَزيع. وغنى فيها الهذليُّ ثقيلًا أوّل بالبنصر عن حَبش. وغنى أبن محرز في «عليّ دماء البُدن» والذي بعده خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن أبن مِسجَحٍ في:

وغيّرني إن كنتِ لما تَغَيّري

وما بعده لحنٌ ذكر أن عبد الله بن جعفر روّاه الأبيات وأمره أن يُغنّي بها، أخبرني بذلك اسماعيل بن يونس الشِيعي عن عمر بن شبَّة عن اسحاق الموصلي عن أبن الكلبي في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابن مسجحٍ، وذكر الهشامي أن اللحن ثقيلٌ اول بالوسطى:

حدّثنا احمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدثني مَن أنشد الاصمعيّ:

عليّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجها يرى لي ذنباً غير أني أزورهـا
وأني اذا ما زرتُها قلت يَا أسلمي فهل كان في قولي أسلمي ما يَضيرها

(١) أجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه. والتنوفة: الفلاة التي لا ماء فيها. واستن: هاج وثار. والمور: الغبار تثيره الرياح.

(٢) الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران اذا نشّت.

(٣) ونش: يبس ونضب.

فقال الاصمعي : شكوى مظلومٍ وفعلُ ظالم .

مقتل توبة وسببه :

اخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً عن أبي حاتم السِّجستاني عن ابي عُبيدة ، والحسنُ بن علي الخفَّاف قال حدّثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثنا محمد بن علي بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدة ، واخبرني علي بن سليمان الأخفش قال اخبرنا أبو سعيد السُّكري عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي، وروايةُ ابي عُبيدة أتمّ واللّفظ له . قال ابو عُبيدة :

كان الذي هاج مقتلَ توبةَ بن الحُميّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعةَ بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عُقيل لحاء(١)، ثم إن توبةَ شهد بني خفاجة وبني عوفٍ وهم يختصمون عند همّام بن مُطرف العُقيلي في بعض أمورهم . قال : وكان مَروانُ بن الحكم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، فاستعمله على صدقات بني عامر . قال فوثب ثورُ بن ابي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عُقيل على توبة بن الحُميّر فضربه بجرزٍ(٢) وعلى توبة الدرعُ والبيضةُ ، فجرح انف البيضة وجهَ توبة . فأمر همام بثور بن أبي سمعان فأُقعد بين يدي توبة ، فقال : خُذ بحقّك يا توبة . فقال له توبة : ما كان هذا إلا عن أمرك ، وما كان ليجترئ علي عند غيرك .

وأمّ همام صوبانة بنت جَون بن عامر بن عوف بن عُقيل ، فاتّهمه توبة لذلك ، فانصرف ولم يقتصّ منه . فمكثوا غير كثير ، وإن توبة بلغه أن ثور بن ابي سمعان

(١) لحاء مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء اذا نازعه .

(٢) الجرز (بالضم) عمود من حديد .

خرج في نفرٍ من رهطه الى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالهم بموضع يقال له جُريرٌ بتثليثٍ — قال : وبينهما فلاةٌ — فاتّبعه توبةُ في ناس من أصحابه ، فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجلٍ من بني عامر بن عقيل يقال له ساريةُ ابن عُمير بن أبي عدي وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لا نطرُقُهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون . فقال لهم ساريةُ : أدّرعوا الليل ؛ فإني لا آمَنُ توبةَ عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم . قال : فلما تعشّوا أدّرعوا الليلَ في الفلاة . وأقعد له توبةُ رجلين فغفل صاحبا توبة .

فلما ذهب الليلُ فزع توبة وقال : لقد اغتررتُ الى رجلين ما صنعا شيئاً ، وإني لأعلم أنهم لم يُصبحوا بهذه البلاد ، فاقتص آثارهم ، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعث الى صاحبيه فأتياه ، فقال دُونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مَزادتيه ثم اتبعا أثري ، فإن خفي عليكما أن تُدركاني فإني سأُنوّر لكما إن امسيتما دوني .

وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى اذا انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل ترون سَمراتٍ الى جنب قرون بقرٍ ؟ — وقرون بقر مكان هنالك — فإن ذلك مَقيلُ القوم لم يتجاوزه فليس وراءه ظلٌّ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحبترّية ، وذلك من أرمى من رمى . فمن له يختلجه[1] دون القوم فلا ينذرون[2] بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة: أنا له . قال فاحذر لا يضربنّك، وإن استطعت أن تحولَ بينه وبين اصحابه فافعل . فخلّى طريق فرسه في غمضٍ[3] من الارض ، ثم

(١) يختلجه : ينتزعه .

(٢) فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون .

(٣) الغمض : المطمئن المنخفض من الارض .

دنا منه فحمل عليه، فرماه ابن الحبترية – قال: وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل – فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل[١] السهم ساق عبد الله، فانحاز الرجل حتى أتى اصحابه فأنذرهم، فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة. قال: وغشيهم توبة ومن معه، فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحورهم وأخذوا سلاحهم ودرقهم، وزحف اليهم توبة، فارتمى القوم لا يغني أحد منهم شيئاً في أحد.

ثم إن توبة وكان يترس[٢] له أخوه عبد الله، قال: يا أخي لا تترس لي؛ فإني رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع الترس، عسى ان أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه. قال: ففعل، فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه. وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر. ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهم عني. قال توبة ما وضعناه لننتزعه. فقال اصحاب توبة: أنج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا، فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء، وقد متنا عطشاً. قال توبة: كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون!. فقالوا: أبعدهم الله. قال توبة: ما أنا بفاعل، وما هم إلا عشيرتكم، ولكن تجيء الراوية فأضع لهم ماء واغسل عنهم دماءهم وأخيل[٣] عليهم من السباع والطير لا تأكلهم حتى أوذن قومهم بهم بعمق[٤].

فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل، فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء، وجعل في أساقيهم[٥] ماء، ثم خيل لهم بالثياب على الشجر، ثم مضى حتى طرق من

---

(١) اختله السهم: أصابه ونفذه.

(٢) يترس له: يستره بالترس.

(٣) التخييل هنا: وضع خيال على الشيء لتفرغ منه السباع.

(٤) عمق: موضع.

(٥) الأساقي: جمع أسقية، والأسقية: جمع سقاء (بالكسر) وهو وعاء الماء. فالأساقي جمع الجمع.

الليل سارية بن عُوَيمر بن أبي عدي العُقيلي فقال: إنّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسَمُرات من قرون بقر، فأدركوهم، فمن كان حياً فداووه، ومن كان ميتاً فادفنوه، ثم انصرف فلحِق بقومه.

وصبّح ساريةُ القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن ابي سمعان ولم يمت غيرُه. فلم يزل توبةُ خائفاً. وكان السَّليل بن ثورٍ المقتول رامياً كثيرَ البغي والشرّ، فأخبر بغرّةٍ من توبة وهو بقُنَّة من قنان الشَّرف يقال لها قُنَّة بني الُحمَيِّر، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرَقه؛ فترَقّى توبة ورجلٌ من اخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو في الجبل: هأنـذا مَن تبغون فاجتنبوا البيوت. فقالوا: إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل، ولكن خُذوا ما أستدف[١] لكم من ماله، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا. ثم إن توبة غزاهم، فمرّ على أفلتَ بن حَزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بِيشة. فقال: يا توبة أينَ تُريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عوف بن عُقيلٍ. قال: لا تفعل فإن القوم قاتلوك، فمهلاً. قال: لا أُقلع عنهم ما عشتُ، ثم ضرب بطن فرسه فاستمرّ به يُحضِر[٢] وهو يرتجز ويقول:

تنجو اذا قيل لهـا يَعاطِ[٣] تنجو بهم من خلَل الامشاطِ

حتى انتهى الى مكانٍ، يقال له حجرُ الرّاشدة، ظليلٍ، أسفلُه كالعمود، وأعلاه منتشر، فاستظلّ فيه هو واصحابه. حتى اذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبلُ هُبيرةَ بن السَّمين أخي بني عوف بن عُقيل واردةً ماءً لهم يقال له طلُّوب، فأخذها وخلّى طريقَ راعيها، وقال له: اذا اتيت صُدغ البقرة مولاك فأخبره أن توبة اخـذ الإبلَ، ثم انصرف توبة يطردُ الابل.

(١) استدف: تهيأ وأمكن. يقال خذ ما دف لك واستدف، أي خذ ما تهيأ وأمكن وتسهل.

(٢) الاحضار: عدو سريع.

(٣) يعاط (وزن قطام): زجر للابل، ويزجر به الذئب وغيره. وتنجو: تسرع.

قال : فلماً ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادى في بني عوف وقال : حتَام هذا! فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثـين فارساً ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من خَثعم من بني الهرة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ[1] لهم ، فقالت : أروني أثَرَه ، فخرجوا بها فأروها أثره ، فأخذت من ترابه فسافته فقالت : اطلبوه فإنه سَيُحبس عليكم. فطلبوه فسبقهم ، فتلاوموا بينهم وقالوا : ما نرى له اثراً ، ومـا نراه إلا وقد سبقكم .

قال : وخرج توبة حتى اذا كان بالمضجع من ارض بني كِلاب جعل نِذارته[2] وحبس اصحابه . حتى اذا كان بشعبٍ من هضبةٍ يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عمٍ له يقال له قابضُ بن عبد الله ربيئةً له على رأس الهضبة فقال : انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا . فقال عبد الله بن الحُمير : يا توبة إنك حائن[3] ، أذكِرك الله ، فوالله ما رأيتُ يوماً أشبه بسمُرات بني عوف يوم ادركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه ، فانجُ إن كان بك نجاة . قال : دعـني ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظر لنا .

قال : ويرجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا اثر توبة فيلقون رجـلاً من غنيٍ ، فقالوا له : هل أحسست في مجيئك أثر خيل او اثر إبل ؟ قال : لا والله . قالوا : كذبت وضربوه . فقال : يا قومُ لا تضربوني ، فإني لم اجد أثراً ، ولقـد رأيتُ زُهاء كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتيك الهضبة ، وما ادري ما هو .

فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيدُ بن رُويبة لينظر ما في الهضبة . فأشرف على القوم ، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا ، فحمل أوّلهم على القوم حـتى

---

(١) تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

(٢) النذارة : الانذار .

(٣) الحائن : الهالك .

غشي[١] توبة ، وفزع توبة واخوه الى خيلهما ، فقام توبة الى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يُلجمها ولا وقفتْ له ، فخلّى طريقها ، وغشيه الرجل فاعتنقه ، فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فأنتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيبة فأتقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد يُناشده رحِمَ صَفيّةَ ، وصفيّــة أمٌّ له من بني خفاجــة . وغشي القومُ توبة من ورائه فضربوه فقتلوه ، وعَلِقهم عبد الله بن الحُمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر .

قال : فلما فرَغوا من توبة كَروا على عبد الله بن الحُمير فضربوا رجلَه فقطعوها . فلما وقع بالارض أشرع سيفَه وحده ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُموا ، ولم يشعر القوم بما أصابه . وأنصرف بنو عوف بن عُقيل ، وولّى قابضٌ منهزمــاً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكِلابي فأخبره الخبر . قال : فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضم أخاه . ثم ترافع القومُ الى مروان بن الحَكَمِ ، فكافأ بين الدّمين وحُملت الجراحــاتُ . ونزل بنو عوفِ بن عُقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

قال أبو عُبيدة : وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن مُعاوية بن أبي سُفيان عــلى قُضاعــة وخَثعم ومهرةَ وبني الحارث بن كعبٍ . وكانت بينهم وبين بني عُقيل مُغاورات ، فكان توبةُ اذا اراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الرّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يومٍ منها ؛ فيُصيب ما قدر عليه من إبلهم فيُدخلها المفازة فيطلبه القوم ، فإذا دخل المفازةَ اعجزهم فلم يقدروا عليه فأنصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حيناً . ثم إنه اغار في المرة الاولى التي قُتل فيها هو وأخوه عبد الله ابن الحُمير ورجل يقال له قابض بن ابي عُقيل ، فوجد القومَ قد حَذروا فأنصرف توبةُ مُخفقاً لم يُصب شيئاً . فمرّ برجلٍ من بني عوف بن عامر بن عُقيلٍ مُتنحّياً

---

(١) غشيه هنا : لحقه وأدركه .

عن قومه ، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من رهطه وأطرد إبلها، ثم خرج عامداً يزيد عبد العزيز بن زرارة بن جَزء بن سُفيان بن عَوف بن كِلاب ، وخرج ابن عمٍ لثور بن أبي سمعان المقتول ، فقال له خُزيمة : صر الى بني عوف بن عامر بن عُقيل فأخبرهم الخبر .

فركبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بني خَفاجة، وقد أمِن في نفسه فنزل، وقد كان أسرى يومه وليلته ، فاستظلّ ببُرْدَيه وألقى عنه درعه وخلّى عن فرسه الخوصاء تتردّد قريباً منه، وجعل قابضاً ربيئة له ونام ، فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلّا يفطن لهم احدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل الى توبة فأنبهه . فقال توبة: ما رأيتَ ؟ قال: رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ الى مكانه فغلبته عيناه فنام .

قال : فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابضٌ حتى غَشوه ، فلما رآهم طار على فرسه . وأقبل القوم الى توبة ، وكان اول من تقدم غلامٌ امردُ على فرس عُريٍ[1] يقال له يزيد بن رُويبة بن سالم بن كعبِ بن عوف بن عامر بن عُقيل ؛ ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا . فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وسنانُ فلبس درعه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخوصاء فأتته ، فلما اراد ان يركبها أهوت تَرْمَحه[2] ، ثلاث مراتٍ ، فلما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت ، وحال القومُ بينه وبينها . فأخذ رُمحه وشدّ على يزيد بن رُوَيبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً ، وشدّ على توبة ابن عم الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجل عبد الله. فلما رجع عبد الله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا له : فررتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحُمير في ذلك[3]. قال ابو عبيدة وحدثني أيضاً مُزرع بن عبد الله بن همام بن مُطرِّف بن الاعلم قال :

---

(١) الفرس العري (بضم العين وسكون الراء) : الذي لا سرج عليه .

(٢) ترمحه : ترفسه .

(٣) أي قال القصيدة الآتية التي مطلعها : تأوبني بعارمة الهموم

كان أهلُ دارٍ من بني جُشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشَّريد حلفاء لبني عداد بن خفاجة في الاسلام ، فكان بينهم وبين خميس بن ربيعة رهط قومه قتالٌ على ماءةٍ تُدعى الحُليفة وعامّتها لجدّ بن همام . قال وشهد عبد الله بن الحُمير ذلك وهو أعرج ، عرج يوم قُتل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غناء . فقالت بنو عُقيل : لو توبةُ تلقّاهم لبُلوا منه بغيرِ أفوق ناصل[١] . فقال عبد الله بن الحُمير يعتذر اليهم :

عبد الله بن الحُمير يعتذر الى قومه بعد قتل اخيه :

تأوبني[٢] بعارمةَ الهمومُ ... كما يعتاد ذا الدَّين الغريمُ
كأنَّ الهمَّ ليس يُريدُ غيري ... ولو أمسى له نَبطٌ وروم
علامَ تقومُ عاذلتي تلومُ ... تؤرّقني وما أنجاب الصَّريم[٣]
فقلتُ لها رويداً كي تجلّى ... غواشي النّوم والليلُ البهيم
ألمّا تعلمي أني قديماً ... اذا ما شئتُ أعصي مَن يلوم
وأن المرءَ لا يدري اذا ما ... يهُمُّ علامَ تحمله الهموم
وقد تُعدي[٤] على الحاجات حرفٌ ... كرُكن الرَّعن[٥] ذِعلبةٌ عقيم

---

(١) الانوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط نصله . والمراد هنا ساقط النصل . ونصل السهم : الحديدة التي في رأسه . وفي حديث عليّ كرم الله وجهه يؤنب قوماً : « ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل » .

(٢) تأوّبني الشيء : رجع إلي ليلا . وعارمة : موضع .

(٣) الصريم : الليل ، والصريم : الصبح ، ضد . وقد وردت هذه الكلمة في الاصول محرّفة . وانجاب : انشق .

(٤) تعدي : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل في الصلابة .

(٥) الرعن الجبل الطويل ، وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة .

مُداخلةُ الفَقار وذاتُ لَوثٍ[١] على الحُزّان[٢] مُقحِمةٌ غَشومُ
كأن الرَّحل منها فوق جأبٍ[٣] بذات الحاذِ[٤] معقلُه الصَّريمُ
طَباهُ[٥] بِرجلةِ البقّار برقٌ فبات الليلَ مُنتصباً يَشيمُ
فبينا ذاك اذ هبطت عليه دُلوحٌ[٦] المُزن واهيةٌ هزيمُ
تَهُبُّ لها الشَّمالُ فتَمتَريها[٧] ويعقُبها بنافحةٍ نسيمُ
يُكِبُّ[٨] اذا الرَّذاذ جرى عليه كما يُصغي[٩] الى الآسي الأميمُ
اذا ما قال أقشعَ جانباه نشت[١٠] من كل ناحيةٍ غيومُ
فأشعِرَ[١١] ليله أرَقاً وقُرّاً يُسَهِّره كما أرِقَ السليمُ

---

(١) اللوث هنا : القوة .

(٢) الحزان (بالضم وبالكسر) : جمع حزن وهو المكان الغليظ المنقاد . « الحرات » . جمع حرة وهي أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار . ومن معاني المقحم : البعير الذي يسير في المفازة من غير راع ولا سائق . ولعل المراد بمقحمة هنا أنها تلقي بنفسها في السير من غير روية . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شيء عن هواها .

(٣) الجأب (بالهمز وقد تسهل همزته) : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . وتشبيه الناقة بالحمار الوحشي او الثور الوحشي في القوة والصلابة كثير مستفيض في الشعر العربي القديم .

(٤) الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ موضع بنجد . والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل ، ومثله الصريمة . ويحتمل أنه يريد مكاناً بعينه .

(٥) طباه هنا : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع . ويشيم : ينظر .

(٦) الدلوح من السحاب : كثيرة الماء . والمزن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء . والواهية من السحاب : التي تنبثق بالماء انبثاقاً شديداً . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك .

(٧) تمتريها : تحتلبها أي تنزل ماءها . والنافحة : وصف من نفحت من الريح اذا هبت .

(٨) يكب : يريد أنه يطأطئ رأسه .

(٩) يصغي : يميل . والآسي : الطبيب . والاميم : المشجوج في أم رأسه أي دماغه . يصف الجأب بأنه يميل رأسه اذا جرى ماء المطر عليه كما يفعل مشجوج الرأس حين يميل رأسه للطبيب .

(١٠) نشت : أصله نشأت ، سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين .

(١١) أي جعل القر والأرق شعاراً له في ليله . ويجوز أن يرفع « ليله » على أن يجعل الارق والقر شعاراً له تجوزا في الاسناد ، كما يقال نهار فلان صائم ، وليله قائم . والسليم : اللديغ .

ألا من يشتري رِجلاً برجلٍ تَخَوَّنها النِّلاح فما تسوم[١]
تلومُكَ في القتال بنو عُقيلٍ وكيف قِتالُ أعرجَ لا يقوم
ولو كنتُ القتيلَ وكان حياً لقاتلَ لا ألفُ[٢] ولا سئوم
ولا جثّامةٌ[٣] ورَعٌ هَيوبٌ ولا ضَرَعٌ اذا يُمسي جَثُوم

قال: ثم إن خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عُقيل الذين قتلوا توبة، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقتْ بنو خفاجة. فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعتْ لهم بنو خفاجة ايضاً قبائل عُقيل. فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عُقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها؛ وهم رهط اسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقيل.

ثم إن بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم الى مروان بن الحكَم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سُفيان، فقالوا: ننشدُك[٤] الله أن تفرّق جماعتُنا، فعقَلَ[٥] توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائةً من الابل، فأدّتها بنو عامر.

قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قَتَلَةُ توبة فلحقوا بالجزيرة، فلم يبقَ بالعالية[٦]

---

(١) تخوّنها: تنقصها وغيّر حالها. والسوم هنا: سرعة المر.

(٢) الألف هنا: الثقيل الكثير اللحم، وهو عيب في الرجال دون النساء. والالف أيضاً المقرون الحاجبين وهو غير مراد هنا. وسئوم: ملول.

(٣) الجثامة هنا: النؤوم الذي لا ينهض للمكارم او البليد، والجثامة ايضاً: السيد الحليم وهو غير مراد هنا. والورع: الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده. والفرع (بالتحريك): الضعيف والجبان، يستوي فيه المفرد والجمع؛ والفرع: المتذلل الخاضع. والجثوم: الذي يلزم مكانه فلا يبرح، والذي يتلبد بالارض.

(٤) أي نسألك بالله ان تتلافى تفرق جماعتنا. يقال: نشدتك الله وبالله اي سألتك واستحلفتك بالله.

(٥) عقل فلاناً: وداه اي دفع ديته.

(٦) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها الى تهامة، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة.

منهم أحدٌ، وأقامت بنو ربيعة بن عُقيل وعُروةَ بن عُقيل وعُبادة بن عُقيل بمكانهم بالبادية .

قال أبو عبيدة وحدثنا مُزرِّع بن عمرو بن همّام – قال أبو عبيدة : وكان معي أبو الخطّاب وغيره – قال توبة بن حُمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل ، وأُمّه زبيدةُ . فهاج بينه وبين السَّليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عُقيل كلامٌ ، وكان بِشرِّيراً ونظيرَ توبةَ في القوّة والبأس ، فبلغ الحور[١] (وهو الكلام) الى أن أوعد كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، فألتقى بعد ذلك توبةُ والسَّليلُ على غديرٍ من ماء السماء ، فرمى توبةُ السليل فقتله .

ثم إن توبة أغار ثانية على إبل بني السمين بن كعب بن عوف بن عُقيل واردة ماءهم فأطردَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُويبة ، وعبد الله بن سالم ، ومعاوية بن عبد الله – قال أبو عُبيدة : ولم يذكر غير هؤلاء – فأنصرفوا يجنبون[٢] الخيل يحملون المزّاد ، فقصُّوا أثر توبة واصحابه فوجدوهم وقد أخذوا في المضجع من ارض بني كِلابٍ في ارضٍ دمثةٍ[٣] تربة ، فضلّت فرس توبة الخوصاء من الليل ، فأقام واضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابه الإبلَ ، وهم ثلاثة نفرٍ سوى توبةَ : المُحرزُ أحدُ بني عمرو بن كلابٍ ، وقابضُ بن أبي عُقيل احد بني خفاجة ، وعبدالله بن حُميّر أخو توبة لأمهِ وأبيه .

فلما أصبح توبةُ اذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظَلَمٍ[٤] قريبة منه ليس دونها

---

(١) الحور : الاسم من المحاورة . يقال : إن فلاناً لضعيف الحور ، أي المحاورة ، وهي المراجعة في الكلام .

(٢) جنب الدابة : قادها الى جنبه .

(٣) الارض الدمثة : السهلة اللينة .

(٤) أدنى ظلم أي أدنى شيء .

وجاح[١] فأشلاها[٢] حتى أتته، ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه، فانتهوا الى هضبةٍ بكبد المضجع، فارتقى توبةُ فوقها ينظر الطَّلَب[٣]، فرآه القوم ولم يرَهم عند طلوع الشمس، وبالت الخوصاء حين انتهت الى الهضبة، فقال القوم إنه لطائر او انسان. فركب يزيد بن رُويبة وكان أحدث القوم سناً، وأمّهُ بنت عم توبة، فأغار ركضاً حتى انتهى الى الهضبة، فإذا بول الفرس وعليه بقيةٌ من رغوته، واذا أثر توبة يعرفونه، فرجع فخبّر اصحابه.

واندفع توبة واصحابه حتى نزلوا الى طرَف هضبةٍ يقال لها الشِّجرُ من ارض بني كِلاب، فقالوا بالظَّهيرة، فلم يشعر شعره إلا والابل قد نفرت، وكانت بركاً[٤] بالهاجرة، من وئيد[٥] الخيل. فوثب توبة، وكان لا يضع السيف، فصبّ الدّرع على السيف متقلِّده وهلاً، وداجت القوم، فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدّرع فلم يستطع سَلَّه، فطار الى الرمح فأخذه، فأهوى به طعناً الى يزيد بن رُويبة، وقد كان يزيد عاهد الله ليقتُلنّه او ليأخُذنّه، فأنفذ فخذ يزيد، وأعتنقه يزيد فعضّ بوجنتيه، واستدبره عبدُالله بالسيف ففلق رأس توبة. وهيّت[٦] توبة حين اعتوره الرجلان بقابضٍ: يا قابض فلم يلوِ عليه، وفرّ قابضٌ والكلابي، وذبّ عبد الله بن حُميّر عن أخيه؛ فأهوى له معاوية بن عبدالله بالسيف فأصاب رُكبته فاختلعت (اي سقطت).

---

(١) الوجاح: الستر.

(٢) أشلى الدابة: دعاها اليه.

(٣) الطلب هنا: جمع لطالب.

(٤) البرك هنا: جماعة الإبل الباركة، الواحد بارك والانثى باركة.

(٥) الوئيد هنا: الصوت العالي الشديد.

(٦) هيت بفلان: صاح به ودعاه.

فأتى قابضُ من فوره ذلك عبد العزيز بن زُرارة أحد بني أبي بكر بن كِلاب فقال: قُتل توبة فنادى في قومه، فجاءه أبوه زُرارة فقال اين تريد؟ فقال: قُتل توبة. فقال أبو طوط سُحقاً لك! أتطلب بدم توبة ان قتلته بنو عُقيل ظالماً لها باغياً عادياً عليها! قال لكني أُجِنّه[1] اذاً. قال أبوه. أما هذه فنعم. فألقى السلاح وأنطلق حتى أجنّه، وحمل أخاه عبد الله بن حميّر. قال: فأهل البادية يزعمون أن مُحرِزاً سُحر فأخذ عن سيفه. فقالت ليلى الاخيليَّة بنت عبد الله بن الرحَّالة بن شدّاد بن كعب بن مُعاوية فارس الهرّار بن عُبادة بن عُقيل.

رثت ليلى توبة بعدة قصائد.

نظرتُ ورُكنٌ من ذِقانين[2] دونه ... مَفاوزُ حَوضى اي نظرةِ ناظرِ
لأونسَ إن لم يقصُر الطَّرف عنهم ... فلم تَقصر الاخبار والطَّرفُ قاصري
فوارسَ أجلى شأوُها عن عقيرةٍ ... لِعاقرها فيها عَقيرةُ عاقرِ

— شأوها[3]: سُرعتها وهو الطَّلقُ وجريها، وقال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبة. لعاقرها: تعني لعاقر توبة، تُريد يزيد بن رُويبة. ووجهٌ آخر[4]: في عقيرة عاقر معنى مدحٍ أي عقيرة كريمة لعاقرها. ووجهٌ آخر: عَقيرة لعاقرها: فيها الهلاكُ بعقرها —.

(١) أجنه: كفنه وستره.

(٢) ذقان (بكسر الذال) اسم جبل، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب.

(٣) «الشأو: الطلق والشوط، والشأو: الغاية والامد».

(٤) ذكر المؤلف في معنى قوله: «لعاقرها فيها عقيرة عاقر» وجهين، وهذا الوجه هو الاول، وهو كقولهم «ثأر منيم» وهو الذي اذا أصابه المثئر هدأ واستقرّ لانه أصاب كفؤا. ثم ذكر الوجه الثاني بعد.

فآنستُ خيلاً بالرُّقَيّ[1] مُغيرةً سوابقُها[2] مثل القطا المتواترِ
قتيلُ بني عوفٍ وأيصرَ[3] دونه قتيلُ بني عوفٍ قتيلُ يُحابرٍ[4]
تَوارَدَه أسيافُهم فكأنما تَصادَرنَ عن أقطاعِ[5] أبيضَ باترِ
من الهندوانيات في كل قطعةٍ دمٌ زلّ عن أثرٍ[6] من السيف ظاهرِ
أتته المنايا دون زغفٍ[7] حصينةٍ وأسمرَ خَطِّيٍّ وخوصاءَ ضامرِ
على كل جرداءِ السَّراةِ[8] وسابحٍ درأنَ[9] بشُبّاكِ الحديد زوافرِ
عوابسَ تعدو الثَّعلبيّةَ[10] ضُمَّراً وهُنّ شواحٍ بالشَّكيمِ الشواجرِ
فلا يُبعدنكَ اللهُ يا توبُ إنما لِقاءُ المنايا دارعاً مثلُ حاسرِ[11]
فإلّا تكُ القتلى بَواءً فإنكم سَتلقَون يوماً وردُه غيرُ صادرِ

---

(١) الرقي : موضع .

(٢) سوابقها : « أوائلها » . والمتواتر : الذي يجيء بعضه في إثر بعض .

(٣) وأيصر : موضع ببلاد بني عقيل ،

(٤) يحابر : قبيلة .

(٥) الاقطاع : جمع قطع (بكسر فسكون) وهو ما قطع من حديد أو غيره . والابيض الباتر : السيف .

(٦) الاثر (بالفتح) والإثر (بالكسر) : فرند السيف ورونقه .

(٧) الزغف : الدرع المحكمة . والاسمر الخطيّ : الرمح . والخوصاء الضامر : الفرس .

(٨) الجرداء من الخيل : القصيرة الشعر ، وهو مدح في الخيل . والسراة : الظهر . والسابح من الخيل . الحسن مدّ اليدين في الجري .

(٩) الدره : الدفع . وفي الاصول : « لهن » . وفي منتهى الطلب : « درأت » . وشباك الحديد هنا : اللجم المشتبكة . وزوافر : مخرجات أنفاسهن . تصف الخيل بسرعة الاندفاع .

(١٠) الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات افواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة . وورد هذا البيت في الاصول هكذا :

عوابس تعدو التغلبية ضمرا وهن شواج بالشكيم السواجر

(١١) تريد : أنما لقاء المنايا دارعاً مثل لقائها حاسرا .

وإن السليلَ إذ يباوي قَتيلَكم كمرحومةٍ من عَركِها غيرِ طاهرِ [١]
فإن تكن القتلى بَواءً فإنكم فتًى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى لا تخطّاه الرِّفاقُ ولا يرى لِقدرٍ عيالًا دون جارٍ مُجاورِ
ولا تأخذ الكُومُ الجِلادُ رماحها لتوبة في نحسِ الشتاء الصَّنابِرِ [٢]
إذا ما رأته قائمًا بسلاحه تَقته الخِفافُ بالثِّقال البَهازِر [٣]
اذا لم يَجِد منها برِسلٍ فقصرُه ذُرى المُرهفات والقلاص التَّواجِرِ [٤]
قرى سيفَه منها مُشاشًا [٥] وضيفَه سَنام المهاريسِ السِّباط المَشافرِ
وتوبةُ أحيا من فتاةٍ حيِيّةٍ وأجرأُ من لَيثٍ بخَفَّانَ خادرِ [٦]
ونِعمَ الفتى إن كان توبةُ فاجراً وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
فتى يُنهِلُ الحاجاتِ ثم يَعلُّها فيُطلعها عنه ثنايا المصادر

---

(١) يباوي : يساوي ، وأصله الهمز . تريد : اذ يقتل بقتيلكم . ومرحومة : بها داء في الرحم ؛ يقال رحمت المرأة (بالبناء للمفعول) رحما (بالفتح) اذا اخذها داء في رحمها فهي تشتكي منه. والعرك : الحيض ؛ يقال عركت المرأة تعرك (بالضم) عروكاً فهي عارك .

(٢) الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السنام من الابل . والجلاد من الابل : الغزيرات اللبن كالمجاليد أو ما لا لبن لها ولا نتاج . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدة برده . والصنابر : جمع صنبر ، يقال غداة صنبر . ولعل الصنابر وصف للشتاء باعتبار أيامه ولياليه ، أو وصف لنحس الشتاء على ان يكون المراد بنحس الشتاء جمعاً . ورواية البيت في منتهى الطلب :

ولا تأخذ الابل الزهاري رماحها لتوبة عن صرف السرى في الصنابر

(٣) البهازر من الابل : العظام ، واحدتها بهزرة .

(٤) الرسل « بالكسر » : اللبن والمرهفات الدقيقات . والقلاص : جمع قلوص وهي الشابة من النوق كالجارية من النساء . والتواجر هنا : الابل النافقة في التجارة وفي السوق .

(٥) المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة. والمهاريس من الابل: الجسام الثقال ، سميت بذلك لشدة وطئها كأنها تهرس ما وطئته وتدقه . وسباط المشافر : طويلتها ، وواحد السباط سبط ككتف . والمشفر للبعير كالشفة للانسان .

(٦) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر مقيم .

صوت

كأن فتى الفتيان توبةَ لم يُنِخ قلائصَ يَفحصنَ الحصا بالكَراكِرِ[1]
ولم يَبنِ أبراداً عتاقاً[2] لفتيةٍ كِرامٍ ويَرحل قبل[3] فيء الهواجر

— في هذين البيتين لحن من الثَّقيل الأوّل لمحمد بن ابراهيم قريض وهو من خاصِّ صنعته وغنائه —

ولم يتجلّ الصُّبحُ عنه وبطنُه لَطيف كطَيّ السِّبِّ[4] ليس بحادرِ
فتًى كان للمولى[5] سناءً ورفعة وللطارق الساري قِرًى غيرَ باسر
ولم يُدعَ يوماً للحفاظِ وللنَّدا وللحرب يرمي نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو حُوارها وللخيل تعدو بالكُماةِ المساعر[6]

(١) الكراكر : جمع كركرة (بالكسر) وهي هنا رحى زور البعير او صدره .

(٢) في الكامل : « أبراداً رقاقاً » ثم شرحها المبرد فقال : « تريد الخيام » .

(٣) « قولها : ويرحل قبل فيء الهواجر ، تريد أنه متيقظ ظعان » .

(٤) السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

(٥) المولى هنا : ابن العم او الحليف الذي ينضم اليك فيعز بعزك ويمتنع بمنعتك . وباسر : عابس.

(٦) البازل : الناقة التي انشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة . وهذا اللفظ مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ؛ يقال ناقة بازل وجمل بازل . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى ان يُفطم ، او هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . والمساعر : جمع مسعر . والمسعر هو الذي يوقد نار الحرب .

كأنك لم تقطع فلاةً ولم تُنخ ... قِلاصاً لدى فأوٍ[١] من الارض غائرِ
وتُصبح بمَوْماةٍ[٢] كأن صَريفَها ... صَريفُ خطاطيف الصَّرى في المحاور
طوتْ نفعها عنا كِلابٌ وآسدتْ[٣] ... بنا أجهليها بين غاوٍ وشاعر
وقد كان حقاً أن تقول سَراتُهم ... لعاً[٤] لأخينا عالياً غير عاثر
ودَوِّيةٍ قفرٍ يحارُ بها القطا ... تخطَّيتَها بالنّاعجات[٥] الضَّوامر
فتالله تبني بيتها أمُّ عاصمٍ ... على مثله أخرى الليالي الغوابر[٦]
فليس بِشهابُ الحرب توبة بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافرِ
وقد كان طلّاع النّجاد وبيِّن الـ ... ـلسان ومِدلاج السُّرى غيرَ فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى[٧] ... وسائق او معبوطةً لم يُغادر
وكنتَ اذا مولاك خاف ظُلامة ... دعاك ولم يهتف سواك بناصر
فإن يَكُ عبد الله آسى ابن أمّه ... وآبَ بأسلاب الكَميِّ المُغاور[٨]

---

(١) الفأو : بطن من الارض تطيف به الرمال .

(٢) في منتهى الطلب «جنوحاً بموماة» . والموماة : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خطاف (بالضم) ، وهو حديدة حجناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور . والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغير . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة ، وهو أيضاً الخشبة التي تجمع المحالة .

(٣) آسدت : هيجت وأغرت .

(٤) لعا : كلمة يدعى بها للعاثر بأن ينتعش .

(٥) الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الابل : البيض الكريمة ، أو هي التي يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنعج (بفتح فسكون) ضرب من سير الابل سريع .

(٦) الغوابر هنا : الباقيات .

(٧) انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الابل ونحوها كالرفقة من الناس، وصف من الوسق بمعنى الطرد لأنها اذا سرقت طردت معاً . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر . تريد أنه اذا قصد إبلاً مغصوبة او معبوطة لم يتركها تفلت منه .

(٨) آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والكمي : الشجاع المتكمي في سلاحه لانه كمى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة ، والجمع كماة كأنهم جمعوا كامياً مثل قاض وقضاة . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات ، ومثله المغوار .

وكان كذات البَوِّ تضرب عنده ... سِباعاً وقد ألقينه في الجراجر[1]
فإنك قد فارقته لك عاذراً ... وأنّى لِحيٍّ عُذرُ مَن في المقابر
فأقسمتُ أبكي[2] بعد توبة هالكاً ... وأحفلُ من نالتْ صروف المقادر
على مثل همّام ولابن مُطرِّفٍ ... لتبكِ البواكي أو لبِشر بن عامر
غُلامان كانا استوردا كلَّ سَورةٍ[3] ... من المجد ثم استوثقا في المصادر
ربيعي حياً كانا يَفيضُ نَداهُما ... على كُل مغمورٍ نداه وغامر
كأن سنا ناريهما كلَّ شَتوةٍ ... سنا البرقِ يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضاً ترثي توبة — عن أم حُمير، وأُمها ابنة أخي توبة، عن أمها. قال أبو عبيدة: أم حُمير أخت أبي الجراح العُقيلي. قال: وأمها بنت أخي توبة بن حُمير. قال: وكان الاصمعي يُعجبُ بها — :

أيا عينُ بكّي توبةَ ابن حُمير ... بسحٍّ كفيض الجدول المُتفجّرِ
لتبكِ عليه من خفاجة[4] نسوةٌ ... بماء شؤون العَبرة المتحدِّرِ
سمعنَ بهيجا[5] ارهقتْ فذكرنه ... ولا يبعث الاحزان مثل التّذكُّرِ
كأن فتى الفتيان توبة لم يَسِر ... بنجد ولم يطلُع مع المُتغوِّر[6]

---

(١) الجراجر: الحلوق.

(٢) فأقسمت أبكي: اي لا ابكي. وحذف لا في مثل هذا كثير.

(٣) السورة (بالفتح) من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه.

(٤) خفاجة: رهط توبة وهو جدّ له.

(٥) الهيجا (بالمد والقصر): الحرب. وأرهقت: أدركت، أو ألحقت وأغشت، أي جعلت من فيها من المحاربين يغشون خصمهم ويلحقونه.

(٦) «من المتغور». والمتغور: الذي يأتي الغور. والغور: ما انخفض من الارض. والنجد: ما أشرف من الارض.

ولم يَردِ الماء السِّدامَ[١] اذا بدا سَنا الصُّبح في بادي الحواشي مُنوِّرِ
ولم يغلب الخصم الضِّجاج ويملأ الـ ـجفان سَديفاً يوم نكباء صرصر[٢]
ولم يعلُ بالجرد الجياد يقودها بسُرَّة بين الأشمات فأبصر[٣]
وصحراء موماةٍ يَحار بها القطا قطعتَ على هول الجنان بمنسر[٤]
يقودون قُبّاً كالسَّراحين لاحها سُراهم وسيرُ الراكب المتهجِّر[٥]
فلمّا بدت ارضُ العدو سقيتَها مُجاج بقيّات المَزاد المُقيَّر[٦]
ولما أهابوا بالنِّهاب حَويتَها بخاظي[٧] البضيع كَرُّه غير أعسر
مُمَرٍّ[٨] ككَرِّ الأندريِّ مُثابرٍ إذا ما وَنَين[٩] مُلهبِ[١٠] الشَّدِّ مُحضر

(١) الماء السدام : القديم المندفن .

(٢) في الكامل : « ولم يقدع الخصم الالد » . والقدع . الكف . والالد : الشديد الخصام . والضجاج : مصدر ضاجه مضاجة وضجاجاً اذا جادله وشارّه وشاغبه ، والاسم الضجاج (بالفتح) . وهو وصف بالمصدر للمبالغة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التي تنحرف في مهبها فتجيء بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت او البرد .

(٣) أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وجمعته ليلى لانها أرادت الجبل وما يليه من البقاع . وسرة وأبصر : موضعان .

(٤) المنسر هنا : قطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكبير .

(٥) القب : الدقاق الخصور ، والواحد أقب وقباء . والسراحين : الذئاب واحدها سرحان . ولاحها : غيّرها . والسرى : سير الليل . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر ، والمراد سير النهار ، أي غير سير الليل وسير النهار .

(٦) المجاج (بضم الميم): اسم لما تمجه من فيك . والمزاد : الاسقفية ، الواحدة مزادة . والمقير : المطلي بالقار وهو الزفت .

(٧) النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة . والخاظي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم . يريد جواداً هذه صفته .

(٨) الممر : اسم مفعول من أمر فلان الحبل اذا اجاد فتله . تريد انه مجدول الخلق . والكر هنا: الحبل الغليظ أو حبل يصعد به على النخل . والاندري : المنسوب الى أندرين قرية كانت بالشام .

(٩) ونين : فترن وضعفن ، تريد الخيل . تصف الجواد بالمثابرة على العدو اذا فترت الخيل التي معه وضعفت .

(١٠) إلهاب الفرس للشد : متابعته للجري ؛ يقال : هلب (مثل كتب). الفرس وأهلب اذا تابع جريه . وإحضار الفرس : ارتفاعه في عدوه .

فألوتْ بأعناقٍ طوالٍ وراعها … صَلاصِلُ[١] بيضٍ سابغٍ وسَنَوَّرِ
ألم تَرَ أنّ العبدَ يقتل ربه … فيظهر جَدُّ العبد من غير مَظهر
قتلتم فتىً لا يسقط الرَّوعُ رُمحَه … اذا الخيلُ جالت في قَناً متكسّر
فيا تَوبُ للهيجا ويا تَوبُ للندى … ويا تَوبُ للمستنبح[٢] المتنوّر
ألا ربَّ مكروبٍ أجبتَ ونائلٍ … بذلت ومعروفٍ لديك ومُنكر

وقالت ترثيه :

أقسمتُ[٣] أرثي بعد توبةَ هالكاً … وأحفِلُ مَن دارت عليه الدوائرُ
لعمرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى … اذا لم تُصبه في الحياة المعايرُ
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً … بأخلدَ ممن غيّبته المقابرُ
ومَن كان مما يُحدِثُ الدهرُ جازعاً … فلا بُدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيشٍ عن الموتِ مَقصَرٌ[٤] … وليس على الأيام والدهر غابرُ[٥]
ولا الحيُّ مما يُحدِثُ الدهرُ مُعتَبٌ[٦] … ولا الميتُ إن لم يصبرِ الحيُّ ناشرُ
وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ الى بِلًى … وكلُّ امرئٍ يوماً الى الله صائرُ

---

(١) راعها : افزعها . وصلاصل البيض : أصواتها ، واحدتها صلصلة . والبيض من الحديد : ما يتقي به الرأس من السلاح ، واحدته بيضة وهي الخوذة . والسنوّر : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع .

(٢) المستنبح : الذي يكون في مضلة فيخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه كلب الحي فيتوهمه كلباً فينبح ، فيستدل بنباحه فيهتدي . والمتنور : الذي يبصر النار من بعيد .

(٣) أي اقسمت لا أرثي ... ولا أحفل . وحذف «لا» في مثل هذا الموضع جائز وكثير .

(٤) تريد : ليس عنه محيد ولا مصرف .

(٥) غابر هنا : باق .

(٦) معتب : اسم مفعول ، يقال اعتبت فلاناً اذا ارضيته . وناشر : وصف من نشر اللازم ؛ يقال : نشر الله الميت ، فهو لازم متعد .

وكلُّ قرينيْ ألفـةٍ لتفرُّقٍ ... شتاتاً وإن ضنّاً وطـال التعاشرُ
فلا يُبعِدنـك الله حيّاً وميّتاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ

ويُروى :

(فلا يُبعِدنك الله يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ)
فآليتُ لا أنفكّ أبكيك ما دعتْ ... عـلى فننٍ ورقاءُ أو طار طائر
قتيلُ بني عوفٍ فيـا لَهفَتا له ... وما كنتُ إيّاهم عليـه أحاذر
ولكنما أخشى عليـه قبيلةً ... لها بدروب الروم بادٍ وحـاضر

وقالت ترثيه :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا توبُ للضيف إذ تُدعى وللجارِ
وتوبُ للخصم إن جاروا وان عدّلوا ... وبدّلوا الأمر نقضاً بعد إمرار
إن يُصدِروا الأمرَ تُطلِعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصـدار

وقالت ترثيه :

هراقتْ بنو عوفٍ دماً غير واحدٍ ... له نبأٌ نجديّـه سيَغورُ
تداعت له أفناءُ عوفٍ(١) ولم يكن ... له يوم هضبِ الرّدهتين نصير

وقالت ترثيه :

يا عين بكّي بدمعٍ دائم السَّجمِ(٢) ... وابكي لتوبةَ عند الرّوع والبُهمِ(٣)

---

(١) أفناء الناس : أخلاطهم وهم النزاع من هاهنا وهاهنا .

(٢) ظاهر أنها تريد دائم القطران ، فحركت الجيم للشعر . أمـا السجم (بالتحريك) فهو الماء والدمع .

(٣) البهم هنا : مشكلات الامور ، واحدتها بهمة (بالضم) .

على فتًى من بني سعدٍ فُجِعتُ به ... ماذا أُجِنّ به في الحفرة الرَّجِمِ ¹
من كلّ صافيةٍ صِرفٍ وقافيةٍ ... مثل السِّنان وأمرٍ غيرِ مُقتسم
ومُصدرٍ حين يُعيي القومَ مُصدرهم ... وجفنةٍ عند نحس الكوكب الشَّبِم ²

وقالت تعيّر قابضاً :

جزى الله شرًّا قابضاً بصَنيعه ... وكلُّ امرئٍ يُجزى بما كان ساعياً
دعا قابضاً والمُرهَفاتُ يَرِدْنَه ... فقُبِّحتَ مدعوًّا ولبَّيك داعيا

وقالت لقابض وتَعذِر عبدَ الله أخا تَوبةَ :

دعا قابضاً والموتُ يخفق ظِلُّه ... وما قابضٌ إذ لم يُجب بنَجيبِ
وآسى عُبَيدُ الله ثَمَّ ابنَ أمّه ... ولو شاء نَجّى يوم ذاك حبيبي

خرج توبة الى الشام فلقيه زنجي وخبره معه :

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن أحمد بن مُعاوية بن بكر قال حدثني أبو الجرّاح العُقَيليّ عن أمّه دينار بنت خَيبَريّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميّر قال :

خرجتُ الى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيس بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأريح ، وأخذتُ تُرسي فألقيتُه فوقي ، وألقيتُ نفسي بين المُضطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طعمَ النوم اذا شيءٌ قد تجلّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد برك عليّ ، ونشزتُ

(١) الرجم (بالتحريك) هنا القبر .

(٢) الشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

عنه ثم قَمَصت(١) منه قُماصاً فرميتُ به على وجهه، وجلستُ الى راحلتي فانتضيت السيف، ونهض نحوي فضربتُه ضربةً أخزل منها، وعُدتُ الى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سَبُعٌ؛ فلما أصبحتُ اذا هو أسوَدُ زنجيٌّ يضرب برجليه وقد قطعتُ وسطه حتى كدت أبريه، وانتهيتُ الى ناقةٍ مُناخةٍ موقرةٍ ثياباً من سَلَبه، واذا جاريةٌ شابّةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرنها بناقته. فسألتها عن خبرها، فأخبرتني أنه قتل مولاها وأخذها منه. فأخذتُ الجميع وعدت الى أهلي. قال أبو الجرّاح قالت أمّي: وأنا أدركتها في الحيّ تخدُم أهلنا.

حديث معاوية مع ليلى في توبة:

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عَطاء بن مُصعب القرشيّ عن عاصم اللّيثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضّبيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال:

سأل معاوية بن أبي سُفيان ليلى الأخيليّة عن توبة بن الحميّر فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقًّا، والناس شجرةُ بَغيٍ يحسدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبطَ البنان، حديدَ اللِّسان، شجاً للأقران، كريمَ المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر. وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له. قال: وما قلتِ له؟ قالت قلت ولم أتعدَّ الحقَّ وعلمي فيه:

بَعيدُ الثرى لا يبلغ القوم قعرهُ ألَدُّ مُلِدٌّ(٢) يغلبُ الحقَّ باطِلَهْ
اذا حلَّ رَكبٌ في ذَراه وظِلّهِ ليمنعهم مما تُخافُ نَوازِلُه

---

(١) القماص (بالضم وبالكسر معاً): الوثب.

(٢) الألد: الكثير الجدل والخصومة الشحيح الذي لا يزيغ الى الحق. وملد وصف من ألددت بفلان اذا عسرت عليه في الخصومة.

حماهم بنَصل السيف من كلّ فادحٍ[١] يخافونــه حتى تموتَ خَصائلُه[٢]

فقال لها معاويةُ : ويحكِ ! يزعم الناسُ أنه كان عاهراً خارباً[٣] . فقالت من ساعتها :

مَعــاذَ إلهي كان واللهِ سَيِّداً جَواداً على العِلّاتِ[٤] جَمّاً نَوافِلُهْ
أغرَّ خَفاجِياً[٥] يرى البخلَ سُبَّةً تَحلَّبُ كفّاه النَّــدى وأنامِله
عفيفاً بعيدَ الهمِّ صُلباً قنــاتُه جميلاً مُحيّاه قليــلاً غوائلُه
وقد علِم الجوعُ الذي بات سارياً على الضيف والجيران أنّك قاتله
وأنك رَحبُ الباع يا تَوبُ بالقِرى اذا ما لئيمُ القومِ ضاقت مَنازله
يَبيتُ قريرَ العينِ مَن بات جارَه ويُضحي بخيرٍ ضيفه ومُنازِله

فقال لها مُعاوية : ويحكِ يا ليلى ! لقد جُزتِ بتوبة قَدره . فقالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مقصِّرة في نَعته وأنّي لا أبلغ كُنْهَ ما هو أهله . فقال لها معاوية : مِن أيِّ الرجال كان ؟ قالت :

أتته المَنــايا حين تمَّ تَمامُه وأقصر عنه كلُّ قِرنٍ يُطاوِلُهْ
وكان كليث الغابِ يحمي عرينه وترضى به أشباله وحــلائله
غَضوبٌ حليمٌ حين يُطلَبُ حِلمُــه وسُمٌّ زُعافٌ[٦] لا تُصابُ مَقاتِله

---

(١) الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر .

(٢) الخصائل : جمع خصيلة ، وهي كل لحمة فيها عصب . والظاهر أنها كنت بموت خصائل الفادح عن سكونه وذهابه .

(٣) خارب : لص.

(٤) على العلات : اي على كل حال من عسره ويسره .

(٥) خفاجي : منسوب الى خفاجة وهو من آباء توبة .

(٦) السم الزعاف (ومثله الذعاف بالذال) : القاتل لساعته .

قال : فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها : خبّريني بأجوَد ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلّا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ :

جزى الله خيراً والجزاءُ بكفّه فتًى من عُقيلٍ ساد غيرَ مُكلَّفِ
فتًى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفكّ جمَّ التَّصرُّفِ
ينالُ عَليّاتِ الأمورِ بهَونَةٍ[1] اذا هي أعيتْ كلَّ خِرقٍ مُشرَّفِ
هو الذَّوبُ[2] بل أرْيُ الخلايا شَبيهُهُ بدِرياقةٍ من خمر بَيسان قَرقفِ
فيا تَوبُ ما في العيش خيرٌ ولا ندًى يُعَدّ وقد أمسيتَ في تُربِ نَفنَفِ[3]
وما نلتَ[4] منك النَّصفَ حتى ارتمت بك الـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعجَفِ
فيا ألفَ ألفٍ كنتَ حيّاً مُسلَّماً لألقاك مثلَ القَسوَرِ[5] المُتطرِّفِ
كما كنتَ إذ كنتَ المنحّى من الرَّدى اذا الخيلُ جالت بالقنا المُتقصِّفِ[6]
وكم من لهيفٍ مُحجَرٍ[7] قد أجبتَه بأبيضَ قطّاعِ الضّريبة مُرهَفِ
فأنقذته والموتُ يحرُقُ[8] نابه عليه ولم يُطعَن ولم يُتنسَّفِ

(١) الهونة : الرفق والسهولة . وأعياه الشيء : أكله وأعجزه . . والخرق (بالكسر) : السخي أو الظريف في سخاوة ، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة ، ومشرف : جعل له شرف .

(٢) الذوب : العسل . والأري : العسل ايضاً . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر . وبيسان بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمر . والقرقف : الخمر يرعد عنها صاحبها .

(٣) النفنف هنا المفازة .

(٤) «وما نيل» بدل «وما نلت» . والنصف هنا : إعطاء الحق ، مثل الانصاف والنصف والنصفة (محركين) . والسهم الاعجف : الرقيق .

(٥) القسور : الاسد . والمتطرف : المغير .

(٦) القنا المتقصف : المتكسر . وجولان الخيل : كناية عن الحرب .

(٧) المحجر : المضيق عليه .

(٨) حرق الانياب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيظ . وتنسف في الصراع : قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره .

ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة :

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال حُدِّثت عن القحذميّ عن مُحارب بن عُصين العُقيليّ قال :

كان توبة قد خرج الى الشام ، فمرّ ببني عُذرة ، فرأته بُثينة فجعلت تنظر اليه ، فشقّ ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يُظهر حبَّه لها . فقال له جميل : مَن أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحميّر . قال : هل لك في الصراع ؟ قال : ذلك اليك ، فشدّت عليه بثينة مِلحفة مُوَرَّسة[١] فأتزر بها ، ثم صارعه فصرعه جميلٌ . ثم قال هل لك في النضال[٢] ؟ قال نعم ، فناضله فنضله جميلٌ . ثم قال له : هل لك في السباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل . فقال له توبة : يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن أهبِط بنا الوادي ، فصرعه توبة ونضله وسبقه .

سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته :

أخبرنا ابراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيبة قال :

بلغني أنّ ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنَّت وعجزَت ، فقال لها : ما رأى توبةُ فيكِ حين هَوِيَكِ ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولّوك . فضحك عبد الملك حتى بدتْ له سِنٌّ سوداء كان يُخفيها .

وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها :

وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلاليّ عن أيوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرقاء قال :

---

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .

(٢) النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

كنت عند الحجاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذن فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير النادّ[١] . قال : أدخلها . فلما دخلت نسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النجوم[٢] ، وقِلّةُ الغيوم[٣] ، وكَلَبُ[٤] البرد ، وشدّة الجهد ، وكنتَ لنا بعد الله الرِّد[٥] . قال : فأخبريني عن الارض . قالت : الارض مُقشَعِرّة[٦] ، والفِجاجُ مُغبرّة ، وذو الغنى مُختَلّ ، وذو الحدّ مُنفَلّ . قال : وما سبب ذلك ؟ قالت : أصابتنا سِنونٌ[٧] مُجحفةٌ مُظلمةٌ ، لم تَدَعْ لنا فصيلًا ولا رُبعًا ، ولم تُبقِ عافطةً ولا نافطةً ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزّقت العيال ، وأفسدت الاموال ، ثم أنشدته الابيات التي ذكرناها مُتقدّمًا . وقال في الخبر : قال الحجاجُ : هذه التي تقول :

نحنُ الأخايلُ لا يزالُ غلامُنا حتى يَدِبَّ على العصا مشهورا
تَبكي الرّماحُ إذا فَقدنَ أكُفَّنا جَزَعًا وتَعرفنا الرِّفاقُ بحورا

ثم قال لها : يا ليلى ، أنشِدينا بعضَ شعرِكِ في توبةَ ، فأنشدَته قولها :

لعمرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصبه في الحياةِ المعايرُ

---

(١) الناد : الشارد .

(٢) إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .

(٣) زيادة من كتاب الامالي لابي علي القالي .

(٤) كلب البرد : شدته .

(٥) الرد (بالكسر) : الكهف والمعقل .

(٦) اقشعرار الارض : تقبضها من المحل . والفجاج : جمع فج ، وهو كل سعة بين نشازين . ومختل : محتاج ، من الخلة (بالفتح) وهي الحاجة . ومنفل : منكسر متثلم .

(٧) السنون هنا : القحوط . ومجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة اذا فصل من أمه للفطام . والعافطة : الضائنة . والنافطة : الماعزة .

وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً بأخلدَ ممن غيَّبته المقابرُ
فلا الحيُّ مما أحدث الدَّهرُ مُعتِبٌ ولا الميتُ إن لم يَصبِر الحيُّ ناشر
وكلُّ جديدٍ أو شبابٍ الى بِلًى وكلُّ امرئٍ يوماً الى الموت صائر
قتيلُ بني عَوفٍ فَيا لَهفتَا له وما كنتُ إيَّاهم عليه أحاذر
ولكنني أخشى عليه قبيلةً لها بدُروب الشأم بادٍ وحاضر

فقال الحجاج لحاجبه: اذهب فاقطع لسانها. فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها، فقالت: ويلك! إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالصلة والعطاء، فارجع اليه واستأذنه. فرجع اليه فاستأمره[1]، فاستشاط عليه وهمَّ بقطع لسانه، ثم أمر بها فأُدخلتْ عليه، فقالت: كادَ وعهدِ الله يقطع مِقوَلي، وأنشدته:

حَجاجُ أنت الذي لا فوقه أحدُ إلا الخليفةُ والمُستغفَرُ الصَّمَدُ
حَجاجُ أنت سِنانُ الحرب إن نُهجتْ[2] وأنت للناس في الداجي لنا تَقِدِ

أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمدانيّ قال: كان جدّي عند الحجاج، فدخلتْ عليه امرأةٌ بَرزةٌ[3]، فانتسبت له فإذا هي ليلى الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: كنت عند الحجاج. وأخبرني وكيعٌ عن اسماعيل بن محمد عن المدائنيّ عن جُوَيرِيَةَ عن بِشرِ ابن عبد الله بن أبي بكر: أنّ ليلى دخلتْ على الحجاج، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل، وزاد فيه: فلما قالت:

---

(١) استأمره: استشاره.

(٢) نهجت: سلكت.

(٣) المرأة البرزة: المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهي عفيفة، والبرزة أيضاً: البارزة المحاسن.

غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها

قال لها : لا تقولي « غلامٌ » ، قولي « هُمامٌ » . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زِدني ، فقال : أجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جُلسائه : إنّها غنمٌ . فقالت : الأمير أكرمُ من ذلك وأعظم قدراً من أن يأمر لي إلا بالابل . قال . فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأخبرنا به وكيع عن ابراهيم بن اسحاق الصالحي عن عمر بن شَبَّة عن عمرو ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلتِ مكانَ غلام هُمام ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره مَن تقدم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدينا ما قُلتِ في توبةَ ، فأنشدته قولها :

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم ... فتًى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ
فتًى كان أحيا من فتاةٍ حَييّةٍ ... وأشجع من ليثٍ بخفّان خادرِ
أتته المنايا دون درعٍ حصينةٍ ... وأسمرَ خَطّيٍّ وجرداء ضامرِ
فنعم الفتى إن كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأن فتى الفتيان توبةَ لم يُنخ ... قلائص يفحصن الحصا بالكراكرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه . فقالت : أيها الرجل هل رأيت توبة قطّ ؟ قال لا . فقالت : أمَا والله لو رأيته لوددتَ أن كل عاتقٍ(١) في بيتك حاملٌ منه ؛ فكأنما فُقِئ في وجه أسماء حَبُّ الرُّمان . فقال له الحجاج : وما كان لك ولها !

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المُغيرة

(١) العاتق : الشابة .

قال سمعتُ أبي يقول سمعتُ الاصمعيّ يذكر أن الحجّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نعم أصلح الله الامير ، تحملني الى ابن عمي قُتيبةَ بن مُسلم ، وهو على خُراسان يومئذ ، فحملها إليه ، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تُريد البادية ، فلما كانت بالري ماتت ، فقبرُها هناك .

هكذا ذكر الاصمعي في وفاتها وهو غلطٌ . وقد أخبرني عمي عن الخزَنبل الاصبهاني عمّن أخبره عن المدائني ، وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهدي عن ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن النَّخعي عن ابن الخصيب الكاتب ، واللفظ في الخبر للخزَنبل ، وروايته أتمّ :

أنّ ليلى الاخيلية أقبلت من سفرٍ ، فمرّت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج لها . فقالت : والله لا أبرح حتى أُسلّم على توبة ، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلِم به . فلما كثُر ذلك منها تركها ، فصعدت أكمةً عليها قبر توبة ، فقالت : السلامُ عليك يا توبةُ ، ثم حوّلت وجهها الى القوم فقالت : ما عرَفت له كذبةً قطُّ قبل هذا . قالوا : وكيف ؟ قالت : أليس القائلَ :

صوت

ولو أن ليلى الاخيلية سلّمت علي ودوني تُربةٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة أو زقا[1] اليها صدًى من جانب القبر صائح
وأغبَط من ليلى بما لا أناله ألا كل ما قرّت به العين صالح

فما باله لم يُسلِّم عليّ كما قال! وكانت الى جانب القبر بومةٌ كامنة، فلما رأت الهودجَ

(١) زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

واضطرابه فزعتْ وطارت في وجه الجمل ، فنفَر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفنتْ الى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنى في الابيات المذكورة آنفا حَكَمٌ الوادي لَحنين ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو، والآخر خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والمُيلاء، رَمَلان بالبنصر ، وذكر أبو العُبيس بن حمدون أن الرمــل لعُمر الوادي .

كان توبة شريراً كثير الغارات :

قال أبو عبيدة : كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخثعم وهمْدان ، فكان يزور نساء منهن يتحدث اليهن ، وقال :

أيذهبُ ريعان الشَّباب ولم أزر غرائر من همدان بيضاً نُحورُها

قال أبو عبيدة : وكان توبةُ ربما ارتفع الى بلاد مهرة فيُغير عليهم ، وبين بلاد مهرة وبلاد عُقيل مَفازةٌ مُنكرةٌ لا يقطعها الطَّير ، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على مَسيرة كل يوم مزادة ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة ، وإنما كان يتعمد حَمارَّة القَيظ وشدّة الحرّ ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

أخبرني حَرَمي عن الزبير عن يحيى بن المِقدام الرَّبَعي عن عمِّـه موسى بن يعقوب قال :

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكةَ بنتَ يزيد بن مُعاوية ، فرأى عندها امرأةً بدوية انكرها ، فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : انا الوالهة الحَرّى ليلى الاخيلية . قال : أنتِ التي تقولين :

أريقتْ[١] جفانُ بن الخليع فأصبحت حياض النَّدى زالت بهن المراتبُ

(١) تريد انه قد مات فأريقت جفانه ومات الندى بموته . والخليع : من آباء توبة . وكعب أحد هؤلاء الخلعاء من آباء توبة .

فعُفاتــه لهفى يطوفون حوله[١] كما انقضّ عرش البئر والوردُ عاصب[٢]

قالت : انا التي أقول ذلك . قال : فما أبقيتِ لنــا ؟ قالت : الذي أبقاه الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نسباً قُرشياً ، وعيشاً رخياً ، وإمرةً مُطاعةً . قال : أفردتِه بالكَرم ! قالت : أفردته بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنها قد جاءت تستعين بنا عليك في عين تُسقيها[٣] وتحميها لها . ولستُ ليزيدَ إن شفّعتهــا في شيء من حاجاتها ، لتقديمها أعرابياً جِلفاً على أمير المؤمنين . قال : فوثبت ليلى فقامت على رجلِها واندفعت تقول :

ستحملني ورَحلي ذاتُ وَخدٍ[٤] عليها بنتُ آباءٍ كرامِ
اذا جعلتْ سواد الشّام جنباً وغُلِّقَ دونها بابُ اللّئام
فليس بعائدٍ أبـداً اليهم ذوو الحاجات في غَلَسِ الظّلام
أعاتِكُ لو رأيتِ غداة بِنّا عزاءَ النّفس عنكم واعتزامي
اذاً لعلمتِ واستيقنتِ أني مُشيّعـةٌ ولم ترعي ذِمامي
أأجعلُ مثلَ توبةَ في نَداه أبا الذِّبّانِ[٥] فُوهُ الدهرَ دامي
معاذ الله ما عسفت[٦] برَحلي تُغِـذُّ السّيرَ للبلد التّهامي

---

(١) العفاة : طالبو المعروف . واللهف (بالتحريك) : الحزن والتحسر ، والوصف منــه لهف (ككتف) ولهيف ولهفان .

(٢) المناسب من معاني الورد هنا : الماء المورود . وعاصب هنــا : جامع . أي كما انقض عرش البئر وقد جمع الورد المستقين . ويحتمل ان يكون « عاصب » هنا شديداً ، على أن يكون «الورد» العطش .

(٣) تسقيها أي تجعلها لها سقياً .

(٤) الوخد : ضرب من السير .

(٥) أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره وموت الذباب اذا دنت من فيه .

(٦) عسفت : سارت وخبطت .

أُقلتِ خليفةٌ فسواه أحجى بإمرَتـهِ وأولى باللّئامِ
لِئام الملك حين تُعَدُّ كعبٌ ذوو الاخطار والخُطَطِ الجسام

فقيل لها : أيُّ الكعبين عنيتِ ؟ قالت : ما أخالُ كعباً[١] ككعبي .

رواية أخرى في وفودها على الحجاج :

أخبرنا اليزيديّ ن الخليل بن أسدٍ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثقفيّ عن عبد الملك بن عُمير عن محمد بن الحجّاج بن يوسف قال :

بينا الأمير جالسٌ إذ استُؤذن لليلى . فقال الحجّاج : ومَن ليلى ؟ قيل : الأخيليّة صاحبة توبة. قال : أدخلوها . فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعجاء العينين حسنةُ المِشية الى الفَوَه[٢] ما هي ، حسنة الثّغر ، فسلّمت فردّ الحجّاج عليها ورحّب بها فدنت ، فقال الحجّاج : دَراكِ[٣] ضعْ لها وِسادةً يا غلام ، فجلستْ .

فقال : ما أعملَكِ الينا ؟ قالت : السلام على الأمير ، والقضاء لحقّه ، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَك ؟ قالت : تركتهم في حال خِصبٍ وأمنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصبُ ففي الأموال والكلأ . وأمّا الأمنُ فقد أمّنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أنشدك ؟ فقال : اذا شئتِ . فقالت :

أحجّاجُ إنّ الله أعطـاك غايةً يُقَصِّر عنهـا مَن أراد مَداها
أحجّاجُ لا يُفلَلْ سِلاحُك إنّما الـمنايا بكفّ الله حيث تراهـا
اذا هبط الحجّاج أرضاً مريضـةً تتبّع أقصى دائهـا فشفاها

(١) كعب : من آباء ليلى .
(٢) الفوه : سعة الفم .
(٣) دراك : اسم فعل بمعنى أدرك .

شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غُلامٌ اذا هزّ القناةَ سَقاها
سقاها دماء المارقينَ وعلّها ... اذا جمحتْ يوماً وخِيفَ أذاها
اذا سمع الحجاج رِزّ[1] كتيبةٍ ... أعدّ لها قبل النزول قِراها
أعدّ لها مصقولةً فارسيّةً ... بأيدي رجالٍ يحلبون صَراها[2]
أحجّاجُ لا تُعطِ العُصاةَ مُناهمُ ... ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها
ولا كلّ حلّافٍ تقلّدَ بيعةً ... فأعظم عهدَ الله ثم شَراها

فقال الحجاج ليحيي بن مُنقذٍ : لله بلادُها ما أشعرها ! فقال : ما لي بشعرها علمٌ . فقال : عليَّ بعبيدة بن مَوهبٍ وكان حاجبه ، فقال : أنشديه فأنشدته ، فقال : عبيدة : هذه الشاعرة الكريمة ، قد وجب حقُّها . قال : ما أغناها عن شفاعتك ! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم ؛ وأكسُها خمسة أثواب أحدُها كساء خزّ ، وأدخِلها على أبنة عمها هند بنت أسماء فقُل لها : حَلّيها .

فقالت : أصلح الله الأمير . أضرّ بنا العريف في الصدقة ، وقد خربت بلادنا ، وأنكسرتْ قلوبنا ، فأخذ خيار المال . قال : أكتبوا لها الى الحكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً[3] ، وأكتبوا الى صاحب اليمامة بعزلِ العريف الذي شكته . فقال ابن مَوهبٍ : أصلح الله الامير ، أأصِلُها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتها هند بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين .

قال الهيثم: فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجصّاص فكتبه عنّي ، ثم حدثني عن حمّاد الراوية قال : لمّا فرغتْ ليلى من شعرها أقبل الحجّاج على جُلسائه فقال لهم : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لا ! والله ما رأينا امرأةً أفصح ولا أبلغ منها

(١) الرز : الصوت تسمعه من بعيد .
(٢) الصرى هنا بقية اللبن . والصرى ايضاً : اللبن يبقى فيتغير طعمه .
(٣) النجيب : الكريم .

ولا أحسن إنشاداً . قال : هذه ليلى صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرهينه أو سألك شيئاً يُعاب ؟ قالت لا والله الذي أسأله المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ . فقال : اذا لم يكن فيرحمنا الله وإيّاه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت :

غلامٌ اذا هزّ القناة سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي هُمامٌ .

صوت

سألني الناسُ أين يعمِدُ هذا قلتُ آتي في الدّار قوماً سَريّا
ما قطعتُ البلادَ أسري ولا يمّـــمتُ إلّا إيّاكَ يا زكريّا
كم عطاءٍ ونائـلٍ وجزيلٍ كان لي منكم هَنيئاً مريّا

عَروضه من الخفيف ، الشعر للأُقيشر الأسديّ . والغناء لدحمان ، وله فيه لحنانِ ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن اسحاق ، والآخر ثقيلٌ أوّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أن لحن الأبجر خفيف ثقيلٍ ، وأنّ لحن ابن بَلوعٍ في الثالث ثاني ثقيل . وليحيي بن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

ذكر الاقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته :

الأُقَيشِرُ : لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أقشرَ(١) ، واسمه المغيرةُ بن عبد الله بن مُعرِض بن عمرو بن أسد بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر ابن نِزار . وكان يُكنى أبا مُعرِض ، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدّة ، منها قوله :

فإنّ أبا مُعرِضٍ إذ حَسا من الرّاح كأساً على المِنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعرِضٍ فإن لِيمَ في الخمر لم يصبرِ

وعُمِّر عُمراً طويلاً ، فكان أقعدَ(٢) بني أسدٍ نسباً ، وما أخلقه بأن يكون وُلِد في الجاهلية ونشأ في أوّل الإسلام ؛ لأنّ سِماك بن مَخرَمة الأسديّ صاحبَ مسجد سِماكٍ بالكوفة بناه في أيام عمر ، وكان عُثمانياً ، وأهلُ تلك المحلّة الى اليوم كذلك . فيروي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب – صلوات الله عليه – لم يُصلِّ فيه ، وأهل الكوفة الى اليوم يجتنبونه . وسِماكُ الذي بناه هو سِماك بن مخرمة بن حُمَين بن بَلث بن عمرو بن مُعرض بن عمرو بن أسدٍ ، والأقيشر أقعدُ نسباً منه . وقال الأقيشر في ذكر مسجد سِماكٍ شعراً .

---

(١) الأقشر : وصف من القشر (بالتحريك) وهو شدة الحمرة .

(٢) أقعدهم نسباً اي اقلهم آباء الى الجد الاكبر .

قال في مسجد سماك بالكوفة شعراً ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت :

أخبرني محمد بن الحسن الكنديّ الكوفيّ قال أخبرني الحسن بن عُليل العنزيّ عن محمد بن مُعاوية – وكنيته أبو عبد الله محمد بن معاوية – قال : الأُقيشرُ من رَهط خُرَيم(١) بن فاتكٍ الأسديّ . وخُرَيم إنما نُسب الى جدّ أبيه فاتكٍ ، وهو خُرَيم بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن فاتكٍ الأسديّ ، وفاتكُ بن قُليب بن عمرو بن أسدٍ . والأُقيشر هو المغيرة بن عبد الله بن مُعرِض بن عمرو بن أسد . قال : وهو القائل لمّا بنى سِماكُ بن مُخرمة مسجده الذي بالكوفة ، وهو أكبر مسجدٍ لبني أسدٍ ، وهو في خِطة بني نَصر بن قُعَين :

غَضِبتْ دودان من مسجدِنا ... وبه يَعرفهم كلُّ أحدْ
لو هدَمنا غُدوةً بُنيانه ... لامّحتْ أسماؤهم طولَ الأبد
اسمهم فيه وهم جيرانُه ... واسمه الدهرَ لعمرو بن أسد
كلما صلّوا قَسَمنا أجرَه ... فلنا النِّصفُ على كلّ جسد

فحلف بنو دودان ليضرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلت بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق ؟ قال قلت :

وبنو دودان حيٌّ سادةٌ ... حلَّ بيتُ المجد فيهم والعدَدْ

فتركوه :

كان خليعاً ماجنا مدمناً لشرب الخمر :

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال ، وأخبرني أبو أيوب المدينيّ عن محمد بن سلّام قال :

---

(١) خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدراً . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الرجل خريم الاسدي لولا طول جمته وإسبال إزاره » . فبلغ ذلك خريماً فقطع جمته إلى أذنه ورفع إزاره الى نصف ساقه .

كان الأقيشر كوفياً خليعاً ماجناً مُدمناً لشرب الخمر، وهو الذي يقول لنفسه:

فإنّ أبا مُعرِضٍ إذ حسا   من الرّاح كأساً على المِنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو مُعرِضٍ   فصار خليعاً على المَكبرِ[1]
أحلّ الحرام أبو مُعرضٍ   فإن لِيمَ في الخمر لم يَصبرِ
يُجِلُّ اللِّئام ويَلحى الكرام   وإن أقصروا عنه لم يُقصرِ

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبيد الصّحّاف الكوفيّ عن قَعنب بن مُحرزٍ الباهليّ عن المدائنيّ:

أنّ الأقيشر مرّ يريد الحيرة، فأجتاز على مجلسٍ لبني عَبسٍ، فناداه أحدهم: يا أُقيشر، وكان يغضب منها، فزجره الأشياخ، ومضى الأقيشر ثم عاد اليه ومعه رجلٌ وقال له: قِفْ معي، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُل لي: ولِمَ ذلك، ثم انصرِف، وخُذ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصير معك الى حيث شئتَ يا أبا مُعرض ولا أرزؤك شيئاً، قال: فافعل. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرف السابّ، فأقبل عليه وقال:

أتدعوني الأقيشرَ ذلك اسمي   وأدعوك ابنَ مُطفئة السّراجِ

فقال له الرجل: ولِمَ ذاك؟ فقال:

تُناجي خِدنَها بالليل سرّاً   وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجي

قال قَعنبٌ في خبره: فلُقِّب ذلك الرجل ابن مُطفئة السراج.

وقال قَعنبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجوابات، ولم يَروِه الباقون:

---

(١) المكبر (وزن منزل) الكبر في السن

كان الأُقيشر يَكتري بغلةَ أبي المضاء المُكاري فيركبها الى الخمّارين بالحيرة. فركبها يوماً ومضى لحاجته، وعند أبي المضاء رجل من تميم يُكنى أبا الضحّاك، فقال له: مَن هذا؟ قال: الأُقيشر. فأخذ طبق الميزان وكتب فيه:

عَجِبتُ لشاعرٍ من حَيّ سوء ضئيلِ الجسم مِبطانٍ هجينِ

وقال لأبي المضاء: اذا جاء فأقرئه هذا. فلمّا جاء أقرأه. فقال له الأُقيشر: ممن هو؟ قال: مِن بني تميم. فكتب الاقيشر تحت كتابه:

فلا أَسداً أَسبُّ ولا تَميماً وكيف يجوز سَبُّ الأَكرمينِ
ولكنّ التَّميمي حال بيني وبينك يا ابن مضرطة العجين[1]

فهرب الى الكوفة فلم يَزِد على هذا.

وقال تَعنبٌ في خبره عن المدائنيّ: فجاء التيميّ فقرأ ما كتب، فكتب تحته:

يأيها المبتغي حُشّاً لحاجته وجهُ الاقيشر حشٌ[2] غير ممنوعِ

فلمّا قرأه قال: اللهم إني أستعديك عليه، وكتب تحته:

إني أتاني مقالٌ كنت آمَنُه جاء من فاحشٍ في الناس مخلوعِ
عبدِ العزيز أبو الضحّاك كنيته فيه من اللؤم وَهيٌ غير ممنوع
ولم تَبِتْ أمُّه إلّا مُطاحنةً[3] وأن تُؤاجَر في سوق المراضيع

---

(١) يريد أن أمه يستخدمها الناس في شؤونهم ومنها ملك العجين، فكنى بضرطة العجين عن أنها خادم. واضراط العجين: ما يسمع عند ملكه من صوت. وهذا المعنى واضح في البيت الثالث من الابيات العينية الآتية.

(٢) الحش هنا: بيت الخلاء.

(٣) يريد ان الناس يؤاجرونها لطحن برم.

ينساب ماء البرايا في أستها سَرِباً[1] كأنها أنساب في بعض البلاليعِ
مِن ثَمَّ جاءت به والبَظرُ حنَّكه كأنه في أستها تِمثالُ يُسروع[2]

فلما جاءه جزع ومشى اليه بقوم من بني تَميم، فطلبوا أن يكُفّ ففعل. وأمّا عبد الله ابن خلفٍ فذكر عن أبي عمرو الشَّيباني أنّ الأقيشر قال هذا في مسكين.

والشعر الذي فيه الغناء يقوله الأقيشر في زكَرِيّا بن طلحة الذي يقال له الفيّاض، وكان مدّاحاً له.

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن مُعاوية قال: غنَّت جاريةٌ عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر:

قرّب الله بالسلام وحيّا زكَرِيّا بن طلحةَ الفيّاضِ
مَعدِنُ الضَّيفِ إن أناخوا اليه بعد أينِ الطلائح الأنقاض[3]
ساهماتُ العيونِ خوصٌ[4] رَذايا قد براها الكلال بعد اياض
زادَه خالدُ بن عمّ أبيه مَنصباً كان في العُلا ذا أنتقاض
فَرْعُ تَيمٍ من تَيمِ مُرّةَ حقّاً قد قضى ذاك لابن طلحة قاض

فقال عبد الملك للجارية: ويحكِ! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدحُ لا على طمعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعرُ الناس الأقيشر.

---

(١) سرباً: سائلاً.

(٢) حنكه هنا: أحكمه. واليسروع: دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد أو هي مخططة بسواد وحمرة.

(٣) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به. والاين: التعب. والطلائح: جمع طليح وطليحة، وهو الذي اعياه السير. والانقاض: جمع نقض (بالكسر) وهو المهزول من السير.

(٤) ساهمات العيون: متغيراتها. والمعروف في هذا أن يقال ساهم الوجه أي متغيره. قال عنترة:

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسقي فوارسها نقيع الحنظل

وخوص: غائرات العيون، الواحد أخوص وخوصاء. ورذايا: مهزولات، والواحد رذي ورذية.

وذكر عبد الله بن خلفٍ أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكُميت بن زيد لقي الأُقيشر في سَفرةٍ، فقال له: أين تقصدُ يا أبا مُعرِض؟ فقال:

سالني الناس أين يَقصدُ هذا قلتُ آتي في الدار قَرماً سَرِيّاً

وذكر باقيَ الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إياها مراراً، ثم قال: ما كذب مَن قال إنك أشعر الناس.

أخبرني عمي عن الكرانيّ عن ابن سلّام قال:

كان الأُقيشر عِنّيناً، وكان لا يأتي النساء، وكان كثيراً ما كان يصف ضِدّ ذلك من نفسه. فجلس اليه يوماً رجلٌ من قَيس، فأنشده الأُقيشر:

ولقد أروح بمشرفٍ ذي شَعرةٍ عَسِرِ المَكرّةِ ماؤه يَتفصّدُ (١)
مَرِحٍ يطير من المِراح لُعابُه وتكاد جِلدَته به تتقدّدُ (٢)

ثم قال للرجل: أتُبصرُ الشعرَ؟ قال نعم. قال: فما وصفتُ؟ قال: فرساً. قال: أفكنتَ لو رأيتَه ركبته؟ قال: إي والله وأثني عِطفَه. فكشف عن أيره وقال: هذا وصفتُ، فقُم فاركبه. فوثب الرجل من مجلسه وجعل يقول له: قبحك الله من جليسٍ! سائر اليوم.

ونسخت من كتاب عبد الله بن خَلفٍ: حدّثني أبو عمرو الشيباني قال:

---

(١) يتفصد: يسيل. وقد اورد هذين البيتين ومعهما ثالث الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة لابي تمام هكذا:

ولقد غدوت بمشرف يأفوخه عسر المكرة ماؤه يتفصد
مرح يمج من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقدّد
حتى علوت به مشق ثنية طوراً أغور بها وطوراً أنجد

(٢) المراح (وزن كتاب): اسم من المرح وهو الاشر والنشاط. وتتقدد: تتقطع.

ماتت بنتُ زيادِ العُصفُريّ ، فخرج الأُقيشر في جنازتها ، فلما دفنوها انصرف. فلقيه عابس مولى عائذِ الله ، فقال له : هل لك في غداء وطلاء[1] أتيت بـه من طِيزَ ناباذ[2] ؟ قال نعم . فذهب به الى منزله فغدّاه وسقاه ، فلما شرب قال :

فليت زياداً لا يزلنَ بناتُـه يَمُتنَ وألقى كُلَّما عشتُ عابسا
فذلك يومٌ غاب عني شرُّه وأنجحتُ فيه بعد ما كنت آيسا

ونسخت من كتابه : حدثني أبو عمرو قال :

شرب الأُقيشر في بيت خمّار بالحيرة ، فجاءه الشُّرط ليأخذوه ، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرب ، فما سبيلكم علي ! قالوا: قد رأينا العُسّ[3] في كفّك وأنت تشرب . قال : إنما شربتُ من لبن لِقحةٍ[4] لصاحب الدار ، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنما لِقحتُنا باطيـةٌ فإذا ما مُزجت كانت عجبْ
لبنٌ اصفرُ صافٍ لونُـه يَنزع الباسورَ من عجبِ الذَّنب
إنمـا نشربُ من أموالنا فسلوا الشُّرطيَّ ما هذا الغضب

خبرني الحسن بن علي عن العنزي عن محمد بن معاوية قال :

دخل وفدُ بني أسدٍ على عبد الملك بن مروان ، فقال : مـن شاعرُكم يا بني أسد ؟ قالوا : إن فينا لشعراء ما يرضى قومُهم أن يفضّلوا عليهم أحداً . قال لهم :

---

(١) الطلاء : من أسماء الخمر .

(٢) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق .

(٣) العس : القدح العظيم .

(٤) اللقحة (بالكسر وبفتح) : الناقة الحلوب .

فما فعل الأُقيشر؟ قالوا: مات. قال: لم يَمتْ، ولكنه مشتغلٌ بعشقه، وما أبعدُ أن يكون شاعركم إلا أنه يُضيعُ نفسه. أليس هو القائل:

يأيُهـا السائل عمّا مَضى ... مِن علمِ هذا الزمن الذاهبِ
إن كنتَ تبغي العلم او أهله ... أو شاهداً يُخبرُ عن غائب
فاعتبر الارضَ بأسمائهـا ... وأعتـبر الصاحب بالصاحب

وذكر عبد الله بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيباني أن جاراً للأُقيشر طحّاناً كان ينسئُ[1] الناس يُكنى أبا عائشة. فأتاه الأُقيشر يسأله فلم يُعطه، فقال له:

يريدُ النساء ويأبى الرجالَ ... فمـا لي وما لأبي عائشه
أدام له الله كدّ الرجال ... وأثكله ابنتَـه عائشه

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً.

نسختُ من كتاب عُبيد الله بن محمد اليزيدي بخطِّه: قال الهيثم بن عدي حدثني عَطّاف بن عاصم بن الحدَثان قال:

مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأُقيشر، فقال له:

أبا مُعرضٍ كن أنتَ إن مُتُّ دافني ... الى جنب قبرٍ فيـه شِلوُ المُضلَّلِ
فعلّي أن انجو من النار إنهـا ... تُضرّم للعبدِ اللئيم المُبخّـل
بذلك أوصاهـا الاله ولم تزل ... تُحشّ[2] بأوصالٍ وتُربٍ وجندَل
وأنت بحمد الله إن شئتَ مُفلِتي ... بجزمك فاحزُم يا أُقيشرُ واعجل

---

(١) ينسئ الناس: يريد ينسئ الناس الدين اي يقرضهم ويؤخرهم بالدين.

(٢) حش النار أوقدها. والاوصال: المفاصل، واحدها وصل. والوصل: كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره. والجندل: الحجارة.

فقال له : ممن أنت ؟ قال : من بني تميم ثم أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميم . فقال الأقيشر :

تميمَ بنَ مُرٍّ كفكفوا عن تعمُّدي بذُلّ فإني لستُ بالمتذلّلِ
أيهزأ بي العبدُ الهجيميُّ ضلّةً ومثلي رمى ذا التُّدرإ[1] المتضلّلِ
بداهيةٍ دهياء لا يستطيعُها شماريخُ[2] من أركان سلمى ويذبلِ
وبالله لولا أن حلمي زاجري تركتُ تميماً ضُحكةً كلَّ محفلِ[3]
فكفُّوا رماكم ذو الجلال بخزيةٍ تُصبّحكم في كل جمعٍ ومنزلِ
فأنتم لئامُ الناس لا تُنكرونه وألأمُكم طُرّاً حُريثُ بنُ جندلِ

فصار اليه شيوخٌ من بني الهجيم واعتذروا اليه واستكفُّوه فكفَّ .

أخبرني الأخفش قال حدثني أبو الفيّاض بن أبي شُراعة عن أبيه قال :

شرب الأقيشر بالحيرة في بيتٍ فيه خيّاط مُقعدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطرب ، فطرب الأقيشر ، فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم ، وقفز الخيّاط المُقعد يرقص على ظَلعه[4] ويجهد في ذلك كل جهدٍ . فقال الأقيشر :

---

(١) يقال : فلان ذو تدرإ أي ذو حفاظ ومنعة وقوّة على أعدائه ومدافعة ، يكون ذلك في الحرب وفي الخصومة . والمتضلل إن جعل وصفا لذي تدرإ كان جره للمجاورة ؛ كما قال امرؤ القيس :

كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

وإن جعل وصفاً لتدرإ أي حفاظ وقوّة كان الوصف به على التجوّز ، ويكون المعنى : ومثلي رمى ذا الحفاظ الاحمق العنيف .

(٢) الشماريخ هنا : رؤوس الجبال ، واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل جبلان .

(٣) يريد : صيرتهم ضحكة في كل محفل .

(٤) الظلع : العرج .

ومُقعدِ قومٍ قد مشى من شَرابنا وأعمى سَقيناه ثلاثاً فأبصرا
شراباً كريح العنبر الوردِ ريحُه ومسحوق هنديّ من المسك أذفرا [1]
من الفتيات الغُرّ من أرض بابلٍ اذا شَقَّها الخانيّ [2] من الدنّ كبّرا
لها من زُجاج الشام عنقٌ غريبة تأنّق فيها صانعٌ وتخيّرا
ذخائر فرعون التي جُبيتْ له وكلٌّ يُسمّى بالعتيق مشهّرا
اذا ما رآها بعد إنقاء غسلها تدور علينا صائمُ القوم أفطرا

أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني سوّار قال حدثني ابي قال :

كان الأُقيشر صاحب شرابٍ وندامى ، فأشخص الحجاجُ بعضَ نُدمائه الى بعض النواحي ، ومات بعضهم ، ونسك بعضهم ، وهرب بعضهم ؛ فقال في ذلك :

غُلبَ الصَّبرُ فاعترتني هُمومٌ لفراق الثِّقات من إخواني
مات هذا وغاب هذا وهذا دائبٌ في تلاوةِ القرآن
ولقد كان قبل إظهاره النُّسك قديماً من أظرف الفتيان

وأخبرني أبو الحسن الاسدي عن العنزي قال قال ابن الكلبي حدثني سلمةُ بن عبد سُواع عن أبيه قال :

كان الأُقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كِراء بغل الى الحيرةِ ، ودرهمين للشراب ، ودرهماً للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضاء له بغلٌ يُكريه ، وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه الى الحيرةِ ، حتى يأتي بيت الخمّار فينزل عنده ويربُطه بلجامه وسرجه — فيقال إنه أعطى

---

(١) المسك الاذفر : البالغ الغاية في الجودة .

(٢) الخاني هنا : بائع الخمر ، نسبة الى الخانية وهي الحانوت : المكان الذي تباع فيه الخمر .

غنه في الكراء — ثم يجلس فيشرب حتى يُمسي ، ثم يركبه وينصرف . فقال في ذلك :

يا بغلُ بغلَ أبي المضاء تعلَمنْ أني حلفتُ وللـيمين نُذورُ
لتُعسِّفنَّ(١) وإن كرهتَ مَهامِهاً فـيا أحبَّ وكلُّ ذاك يسير
بالرغم يا ولد الحمار قطعتهـا عمداً وأنت مُذلَّـلٌ مصبور
حـتى تزور مُسمِعاً في داره وترى المُدامة بالأكُفِّ تدور
لا يرفعون بمـا يسوءك نعرةً واذا سخطت فخطْبُ ذاك صغير

قال : فأتى يوماً من الايام بيت الخمّار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره ، ودخلتِ الدار امرأةٌ عباديّة(٢) ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجةٍ وأنا امرأته ، فما تريد ؟ قال نبيذاً . قالت بِكمْ ؟ قال : بدرهمين : قالت : هلُم درهميك وانتظرني . قال لا(٣) . قالت : فذلك اليك ، ومضت وتبعها ، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج اليه بعضُ أهل الدار ، قالوا : وما يُجلسك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأةٌ محتالة يقال لها أمّ حُنين من العباديّين . فعلم أنه قد خُدع ، فانصرف الى خمّاره فأخبره بالقصة وقال له : أنسئني(٤) اليوم فاسقني ففعل . وأنشأ الأقيشر يقول :

لم يُغرّر بـذات خفّ سوانا بعد أختِ العباد أمّ حُنينِ
وعدتنا بدرهمين نبيـذاً أو طِلاء مُعجّلا غير دين

---

(١) عسف المفازة (بالتشديد) مثل عسفها واعتسفها وتعسفها أي قطعها بغير قصد ولا هداية . والمهامه : جمع مهمه ، وهو المفازة البعيدة والبلد القفر .

(٢) عبادية : نسبة الى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٣) يريد : لا انتظر ، أما الدرهمان فيدل سياق الكلام على أنه اعطاها إياها .

(٤) الانساء والنسيء : التأخير في الدين وفي العمر .

ثم ألوت بالدرهمين جميعاً يا لَقومي لِضيعةِ الدرهمينِ

وذكر هذا الخبر عبدُ الله بن خلفٍ عن أبي عمرو الشيباني وزاد فيه : أن الحمّار كان يسمّى حُنين ، وأن المرأة المحتالة قالت له : إنها أم حنين الحمّار الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربت منه ، وذكر الابيات الثلاثة التي تقدمت ، وبعدها :

عاهدتْ زوجها وقد قال إني سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعتْ كالحصان أبيضَ جلداً وافرَ الاير مُرسل الخُصيَتين
قال ما أجرُ ذا هُديتِ فقالت سوف أُعطيك أجرَه مرّتين
فأبدا الآن بالسِفاح فلما سافحته أرضته بالأُخرَيين
تلّها[1] للجبين ثم امتطاها عالمُ الأيرِ أفحجُ[2] الحالبين
بينا ذاك منهما وهي تحوي ظهره بالبَنان والمعصمين
جاءها زوجها وقد شام فيها ذا انتصابٍ مُوَثَّق الاخدعين[3]
فتأسى وقال ويلٌ طويلٌ لِحنينٍ من عار أمّ حُنين

قال : فجاء حُنينٌ الحمّار فقال له : يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أمي ؟! قال : أخذت مني درهمين ولم تُعطني شراباً . قال : والله ما تعرفك أمي ولا أخذت منك شيئاً قطُّ ، فانظر الى أمي فإن كانت هي صاحبتك غرمتُ لك الدرهمين : قال : لا والله ما أعرف غير أمّ حُنين ، ما قالت لي إلا ذلك ، ولا أهجو إلا أم حُنين وابنها ، فإن كانت أمك فإياها أعني ، وإن كانت أم حُنين أخرى فإياها أعني . فقال : إذاً لا يفرق الناس بينهما . قال : فما عليّ اذاً ! أتُرى درهميّ يضيعان !

(١) تلها للجبين : صرعها . يريد أنه قلبها وألقاها على وجهها .

(٢) افحج الحالبين : متباعد ما بينهما .

(٣) الاخدعان : عرقان في جانبي العنق .

فقال له : هَلُمّ اذاً أغرمها لك وأتم ما تحتاج اليه ، لا بارك الله لك ! ففعل .

قال عبد الله وحدثني أبو عمرو قال :

كان العُريان بن الهيثم النَّخعي صديقاً للأقيشر ، فقال له : يا أُقيشر إني أريد أن أمتدّ الى الشام فأكتبني[1] من مُلَحِك فأكتبه . فخرج الى الشام فأصاب مالاً ، فبعث الى الأقيشر بخمسين درهماً، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه، إذ وضع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأقيشر :

وسألتني يومَ الرَّحيل قصائداً فلأُلْهِنّ قصائداً وكتابا
إنّي صدقتك إذ وجدتُك صادقاً وكذبتني فوجدتني كذّابا
وفتحتُ باباً للخيانةِ عامداً لمّا فتحتَ من الخيانة بابا

وكان أبو العريان على الشُّرْطةِ ، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه . وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث اليه بخمسمائة درهم وسأله الكفّ عن ابنه وألا يُشهّره ، فأخذها وفعل .

قال أبو عمرو : وخطب رجلٌ من حضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حسبها وأمهاتها ، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها . فقال له : مِن أين أنت ؟ قال : من حضرموت . فأنشأ يقول :

حَضرَموتٌ فتّشتْ أحسابنا واِلينا حَضرَموتٌ تنتسبْ
إخوةُ القِرد وهم أعمامُه بَرِئت منكم الى الله العرب

أخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ قال قال أبو طالب الشاعر حدثني رجلٌ من بني أسدٍ قال :

(١) الإكتاب هنا : الاملاء .

سمعتُ عمة الأُقيشر تقول له يوماً : اتّقِ الله وقُمْ فصلِّ ، فقال : لا أُصلّي . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبرمتني ، فاختاري خصلةً من خصلتين : إمّا أن أُصلّي ولا أتطهّر ، وإمّا أن أتطهّر ولا أصلي . قالت : قبحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء .

قال أبو أيوب : وحُدِّثت أنه شرب يوماً في بيت خمّار بالحيرة ، فجاء شُرَطيٌّ من شُرَطِ الامير ليدخل عليه ، فغلق الباب دونه . فناداه الشُرَطيّ أسقِني نبيذاً وأنت آمنٌ . فقال : والله ما آمنك ، ولكن هذا ثقبٌ في الباب فأجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوباً من قصبٍ في الثَقب وصبّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرب من خارج الباب حتى سكِر . فقال الأُقيشر :

سأل الشُرطيُّ أن نَسقيَـه ... فسقيناه بأُنبوب القصبْ
إنمـا نشرَب من أموالنا ... فسَلوا الشُرطيَّ ما هذا الغضب

أخبرني عمي عن الكرانيّ عن قَعنبِ بن المُحرِز ، وحدّثنا محمد بن خلف عن أبي أيوب المدينيّ عن قعنب بن الهيثم بن عديّ قال :

كان قيس بن محمـد بن الأشعث ضرير البصر ، فأتاه الأُقيشر فسأله ، فأمر قَهرمانه[1] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جملةً ، ولكن مُرِ القهرمانَ أن يُعطيني في كلّ يومٍ ثلاثةَ دراهم حتى تنفد . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابّة تحمله الى بيوت الخمّارين . فلمّا نفـدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الرابعة فسأله . فقال له قيسٌ : لا أبا لك ! كأنك قد جعلتَ هـذا خَراجاً علينا . فانصرف وهو يقول :

(١) القهرمان : الوكيل أو امين الدخل والخرج .

ألم ترَ قيسَ الأكمهَ ابن محمد يقول ولا تلقاه للخير يَفعلُ
رأيتُك أعمى العين والقلب ممسكاً وما خير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صمّ تمّت لعنة الله كلُّها عليه وما فيه من الشرّ أفضل

فقال قيس: لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوتُ منه.

كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال:

اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فقالوا: نجعل بيننا أوّل مَن يَطلع علينا. فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران. فقال بعضهم لبعض: انظروا مَن حكّمْنا. فقالوا: يا أبا مُعرض قد حكّمناك. قال: فبماذا؟ فأخبروه. فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول:

إذا صلّيتُ خمساً كلَّ يومٍ فإنّ الله يغفِر لي فُسوقي
ولم أُشرِكْ بربّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحبل الوثيق
وهذا الحقُّ ليس به خفاءٌ ودَعني من بُنيَّات الطريق [1]

قال محمد بن معاوية: وتزوّج الأقيشر ابنةَ عمٍّ له يقال لها الرَّباب، على أربعة آلاف درهم، ويقال على عشرة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يُعطوه شيئاً؛ فأتى ابن رأس البغل وهو دُهقان الصين وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصَّداق. فقال الأقيشر:

كفاني المجوسيُّ مَهرَ الرَّبابِ فِدًى للمجوسيّ خالي وعمّ

(١) بنيات الطريق: الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الاعظم.

شَهدتُ بأنّك رَطبُ (١) المُشاشِ وأنّ أباك الجواد الخِضَمّ
وأنّك سيّدُ أهل الجحيم اذا ما تردّيتَ فيمن ظلم
تجاوِرُ قارون في قَعرها وفِرعونَ والمُكتنى بالحكم

فقال له المجوسيّ: ويحك! سألتَ قومك فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتك، فجزَيتني هذا القول ولم أفلِت من شِعرك وشرّك! قال: أوَ ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل! ثم جاء الى عِكرمة بن رِبعيّ التميميّ فلم يُعطِه، فقال فيه:

سألتُ ربيعةَ مَن شرُّها أباً ثم أمّاً فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأعلَمَ مَن شرُّكم وأجعل بالسبّ فيه سِمَهْ (٢)
فقالوا لعكرمة المخزِياتُ وماذا يرى الناسُ في عِكرِمه
فإن يَكُ عبداً زكا ماله فما غيرُ ذا فيه من مَكرُمه

قال ابن الكلبيّ: وشرب الأُقيشر في حانة خمّار حتى أنفد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقتْ (٣) فلم يبقَ عليه شيء، وجلس في تِبنٍ الى جانب البيت الى حَلقه مستدفئاً به. فمرّ رجلٌ به يَنشد ضالّةً، فقال: اللهم اردُد عليه واحفَظ علينا. فقال له الخمّار: سَخِنتْ عينك! أيّ شيء يحفظ عليك ربّك؟ قال: هذا التِبن لا تأخذه فأموتُ من البرد. فضحك الخمّار وردّ عليه ثيابه وقال: اذهب فاطلب ما تشرب به، ولا تجئني بثيابك فإني لا أشتريها بعد ذلك.

---

(١) يقال: فلان لين المشاش اذا كان طيب النحيزة عفيفاً عن الطمع. ويقال: فلان طيب المشاش اذا كان كريم النفس.

(٢) سمة: علامة.

(٣) الغلق هنا: ضد الفك. وهو يريد هنا حتى صارت حقاً للخمار.

لقيه هشام الشرطي وهو سكران فحاوره في سكره :

قال ابن الكلبيّ : واجتاز الأقيشر برجلٍ يقال له هِشامٌ وكان على شُرطة عمرو بن حُرَيث وهو سكران ، فدعا به فقال له : أنت سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرجلاً ، ثم قال :

يقولون لي انْكَهْ[١] شَرِبتَ مُدامةً فقلتُ كذبتم بل أكلتُ سفرجلا

فضحك منه ثم قال : فإن لم تكن سكران فأخبِرني كم تصلّي في كلّ يوم . فقال :

يسائلني هشامٌ عن صلاتي صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ
صلاةُ العصرِ والأولى ثمانٍ مُواترةٌ فما فيهنّ لَبس
وعند مغيب قَرنِ الشمس وترٌ وشَفعٌ بعدها فيهنّ حَبس
وغُدوةَ اثنتان معاً جميعاً ولمّا تبدُ للرائين شمس
وبعدهما لوقتها صَلاةٌ لِنُسكٍ بالضُحاء اذا نَبُسّ[٢]
أأحصيتُ الصلاة أيا هشاماً فذاكَ مُكدَّرُ الأخلاق جِبس[٣]
تَعَوّد أن يُلام فليس يوماً بحامده من الأقوام إنس

قال : فضحك هشام وقال : بلى قد أخبرتَنا يا أبا مُعرض ، فانصرِف راشداً .

استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي عُبيدة قال :

---

(١) نكه فلان : أخرج نفسه الى أنف آخر ، ونكهه واستنكهه : شم ريح فمه .

(٢) لعله يريد أن صلاة النسك بالضحاء تكون حين نقوم بشؤوننا في الحياة .

(٣) الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم . ولعله يعرّض بشخص آخر .

قدِم رجلٌ من بني سَلول على قُتيبة بن مُسلمٍ بكتاب عامله على الريّ وهو المُعلّى بن عمرو المُحاربيّ ، فرآه على الباب قُدامة بن جعدة بن هُبَيرة المخزوميّ وكان صديقاً لقُتَيبة ، فدخل عليه فقال له : ببابك ألأمُ العرب ، سَلوليٌّ رسولُ مُحاربيٍّ الى باهليٍّ . فتبسم قتيبة تبسُّماً فيه غيظٌ . وكان قُدامة بن جعدة يُتَّهم بشرب الخمر ، وكان الأُقيشر يُنادمه . فقال قتيبة : ادعوا لي مِرداس بن جُذامٍ الأسديّ فدُعِي . فقال له : أنشِدني ما قال الأُقيشر في قُدامة بن جعدة وهو بالحيرة . فأنشده قوله :

رُبَّ نَدمانٍ كريمٍ ماجدٍ ... سَيّدٍ الجدَّين من فَرعَيْ مُضَرْ
قد سَقَيتُ الكأسَ حتى هَرَّها[1] ... لم يُخالط صَفوَها منه كَدَر
قلتُ قُمْ صَلِّ فصلّى قاعداً ... تتغشّاه سَمادِيرُ[2] السَّكَر
قرَنَ الظُّهرَ مع العصر كما ... تُقرَنُ الحِقّةُ[3] بالحِقِّ الذَّكَر
ترك الفجر فما يقرؤها ... وقرا الكوثر من بين السُّوَر

قال : فتغيّر لون وجه القرشي وخجِل . فقال له قتيبة : هذه بتلك ، والبادىء أظلم .

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال :

قال عبد الملك للأُقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر ، فأنشده قوله :

تُريك القذى من دونها وهي دونه ... لِوجه أخيها في الإناء قُطوبُ
كُمَيتٌ اذا فُضَّت وفي الكأس وردةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيب

(١) هرها : كرهها .

(٢) السادير هنا : شيء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر .

(٣) الحقة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعرِض ! ولقد أجدتَ وصفها ، وأظنُّك قد شربتها . فقال : والله يا أميرَ المؤمنين إنه ليَرِيبُني منك معرفتك بهذا .

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن اسحاق عن ابن الكلبي عن رجل من الأزْد قال :

كان الأقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيعطونه ، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم ، فأخذها وتوّجه الى الحانةِ ودفعها الى صاحبها وقال له : أقِم ما احتاج اليه ففعل ذلك ، وانضم اليه رفقاء له ، فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه ، فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر اليه أصحابه من بعيد فقالوا لصاحب الحانة : أصعدنا الى غرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنا لم نأتِ اليوم . فلما جاء الاقيشر أعلمه ما قالوه له . فعلِم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برَهنٍ ، فطرح اليه ثيابه وقال له : أقِم لي ما أحتاج اليه ففعل . فلما أخذ في الشراب أنشأ يقول :

يا خليليّ اسقياني كاسا ... ثم كأساً حتى أخرّ نعاسا
إن في الغرفة التي فوق رأسي ... لأناساً يخادعون أناسا
يشربون المُعتّق الراح صِرفاً ... ثم لا يرفعون بالزّور راسا

فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدّوه بآبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له : إما أن تصعد الينا أو ننزل اليك ، فصعد اليهم .

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهروية قال حدثني أبو مُسلِمٍ المُستملي عن المدائني قال :

مدح الاقيشر بِشر بن مروان ودخل اليه فأنشده القصيدة وعنده أيمنُ بن خُريم بن فاتك الأسدي ، فقال أيمنُ : هذا والله كلامٌ حسنٌ من جوفٍ خربٍ . فأجابه بالبيت المذكور . وقال أبو عمرو أيضاً في خبره : فلما صار الأقيشر الى منزله بعث عمّه فأخذ منه الالف الدرهم وقال : والله لا أخلّيك تُفسدها وتشرب بها

الخمر. قال: فتصنع بها ماذا؟ قال: أكسوك واكسو عيالك وأعدّ لك قوتَ عامك. فتركه ودخل على بشر فقال له:

أبلغ أبا مروان أن عطـاءه أزاغ به مَن ليس لي بعيال

قال: ومَن ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحبَ شُرطته أن يُحضر عمّه وينتزع منه الألفَ الدرهم ويسلّمها اليه، وقال: خُذها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم.

مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به:

أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غسّان دماذَ عن أبي عبيدة قال:

مر الأقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها دومةُ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جوّدي لي الشّراب حتى أجيد لك المدح ففعلتْ فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النّعيم وأسمرُ ملء كفك مستقيمُ
شديدُ الاسر[١] يَنبضُ حالباه يُحمّ كأنه رجلٌ سقيم
يُرَوّيه الشراب فيزدَهيه وينفخ فيه شيطانٌ رجيم

قال: فسرّتْ به الخمّارةُ وقالت: ما قيل فيّ أحسنُ من هذا ولا أسرّ لي منه.

أخبرني أبو حسن الاسدي عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان فاتكُ بن فضالة بن شريكٍ الاسدي كريماً على بني أميّة، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل ان ينهض الى حرب بن الزّبير، فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم اليه، وأن يُسلموا مُصعباً اذا لقيه ويتفرقوا عنه. وله يقول الاقيشر في هذه الوفادة:

(١) الأسر: شدة الخلق. وينبض: يتحرك.

وفد الوفودُ فكنتَ أفضل وافدٍ   يا فاتكُ بن فَضالة بن شريكَ

أخبرني علي بن سليمان الاخفش عن السكري قال حدثني ابن حبيب قال :

ولي الكوفة رجلٌ من بني تميمٍ يقال له مطر(١) ؛ فلما علا المنبر انكسرت الدَّرجة من تحته فسقط عنها ؛ فقال الاقيشرُ :

أبني تميمٍ ما لِمنبر مُلكِكُمْ   ما يستقرّ قراره يَتمرمَرُ(٢)
إن المنابر انكرتْ استاهكم   فأدُعوا خُزيمةَ يَستقِرّ المنبر

أخبرني محمد بن مزيدٍ عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال :

مرّ رجلٌ من مُحاربٍ يقال له قُريطةُ بن يقَظة بالأقيشر الاسدي وهو في مجلسٍ من مجالس بني أسد ، فسلّم على الاقيشر وكان به عارفاً . فقال له القومُ : مَن هذا يا أبا مُعرِض ؟ وكان مخموراً ، فقال :

ومَن لي بأن أستطيعَ أن أذكرَ اسمه   وأعيا عِقالا أن يُطيق له ذكرا

قال : فضحك القوم وقالوا : سبحان الله ! أي شيء تقول ؟ فقال : اسمه ونسبُه أعظمُ من أن أقدر على ذكرهما في يومٍ ، فإن شئتم سمّيته اليوم ونسبتُه غداً ، وإن شئتم نسبتُه اليومَ وسمّيته غداً . قالوا : هاتِ اسمه اليوم . فقال : قُريطةُ . فقال رجلٌ منهم : ينبغي أن يكون ابن يَقَظة . فقال الأقيشر : صدقتَ والله وأصبتَ ، ولقد أثقلني اسمهُ حين ذكرته أن أقول نعم . فبلغ قريطة قوله وكان شاعراً فقال :

---

(١) هو مطر بن ناجية اليربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري . (راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ٣٥٣) وفيه بعد البيتين اللذين ذكرهما المؤلف :

خلعوا أميـر المؤمنين وبايعوا   مطراً لعمرك بيعة لا تظهر
واستخلفوا مطراً فكان كقائل   بدل لعمرك من يزيـد أعور

(٢) يتمرمر : يهتز ويضطرب .

لِسانُكَ من سُكرٍ ثقيلٌ عن التُّقى ... ولكنه بالمخزيات طليقُ
وأنتَ حقيقٌ يا أُقيشرُ أن تُرى ... كذاك اذا ما كنتَ غيرَ مفيق
تسفُّ من الصهباء صِرفاً تخالها ... جنى النَّحل يُهديه اليك صديق

فبلغ الاقيشر قولُ المحاربي وكان يُكنى أبا الذيّال ، فأجابه فقال :

عَدِمتُ أَبا الذيّال من ذي نوالة ... له في بيوت العاهرات طريقُ
أَبالخمرِ عَيّرتَ امرأً ليس مُقلِعاً ... وذلك رأيٌ لو عَلِمتَ وثيق
سأشرَبها ما دُمتُ حياً وإن أُمتْ ... ففي النفس منها زفرةٌ وشهيق

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال :

بلغني أن الرشيد سمع ليلةً رجلاً يغنّي :

إن كانت الخمر قد عزّتْ وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحرجُ
فقد أُباكِرُها صِرفاً وأشرَبُها ... أشفي بها غُلّتي صِرفاً وأمتزج
وقد تقومُ على رأسي مُغنيةٌ ... لها اذا رجّعتْ في صوتها غُنُج
وترفع الصوت أحياناً وتخفضه ... كما يَطِنّ ذُبابُ الرّوضة الهزج

قال : فوجّه في أثر الصوت مَن جاءه بالرجل وهو يُرعَد ، فقال : لا تُرَعْ فإنما أعجبني حسنُ صوتك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تغنّيت بهذا الشعر إلّا وأنا قد تُبتُ من شرب النبيذ ، وهذا شعرٌ يقوله الأُقيشر في توبته من النبيذ . فقال له الرشيد : وما حملك على تركه ؟ قال : خَشيةُ الله . وإني فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيد بن ظَبيان :

جاءوا بقاقُزّةٍ[1] صَفراء مُترَعةٍ ... هل بين ذي كَبرةٍ والخمر من نَسَبِ

(١) القاقزة : الصغيرة من القوارير (أي الكأس الصغيرة) ، ويقال فيها «قاقوزة» و «قازوزة» فارسية معربة .

بئس الشرابُ شراباً حين تشربه يُوهي العظام وطوراً مُفترُ العصبِ
إني أخافُ مليكي أن يُعذّبني وفي العشيرةِ أن يُزري على حسبي

فقال له الرشيد: أنت وما اخترتَ أعلمُ[1]، فأعِدِ الصوت، فأعاده. وأمر بإحضار المغنّين واستعاده، وأمرهم بأخذه عنه فأخذوه، ووصله وانصرف؛ وكان صوتَ الرّشيد أياماً. هكذا ذكر اسماعيل بن يونس عن عُمر بن شبّة في هذا الخبر أن الأبيات للأقيشر، ووجدتُها في شعر أبي مِحجَن الثقفيّ له لمّا تاب من الشراب.

خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه في الفجور:

أخبرني عليُّ بن سليمان قال حدثنا أبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال:

كان القُباعُ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشأم، ولم يكن عند الأقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ، فلمّا عبر جسرَ سُورا[2] فوصل لقريةٍ يقال لها قَبِّين توارى عند خمّارٍ نَبطيٍّ يُبرِزُ زوجته للفجور، فباع حماره وجعل يُنفقه هناك ويشرب بثمنه ويفجُر الى أن قفَل الجيش، وقال في ذلك:

خرجتُ من المِصرِ الحواريّ[3] أهلُه بلا ندبةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ
الى جيش أهل الشأم أغزيتُ[4] كارهاً سَفاهاً بلا سيفٍ حديدٍ ولا نَبلِ

---

(١) الواو هنا بمعنى الباء، أي أنت اعلم بما اخترت.

(٢) سورا (بالضم والقصر): قرية بالعراق من ارض بابل، وقد نسبوا اليها الخمر. وسوراء (بالضم والمدّ): موضع قرب بغداد، وقيل هو بغداد نفسها. وقد وردت هذه الكلمة في شعر الاقيشر الآتي ممدودة، فالظاهر أنه يريد الأخيرة، ويحتمل أن يكون أراد الأولى فمدها كما مدها عبيد الله ابن الحر في قوله:

ويوماً بسوراء التي عند بابل أتاني أخو عجل بذي لجب مجر

(٣) أي الصديق أهله.

(٤) في الاصول: «اغريت» بالراء المهملة. وهو تصحيف. واغزاه: حمله على الغزو.

ولكن بتُرسٍ ليس فيه[١] حمالةٌ ورُمحٍ ضعيفِ الزُّجِّ مُنصدع النَّصلِ
حَباني به ظالمُ القُباع ولم أجِدْ سوى أمره والسَّيرِ شيئاً من الفِعل
فأزمعتُ أمري ثم أصبحتُ غازياً وسلَّمتُ تسليم الغُزاةِ على أهلي
وقلتُ لعلّي أن أرى ثَمّ راكباً على فرس أو ذا مَتاعٍ على بَغل
جَوادي حمارٌ كان حيناً لظهره إكافٌ وإشناقُ المَزادة والحبل
وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه قوائمُ سَوء حين يُزجَر في الوَحل[٢]
اذا ما انتحى في الماء والوَحل لم تَرِم قوائمُـه حتى يُؤخَّرَ بالحِمل
أنادي الرِّفاق باركَ الله فيكمُ رُوَيدكمُ حتى أجوز الى السَّهـل
فسِرنا الى قُبِّين يوماً وليلةً كأنّا بَغايا ما يَسِرنَ الى بَعـل
اذا ما نزلنا لم نجد ظِـلَّ ساحةٍ سوى يابس الأنهار أو سَعفِ النخل
مرَرنا على سُوراءَ نَسمع جِسرَها يَئط[٣] نَقيضاً عن سفائنه الفضل
فلمّا بدا جسرُ السَّراة وأعرضت لنا سوق فُرّاغ الحديث الى شُغل
نزلنا الى ظِلٍّ ظليلٍ وباءةٍ[٤] حَـلالٍ برغم القلطبان وما نفل
يُشارطـه مَن شاء كان بدرهمٍ عَروساً بما بين السَّبيئة والنَّسل
فأتبعتُ رُمحَ السَّوء سِميـة نصله وبِعتُ حماري واسترحتُ من الثِّقل
تقول ظبايا قـل قليلاً ألا ليا فقلت لها إصوي فإني على رِسل
مهرت لهـا جرديقة فتركتُها بَرها كطَرفِ العين شائلةَ الرِّجل

وممّا يُغنّى فيه من شِعر الأقيشر :

(١) في الاصول « فيها » .

(٢) الوحل (بسكون الحاء) : لغة قليلة في الوحل (بالتحريك) .

(٣) يئط : يصوّت . والنقيض : الصوت مثل صوت المحامل والرحال اذا ثقل عليها الركبان .

(٤) الباءة : النكاح .

صوت

لا أشربَنْ أبـداً راحاً مُسارَقَةً إلّا مع الغُرّ أبنـاء البَطاريقِ [١]
أفنى تِلادي وما جَمّعتُ من نَشبٍ [٢] قَرعُ القَواقـيز [٣] أفواهُ الأباريق

الغناء لحُنَينٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعمر الوادي رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّل يُنسب الى حُنَينٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعاً . وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلةٍ ، أوّلها :

إنّي يذكِّرني هنداً وجارَتَهـا بالطَّفِّ صوتُ حمامات على نيق [٤]

* * *

صوت

دَعاني دَعوةً والخيلُ تَردي فلا أدري أباسمي أمْ كناني
وكانَ إجـابتي إيّاهُ أنّي عَطفتُ عليه خَوّارَ العِنان

الشعر لابن الغريزة النَّهشَليّ . والغناء ليحيى المكيّ رمـلٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد جعل المغنّون معه هذا البيت ولم أجده في قصيدته ، ولا أدري أهوَ له أم لغيره :

أَلا يا مَن لِذا البرقِ اليَماني يلوحُ كأنّه مِصباحُ بانِ [٥]

---

(١) الغر هنا : السادة الأشراف ؛ يقال رجل أغر اذا كان كريم الافعال واضحها . والبطاريق : جمع بطريق وهو القائد او العظيم من الروم .

(٢) التلاد : المال القديم من تراث وغيره . والنشب : المال الثابت كالدار ونحوهـا ، أو هو المال الاصيل من الناطق والصامت .

(٣) القواقيز : ضرب من الرواطيم وهو الكؤوس الصغيرة .

(٤) الطف : موضع بناحية الكوفة . والنيق : حرف من حروف الجبل ، وارفع موضع فيه .

(٥) الباني هنا : الداخل بأهله . وأصله أنه كان كل من أراد منهم الزفاف بنى قبة على أهله، ثم قيل لكل داخل بان وان كان قد دخل عليها داراً قد بنيت قبله .

أخبار ابن الغريزة ونسبه

كثيرُ بن الغريزة التميميُّ أحد بني نهشل . والغريزة أمّه . وهو مخضرَمٌ ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وقال الشعر فيهما . وهذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاةٍ غزاها الأقرع بن حابسٍ وأخوه بالطّالقان[١] وجوزَجان وتلك البلاد ، فأصيب مِن أصحابه قومٌ بالطّالقان فرثاهم ابن الغريزة .

أخبرني الصوليّ عن الحزَنبل عن ابن أبي عمرو الشّيبانيّ عن أبيه قال :

بعث عُمر بن الخطّاب الأقرع بن حابسٍ وأخاه على جيشٍ الى الطّالقان وجوزَجان وتلك البلاد ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطّالقان ، فقال ابن الغريزة النهشليّ وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم :

سقى مُزنُ السّحاب اذا استهلّت ... مَصارع فتيةٍ بالجوزجانِ
الى القصرَين من رُستاق خُوطٍ[٢] ... أبادهمُ هناك الأقرعان[٣]
وما بي أن أكون جَزِعتُ إلّا ... حنينَ القلب للبرقِ اليماني
ومَحبورٍ برُؤيتنا يُرَجّي الـلقاء ولن أراه ولن يراني

(١) الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان بين مرو الروز وبلخ ، بينها وبين مرو الروز ثلاث مراحل . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر ، وبها عدّة قرى يطلق عليها هذا الاسم . وجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وهي بين مرو الروز وبلخ .

(٢) القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها .

(٣) يريد بالأقرعين الاقرع بن حابس وأخاه .

وربَّ أخٍ أصاب الموت قبلي … بَكَيتُ ولو نُعيتُ له بَكاني
دعاني دعوةً والخيل تَردي[١] … فما أدري أباسمي أم كَنَاني
فكان إجابَتي إيّاه أنّي … عطفتُ عليه خَوّار العنانِ[٢]
وأيَّ فتًى دعوتَ وقد تولّت … بهنّ الخيلُ ذاتُ العنظوان
وأيَّ فتًى اذا ما مُتُّ تدعو … يُطرّفُ[٣] عنك غاشية السِّنان
فإن أهلِك فلم أكُ ذا صُدوفٍ[٤] … عن الأقران في الحرب العَوان
ولم أدلج لِأطرُق عِرسَ جاري[٥] … ولم أجعل على قومي لساني[٦]
ولكنّي اذا ما هايجوني … مَنيعُ الجارِ مُرتفعُ البنان
ويَكرَهُني اذا أستبسلتُ قِرني … وأقضي واحداً ما قد قضاني
فلا تَستبعدا يومي فإني … سأوشِك مرّةً أن تَفقِداني
ويدركني الذي لا بُدَّ منه … وإن أشفقتُ من خوف الجنانِ[٧]
وتبكيني نوائحُ مُعوِلاتٌ … تُركْنَ بدار مُعترَكِ الزّمان
حبائسُ بالعراق مُنَهنَهاتٌ[٨] … سواجي الطَّرف كالبقر الهِجان

(١) ردت الفرس تردي (وزن رمى) ردياً (بالفتح) ورديانا (بالتحريك) : رجمت الارض بحوافرها، أو هو ضرب من السير بين العدو والمشي .

(٢) خوّار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .

(٣) يقال : طرّف عن العسكر اذا قاتل عن أطرافه . وإنما أراد هنا يحميك ويصرف عنك غاشية السنان أي يجعلها عنك في طرف وناحية .

(٤) الصدوف : الإعراض . يريد أنه لا يعرض عن أقرانه ولا يفر من لقائهم .

(٥) الإدلاج : السير من أول الليل . وعرس الرجل : زوجه .

(٦) يريد أنه لا يشتم قومه ولا يهجوهم .

(٧) لعل الجنان هنا : الظلام ، على أن يكون المخوف ظلام القبر .

(٨) نهنه فلان دمعه : كفه . وسواجي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .

أعاذلتيَّ مِن لَومٍ دعاني ولِلرُّشد المُبيَّن فاهديَاني
وعاذلتيَّ صوتُكما قريبٌ ونَفعُكما بعيدُ الخير واني
فرُدّا الموت عنّي إن أتاني ولا وأبيكما لا تفعلان

* * *

صوت

دارٌ لقاتلة الغرانق[1] ما بها غير الوحوش خلت له وخلا لها
ظلّت تُسائل بالمُتيَّم ما به وهي التي فعلت به أفعالها

الشعرُ لأعشى بني تغلِبَ من قصيدة يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويُعين الأخطل عليه . ويروى « رَبعٌ لقانصة الغرانق » وهو الصحيح هكذا ، ويُغنّى « دارٌ لقاتلة » لأنه يقول في آخر البيت « خلَت له وخلا لها » ، والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو بن بانة وابن المكيّ . وفيه لمخارقٍ رملٌ من جميع أغانيه .

(١) الغرانق – ومثله الغرانيق – : جمع غرنوق (بالضم) وغرنوق (بكسر فسكون ففتح) وغرنيق (بالكسر) وهو الشاب الناعم .

اخبار أعشى بني تغلب ونسبه

كان نصرانياً :

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمه النُّعمان بن يحيي ابن معاوية ، أحد بني معاوية بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنبِ بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعةَ بن نِزارٍ ، شاعرٌ من شعراء الدولة الاموية ، وساكني الشأم اذا حضر ، واذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة . وكان نصرانياً ، وعلى ذلك مات .

قصته مع الحر بن يوسف :

أخبرني عليّ بن سليمان الاخفش عن أبي سعيد السُّكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال :

كان أعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيي بن الحكَم . فشربا يوماً في بستان له بالموصل ، فسكر الاعشى فنام في البستان . ودعا الحرُّ بجواريه فدخلن عليه قُبته . واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القُبة ، فمانعه الخدم ، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الُحرّ مع جواريه ، فلطمه خَصِيٌّ منهم ؛ فخرج الى قومه فقال لهم : لطمني الُحرُّ . فوثب معه رجل من بني تغلبَ يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همّام بن ثعلبة بن أبي سعد ، فاقتحما الحائط[1] وهجما على الحر حتى لطمه الاعشى ثم رجعا . فقال الاعشى :

---

(١) الحائط : البستان .

كأني وابن أدعجَ اذ دخلنا على قُورَشِيِّكَ الورَعِ[1] الجبانِ
هِزَبْرَا غابةٍ وقصا[2] حماراً فظــلّا حوله يتناهشان
أنا الُجشميُّ من جُشَم بن بكرٍ عشيَّةَ رُعتَ طرفَكَ بالبنان

– أي لطمتُكَ . وقوله (أنا الجشمي » أي مثلي يفعل ذلك بمثلك –

فما يستطيع ذو مُلكٍ عقابي اذا اجترمتْ يدي وجَنى لساني
عَشيَّةَ غاب عنكَ بنو هشامٍ وعثمانُ استُها وبنو أبانِ
تروحُ الى منازلها قُريشٌ وأنتَ مُخَيِّمٌ بالزَّرّقانِ

والزَّرّقانُ : قريةٌ كانت للحرِّ بسنجار[3] .

مدح مدركا الكناني فأساء ثوابه فهجاه :

قال ابن حبيب : مدح أعشى بني تغلب مُدركَ بن عبد الله الكناني أحد بني أُقيشر بن جَذيمة بن كعب فأساء ثوابه ؛ فقال الاعشى :

لَعمرك إني يوم أمــدح مُدركاً لكالمُبتني حوضاً على غيرِ منهلِ
أمرّ الهوى دُوني وفيَّل[4] مِدحــتي ولو لكريمٍ قُلتُهـا لم تُفيَّلِ

قال ابن حبيبَ : كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر أخو بـني فائدٍ وهم رهطُ الفرس نصرانياً وكان ظريفـاً ، فدخل على بعض خُلفاء بني أميَّة ، فقال :

(١) الورع : الضعيف الجبان .

(٢) وقص عنقه : كسرها ودقها .

(٣) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

(٤) فيله : قبحه وخطأه . يريد ان الممدوح لم يقدر مدحته قدرها ولم يثبها ثوابها .

أسلِم يا شمعلة . قال : لا والله أُسلم كارهاً أبداً ، ولا أسلم إلا طائعاً اذا شئتُ . فغضب فأمر به فقُطعت بضعةٌ من فخذه وشُويتْ بالنار وأُطعمها . فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أَمِن حُذَّةٍ[1] بالفخذ منك تباشرت عُداك فلا عارٌ عليك ولا وزرُ
وإن أميرَ المؤمنين وجرَحه لكالدّهر لا عارٌ بما فعل الدهر

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو :

كان الوليد بن عبد الله الملك محسناً الى أعشى بني تغلب ، فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه فلم يُعطه شيئاً ، وقال : ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً ، ولو كان لهم فيه حق لَمَا كان لك؛ لأنك امرؤٌ نصراني. فانصرف الاعشى وهو يقول :

لَعَمري لقد عاش الوليد حياته إمام هُدًى لا مُستزاد ولا نزرُ
كأنّ بني مروان بعد وفاته جلاميدُ لا تَندى وإن بلّها القطر

وقال ابن حبيب عن أبي عمرو : كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروبٌ، فعاون مالكُ بن مسمع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم . فقال أعشى بني تغلبَ في ذلك :

بني أُمّنا مَهلًا فإن نفوسنا تُميتُ عليكم عتبها ومصالها[2]
وتَرعى بلا جهلٍ قرابة بيننا وبينِكُمُ لمّا قطعتم وصالَها
جزى الله شيباناً وتيماً ملامةً جزاءَ المُسيءِ سعيها وفعالها
أبا مِسمع من تُنكر الحق نفسُه وتعجز عن المعروف يعرفْ ضلالها

---

(١) الحذة (بالضم) : القطعة من اللحم .

(٢) المصال : لعله هنا مصدر صال يصول اذا سطا .

أأوقدتَ نار الحرب حتى اذا بدا لنفسك ما تجني الحروب فهالها
نزعتَ وقد جردتها ذات منظرٍ قبيحٍ مُهينٍ حيث ألقت حلالها [1]
ألسنا اذا ما الحربُ شبَّ سعيرُها وكان صفيحٌ [2] المشرفي صلالها
أجارتُنا حلٌّ لكم أن تنالوا محارمها وأن تميّزوا حلالها
كذبتم يمينُ الله حتى تعاوروا صُدور العوالي بيننا ونصالها [3]
وحتى ترى عينُ الذي كان شامتاً مزاحفَ [4] عقرى بيننا ومجالها

* * *

صوت

ويفرح بالمولود من آل برمكٍ بُغاة النّدى والرمح والسيف والنّصلِ
وتنبسطُ الآمالُ فيه لفضله ولاسيّما إن كان من ولد الفضل

الشعر لابي النضير. والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أولُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع اسحاق. وقال حبشٌ: فيه لإبراهيم الموصلي ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو ابن بانةَ من مجموع اسحاق. وقال حبشٌ: فيه لإبراهيم الموصلي ثقيلٌ آخر بالوسطى. ولقضيبَ وبراقشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان.

---

(١) الحلال هنا: متاع الرحل.

(٢) «سفيح» بالسين. والصفيح: جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض. والمشرفيّ: المنسوب الى المشارف وهي قرى قرب حوران تنسب اليها السيوف المشرفية، نسب الى المفرد. وقال الاصمعي: المشرفية منسوبة الى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، وحكى الواحدي أنها بأرض اليمن. وأحسب أن صوابه «وكان الصفيح المشرفيّ».

(٣) تعاوروا الشيء: تداولوه. والعوالي: أطراف الرماح، الواحدة عالية. والنصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض، فان كان لها مقبض فهو سيف.

(٤) المزاحف: جمع مزحف وهو مكان الزحف أي المشي. وعقرى: جمع عقير، كجريح وجرحى.

أخبار ابى النضير ونسبه

أبو النضير اسمه عُمرُ بن عبد الملك ، بَصرِيٌّ ، مولًى لبني جُمَح .

أخبرنا بذلك عمي عن ابن مهروية عن اسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن اسحاق بن خلفٍ الشاعر قال : قلت لأبي النضير بن أبي الياس : لمن أنت ؟ فقال : لبني جُمَح . وذكر أبو يحيي اللّاحقيُّ أن اسمه الفضل بن عبد الملك . شاعرٌ من شعراء البصريين ، صالحُ المذهب ، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولّدين الساقطين . وكان يغنّي بالبصرة على جَوارٍ له مولّدات ، ويُظهر الخلاعة والمُجون والفِسق ، ويعاشر جماعةً ممن يُعرَف بذلك الشأن . وكان أبانُ اللّاحقيُّ يعاشره ثم تصارَما ، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قِلًى ، ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة فأغنوه الى أن مات .

قال اسحاق الموصلي إنه أظرف الناس :

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن اسحاق قال سمعت أبي يقول : لو قيل لي مَن أظرف مَن رأيته قطُّ أو عاشرته ، لقلتُ : أبو النضير .

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيدي عن اسحاق، وأخبرني محمد بن مَزيَد عن حمّاد عن أبيه قال :

وُلِد للفضل بن يحيي مولودٌ ، فوَفد عليه أبو النضير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً ، فلمّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنّئونه نَثراً ونَظماً قال ارتجالًا :

وَيفرَحُ بالمولود من آلِ بَرْمَكٍ بُغاةُ النَّدى والسيف والرُّمح والنَّصلِ
وَتنبسطُ الآمالُ فيه لفضله ... ...

ثم أرتِجَ عليه فلم يَدرِ ما يقول. فقال الفضل يُلقِّنه:

ولاسيا إن كان من وَلَد الفضل

فأستحسن الناس بديهة الفضل في هذا، وأمر لأبي النضير بصلةٍ.

وأخبرني حبيبُ بن نَصرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيات قال حدثني بعض المَوالي قال:

حضرتُ الفضلَ بنَ يحيى وقد قال لأبي النضير: يا أبا النضير أنت القائلُ فينا:

إذا كنتُ من بغداد في رأس فَرسخٍ وجدتُ نسيم الجود مِن آل بَرمكٍ

لقد ضيَّقتَ علينا جداً. قال: أفلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت عليَّ صِلتُك وضاقت عنّي مكافأتك وأنا الذي أقول:

تشاغل الناسُ ببنيانهم والفضل في بُنيانه جاهدُ
كلُّ ذوي الفضل وأهل النُّهى للفضل في تدبيره حامد

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلتُ:

إذا كنت من بغداد مُنقطع الثرى وجدت نسيم الجود من آل برمكٍ

فقال الفضل: إنما أخرتُ عنك لأمازحك، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني ابن عمَّار عن أبي اسحاق الطَّلحيّ عن أبي سُهَيل قال:

كان أبو النضير يَهوى عِنان جارية النَّاطفيّ، وكتب اليها:

إنّ لي حاجةً فرأيكِ فيها لكِ نفسي الفِدا مِنَ الأوصابِ
وهي ليستْ ممّا يبلِّغُه غيري ولا أستطيعُه بكتاب
غيرَ أنّي أقولها حين ألقا كِ رويداً أُسِرُّها من ثِيابي

فأجابته وقالت :

أنا مشغولةٌ بمن لستُ أهوا هُ وقلبي مِن دونه في حِجابِ
فإذا ما أردتَ أمراً فأسرِرْ هُ ولا تجعلنَّه في كتاب

قال : وقال أبو النضير فيها :

شعر له في عنان :

صوت

أنا واللهِ أهواكِ وأهواكِ وأهواكِ
وأهوى قُبلةً مِنكِ على بَردِ ثَناياك
وأهوى لك ما أهوى لنفسي وكفى ذاك
فهل ينفعُني ذلك يوماً حين ألقاك
أنا والله أهواك وما يشعُر مولاك
فإيّاك بأن يَعلَمَ إيّاكِ وإيّاك

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ .

حدثنا ابن عمّار عن الطلحيّ عن أبي سُهيلٍ قال :

كان أبو النضير يغنّي غناء صالحاً ، فغنّى ذات يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : إطرَح عليّ هذا الصوت يا أبا النضير . فقال : لا تطيبُ نفسي به مُحابياً ، ولكنّي أبيعك إيّاه . قالت : بكَمْ ؟

قال: برأس ماله. قالت: وما رأسُ ماله؟ قال: نَاكني فيه الذي أخذتُه منه. فغطّت وجهها وقالت: عليك وعلى هذا الصوت الدَّمارُ.

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلحيّ عن أبي سُهَيل قال:

قال أبو النضير، وفيه غناء لإبراهيم:

صوت

أَيصحو فـؤادكَ أم يَطرَبُ وكيف وقد شحطت زينبُ
جرى الناسُ قبل أبي جعفرٍ زماناً فلم يُدرَ مَن غَلَبوا
فلمّا جرى بأبي جعفـر بنـو تغلبٍ سبقتْ تَغلب

قال أبو سُهَيل: وأبو جعفرٍ الذي عناه أبو النضير هو عبد الله بن هشام بن عمرو التَّغلبيّ الذي يذكره العتّابيّ في شعره ورسائله، وكان جواداً سخياً. وكان ابن هشامٍ ولي السِّند، وفيه يقول أبو النضير:

ألا أيها الغيثُ الذي سحّ وَبلُه كأنك تحكي راحةَ ابن هِشامِ
كأنك تحكيها ولكنّ جُودَه يدومُ وقـد تأتي بغير دوام
وفيك جَهامٌ(١) ربّما كان مُخلِفاً وراحتُه تغدو بغـير جَهام

أخبرني ابن عمّار عن الطلحيّ عن أبي سُهَيلٍ قال:

كان أبو النضير يزعم أنّ الغناء على تقطيع العَروض، ويقول: هكذا كان الذين مضَوا يقولون، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أن يغنّي، وكان ابراهيم الموصليّ يخالفه في ذلك ويقول: العَروضُ مُحدَثٌ، والغناء قبله بزمانٍ. فقال اسحاق بن ابراهيم ينصر أباه:

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه، والسحاب الذي هراق ماءه.

سَكَتُّ عن الغِناء فلا أُماري بصيراً لا ولا غيرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجَنَّ فيه نفسي كما قد جُنَّ فيه أبو النضيرِ

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه قال حدثني أبو طلحة الخُزاعيّ عن اللّاحقيّ قال :

كان جدّي أبانُ يشرَبُ مع إخوانٍ له على شاطئ دجلة بعد مُصارمته أبا النضير ، وكان القومُ أصدقاء له ولأبي النضير ، فذكروه . فقال جدّي : إن حضر انصرفتُ ، فأمسكوا . فقال جدّي فيه :

رُبَّ يومٍ بشطِّ دجلةَ لَذٍّ ولَيالٍ نعِمتُ فيها لِذاذِ
غَيبةً لم تَطُل عليَّ وماذا خيرُ قُربِ المُطرمِذِ المَلّاذِ [1]
تركَ الأشرِباتِ ليس بعاطٍ لرساطونِها [2] ولا الرّاقياذ [3]
وحكى الأحمقَ الذي ليس يدري أنَّ خيرَ الشراب هذا اللذاذ [4]
ضلَّ رأيٌ أراه ذاك كما ضلَّ غُواةٌ لاذوا بشرِّ مَلاذ
أنت أعمى فيما ادَّعيت كما لستَ لِصَوغِ الألحان بالأستاذ
كان ذنباً أتوبُ منه الى اللّـه اختياريك صاحباً واتّخاذي
إنّ لِلّهِ صومَ شهرَين شُكراً أن قضى منك عاجلاً إنقاذي
لا لِدينٍ ولا لدُنيا ولا يَصلُح في علم ما ادّعى بنَفاذ

---

(١) المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الامور . والملاذ : المطرمذ المتصنع الذي لا تصح مودته .

(٢) العاطي: المتناول. والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل، والكلمة رومية.

(٣) المراد به ضربٌ من الشراب .

(٤) اللذاذ : مصدر لذذت الشيء لذاذاً ولذاذة أي وجدته لذيذاً .

حدثني ابن عمّار عن الطّلحيّ عن أبي سُهيل قال :

كتب أبو النضير الى حمّاد عَجرَدٍ يسأل عن حاله في الشراب وشُربه إيّاه ومَن يعاشر عليه . فكتب اليه حمّادٌ :

أبا النضير اسمع كلامي ولا تجعل سوى الإنصاف من بالكا
سألتَ عن حالي ، وما حالُ مَن لم يَلقَ إلّا عابداً ناسكا
يُظهرُ لي ذا فتى يفترص[1] شيئاً تجدْه عادياً فاتكا

يعني حُرَيث بن عمرو . وكان حمّادٌ نزل عليه ، وكان حُرَيثٌ هذا مشهوراً بالزّندقة ، وكذلك حمّادٌ هذا كان مشهوراً بها ، فنزل عليه لذلك .

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهروية عن أبي طلحة الخُزاعيّ عن أبي يحيى اللّاحقيّ قال :

كتب أبو النضير الى عمي حَمدان بن أبان ، وكان له صديقاً ، يشكو اليه عمر بن يحيى الزّياديّ وكان عربدَ عليه وشتمه :

أقرِ حَمدانَ سلامَ اللّـه مِن فضلٍ وقُلْ لَهْ
يا فتًى لستُ بحمد اللّـه أخشى أن أمَلّه
ذاك أنّ الله قد أنهله الظَّرفَ وعلّه
وذُرا بيت رَقاشٍ[2] وعُلاها قد أحلّه
إنّ شتمَ السِّفلة الكشخان[3] ذي القرنين ضَلّه[4]

(١) افترص الشيء : انتهزه واصابه واغتنمه .

(٢) جدّ حمدان الاعلى كان مولى لبني رقاش ، ونسبه : حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق ابن عقر مولى بني رقاش .

(٣) الكشخان (بالفتح ويكسر) : الديوث الذي لا غيرة له على أهله .

(٤) أي ضلال .

ولوَ انّ القلبَ هاجى عُمـراً يوماً لَغَلّهْ[1]
ذاكَ أنّ الله قـد أخـزى ابن يحيى وأذلّـه
مَن يُهاجي رُجـلًا يَستوعِبُ الجردانَ[2] كُلّه
ما يسيلُ الأيرُ إلّا أدخـلَ الأيرَ وبَلّه
وإذا عـاينَ أيراً وافيَ الفَيشة[3] غَلّـه
هذه قصّـةُ مَن قد جعل المُردان شُغلَه

أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها :

حدثني عمي عن أبي العيناء عن أبي النضير قال :

دخلتُ على الفضل بن الربيع فقال : هل أحدثتَ بعدي شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوّجتُها وطلّقتها لغير علّةٍ إلّا بُغضي لها ، وإنها لبيضاء بَضّةٌ ، كأنّها سبيكة فضّةٍ . فقال لي : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ :

رحلتْ سُكَينةُ بالطّلاقِ فأرَحتُ[4] من غُلّ الوَثاقِ
رحلتْ فلم تألم لها نفسي ولم تَدمع مآقي
لو لم تبِنْ بطلاقها لأبنتُ نفسي بالإباق
وشِفـاء ما لا تَشتهيـه النّفس تعجيل الفراق

فقال : يا غلام ، الدواةَ والقِرطاس ، فأتيَ بهما ، فأمرني فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلت له : أنت والله تبغضُ بنتَ أبي العباس الطّوسيّ . فقال : اسكُتْ أخزاك الله ! ثم ما لبِث أن طلّقها .

(١) غلّه هنا : وضع الغل في عنقه أو يده ، على أنه يحتمل ان يكون «لفلّه» بالفاء بمعنى كسره أي غلبه وظهر عليه .

(٢) الجردان : قضيب ذوات الحافر او هو عام .

(٣) الفيشة : أعلى هامة الذكر . وغله هنا : أدخله .

(٤) أراح فلان : وجد راحة . ويجوز أن يكون « أرحت » مبنياً للمفعول .

صوت

ما بالُ عينِكَ جائلًا أقذاؤها   شَرِقتْ بعَبرتها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عشيرَتها وفرقةَ بَينِها   فطوتْ لذلك غلَّةً[1] أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عمرَ العَبليّ . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ، رملٌ مطلقٌ في مجرى الوُسطى عن ابن المكيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنسُبْه الى أحدٍ ، وقيل : إنه من منحول يحيى الى أبي سعيد .

---

(١) الغلة : العطش أو شدته ، والمراد هنا حرارة الحزن . وطوت هنا : أضمرت . والمعنى : فانطوت أحشاؤها لذلك على غلة من الحزن .

اخبار العبلى ونسبه

اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عَدِي بن وبيعةَ بن عبد العُزّى ابن عبد شمس بن عبد مَناف، ويُكنى أبا عديّ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قُريش، ومن مُخضرَمي الدولتين، وله أخبارٌ مع بني أمية وبني هاشم، تُذكرُ في غير هذا الموضع. ويقال له عبد الله بن عمر العبلي، وليس منهم؛ لان العَبَلات من ولَد أُميَّة الاصغر ابن عبد شمس. سُموا بذلك لان أُمهم عبلة بنتُ عُبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، وهؤلاء يقال لهم براجمُ بني تميم، ولدت لعبد شمس بن عبد مَناف أُميَّة الاصغر، وعبد أُمية ونوفلاً، وأمه من بني عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العَبلاتُ، ولهم جميعاً عَقِبٌ. أما أُميَّة الاصغر فإنهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أميـة، منهم علي بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثُّريا صاحبة ابن أبي ربيعة. وأما بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثيرٌ. وعبد العُزى بن عبد شمس كان يقال له أسدُ البطحاء. وإنما أدخلهم الناسُ في العَبلات لمّا صار الامرُ لبني أُميّـة الاكبر وسادوا وعظم شأْنهم في الجاهلية والاسلام وكثُر أشرافهم، فجعل سائر بني عبد شمس مَن لا يعلم قبيـلةً واحدةً، فسمّوهم أمية الصُّغرى، ثم قيل لهم العَبلات لشهرة الاسم.

وعلي بن عَدِيّ جدُّ هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. وله يقول شاعر بني ضَبَّة لعنةُ الله عليه.

يا ربِّ اكبُب بعليّ جَمَلَهْ ولا تُبارك في بعـيرٍ حَمَلَهْ

إلا عليَّ بن عَدِيٍّ ليس له

فأمّا عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أُميَّة يميل الى بني هاشمٍ

ويذم بني أميّة، ولم يكن منهم اليه صُنعٌ جميلٌ، فسلِم بذلك في أيام بني العبّاس، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن.

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيري قال:

العبلي عبدُ الله بن عمر بن عبد الله بن عليّ بن عَديّ بن ربيعة بن عبد العُزّى ابن عبد شمسٍ، ويُكنى أبا عَديٍّ، وله أخبار كثيرة مع بني هاشم وبني أميّة. وقسم هشام بن عبد الملك اموالًا وأجاز بجوائز، فلم يُعطه شيئاً. فقال:

خَسَّ حظِّي أن كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنت من بني مخزومِ
فأفوزَ الغداةَ منهم بسهمٍ وأبيعَ الابَ الشريفَ بلُومِ

فلما استُخلف المنصور كتب الى السَّري بن عبد الله أن يُوجّه به اليه ففعل. فلما قدم عليه قال له: أنشدني ما قلتَ في قومك، فاستعفاه. فقال: لا أعفيك. فقال: أعطني الامان فأعطاه، فأنشده:

ما بال عينك جائلًا أقذاؤها شَرِقت بعبرتِها فطال بُكاؤها

حتى انتهى الى قوله:

فبنو أُميّة خير مَن وطِئ الحصى شرَفاً وأفضل ساسةٍ أمراؤها

فقال له: اخرُج عني لا قرّب الله دارك! فخرج حتى قدِم المدينةَ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه.

أخبرني عمي عن الكرانيّ عن العمَريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

كان أبو عديٍّ الذي يقال له العبليّ مجفواً في أيام بني مروان وكان منقطعاً الى بني هاشم، فلما أفضتِ الدولة اليهم لم يُبقوا على احدٍ من بني أميّة، وكان الأمر في قتلهم جداً إلّا مَن هرَب وطار على وجهه. فخاف أبو عديٍّ أن يقع به

مكروه في تلك الفَوْرة فتوارى؛ وأخذ داود بن عليّ حُرَمه وماله، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح، فدخل عليه في غُمار الناس متنكراً وجلس حَجرة[١] حتى تقوّض القوم وتفرّقوا، وبقي أبو العباس مع خاصّته. فوثب اليه أبو عديّ فوقف بين يديه وقال:

ألا قُل للمنازل بالسِّتار[٢] ... سُقيت الغيث من دِمنٍ قِفار
فهل لك بعدنا عِلمٌ بسلمى ... وأترابٍ لها شبهِ الصِّوار[٣]
أوانسُ لا عوابسُ جافياتٌ ... عن الخُلق الجميل ولا عواري
وفيهنّ ابنة القُصويّ[٤] سلمى ... كهمّ النفس مُفعمةُ الإزار
تلوثُ خِمارَها بأَحمَّ جَعدٍ ... تضلُّ الفالياتُ به المَداري[٥]
برهرهةٌ مُنعّمةٌ نمتها ... أُبوّتها الى الحسب النُّضار[٦]
فدَع ذِكر الشباب وعهد سلمى ... فما لك منها غيرُ ادّكار
وأهدِ لهاشمٍ غُرَرَ القوافي ... تنخّلها[٧] بعلمٍ واختيار

---

(١) حجرة: ناحية.

(٢) الستار: اسم لعدّة مواضع.

(٣) الصوار (بالكسر ويضم): القطيع من البقر.

(٤) القصويّ: نسبة الى قصيّ.

(٥) تلوث: تلف. والاحم: الاسود. والجعد من الشعر: خلاف السبط وهو ما فيه التواء وتقبض. والفاليات: من فلا الرأس يفلوه ويفليه. والمداري: جمع مدرى. والمدرى والمدراة: شيء يعمل من حديد او خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد. وإضلال المداري في الشعر كناية عن كثرته.

(٦) البرهرهة: التارة التي تكاد ترعد من الرطوبة، او هي البيضاء، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة. والنضار هنا: الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه.

(٧) تنخلها: تخيرها.

لعمرُكَ إنَّني ولُزوم نَجدٍ ولا ألقى رِحباء[١] بني الخِيارِ
لكالبادي لأبرَدَ مُستهِلٍ بجوباء كبطن العَير عار[٢]
سأرحل رِحلةً فيها اعتزامٌ وجدٌّ في رَواحٍ وابتكار
الى أهل الرسول غدت برَحلي عُذافِرةٌ[٣] تَرامى بالصَّحاري
تؤمُّ المعشرَ الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار
أيا أهلَ الرسول وصيدَ[٤] فِهرٍ وخير الواقفين على الجمار
أتؤخذ نِسوتي ويُحازُ مالي وقد جاهرتُ لو أغنى جِهاري
واذعَرُ أن دعيتُ لعبد شمسٍ وقد أمسكتُ بالحرَم الصَّواري[٥]
بنُصرة هاشمٍ شهَّرتُ نفسي بداري للعِدا وبغير داري
بقرْبى هاشمٍ وبحقِّ صِهرٍ لأحمدَ لفَّه طيبُ النِّجار
ومنزلُ هاشمٍ من عبد شمسٍ مكان الجيد من عُليا الفَقار

فقال له السفّاح : مَن أنت ؟ فأنتسب له . فقال له : حقٌّ لعمري أعرفه قديماً ومَودَّةٌ لا أجحدها ، وكتب له الى داود بن عليّ بإطلاق مَن حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة تُبلِّغه المدينة .

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدثنا يحيى بن الحسن العلَويّ عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال :

---

(١) الحباء : العطاء .

(٢) البادي : الخارج الى البادية . والابرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : المعروف أنه يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير . والجوباء : النفس .

(٣) العذافرة من الابل : العظيمة الشديدة .

(٤) الصيد : جمع أصيد ، وهو هنا الذي يرفع رأسه كبراً : يريد سادات فهر وملوكها .

(٥) الصائرة : جمع صوائر (صواري) . العاطفة ؛ يقال صار فلان الشيء يصوره وأصاره اذا أماله .

قال سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ : إنّي لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبي عديّ الأمويّ الشاعر ، فقال : أعلِم أبا محمد . فخرج اليه عبد الله بن حسن وأبناه وقد ظهرت المسوّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وأبناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهند بنت أبي عبيدة أمهما بمائتي دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .

وأخبرني حرميّ عن الزبير ، وأخبرني الأخفش عن المبرّد عن المغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال :

جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبليّ الى سُوَيقة[1] وهو طريد بني العبّاس ، وذلك بعقِب أيام بني أميّة وابتداء خروج مُلكهم الى بني العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسوَيقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنشدني مما رثيت به قومك ، فأنشده :

تقول أمامةُ لمّا رأتْ ... نُشوزي عن المضجع الأنفَسِ
وقِلّة نومي على مضجعي ... لدى هَجعةِ الأعيُنِ النُّعَّس
أبي ما عراكَ ؟ فقلت الهمومُ ... عرَونَ أباكَ فلا تُبلِسي[2]
عرَون أباكِ فحبّسنَه ... من الذّلّ في شرّ ما مَحبِس
لِفَقد العشيرة إذ نالها ... سِهامٌ من الحَدَث المُبئس
رَمَتها المنونُ بلا نُصّلٍ[3] ... ولا طائشاتٍ ولا نُكّس[4]

(١) سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن طالب رضي الله عنه :

(٢) الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

(٣) النصل : جمع ناصل . والناصل من السهام هنا : الذي سقط نصله ؛ والناصل ايضاً : ذو النصل

(٤) الذي في كتب اللغة أنه يقال سهم نكس (بكسر أوّله وسكون ثانيه) وهو الذي ينكس او يكسر فوقه فيجعل اعلاه أسفله ، والجمع انكاس .

بأسهُمِها الخالساتِ النفوسَ متى ما اقتضت مُهجةً تخلِسِ
فصرّعاهمُ في نواحي البلا دِ تُلقى بأرضٍ ولم تُرمَسِ[١]
كريمٌ أُصيب وأثوابُه من العار والذّام لم تَدنَسِ
وآخَرُ قد طار خوفَ الرّدى وكان الهُمامَ فلم يُحسَسِ
فكم غادروا من بَواكي العيو نِ مَرضى ومن صِبية بُؤّسِ
إذا ما ذكرتَهمُ لم تَنَمْ لحرِّ الهموم ولم تجلِسِ
يُرجّعنَ مثل بُكاء الحما مِ في مأتمٍ قَلِقِ المجلسِ[٢]
فذاك الذي غالني فاعلمي ولا تسأليني فتستنحسي[٣]
وأشياءُ قد ضِفنَني بالبلاد ولست لهنّ بمستحلِسِ[٤]
أفاض المدامعَ قتلى كُدًى وقتلى بكُثْوةٍ لم تُرمَسِ
وقتلى بوَجٍّ وباللّابتيـ ـن من يَثرِبٍ خيرُ ما أنفُسِ
وبالزّابيين نفوسٌ ثوتْ وقتلى بنهر أبي فُطرُسِ
أولئك قومٌ تداعتْ بهم نوائب من زمنٍ مُتعِسِ
أذلّت قِيادي لمن رامني وألزقتِ الرّغمَ بالمعطَسِ[٥]
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ ولا عاش بعدهم مَن نَسي

قال : فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبدالله بن حسن . فقال له عمه الحسن بن حسن ابن عليّ عليهم السلامُ : أتبكي على بني أميّة وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد !

---

(١) لم ترمس : لم تدفن ؛ يقال : رمست الميت وأرمسته اذا دفنته .

(٢) قلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .

(٣) يقال : استنحس فلان الاخبار ونحسها وتنحسها اذا تندسها وتجسسها ، واستنحس عنها : طلبها وتتبعها بالاستخبار .

(٤) ضفنني : نزلن بي . والمستحلس للشيء : الملازم له .

(٥) الرغم : التراب . والمعطس (كمجلس ومقعد) : الانف .

فقال: والله يا عمّ لقد كنّا نقمنا على بني أُميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلا أقلُّ خوفاً لله منهم، وإن الحُجّة على بني العباس لأوجب منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر.

فوثب حسن وقال: أعوذ بالله من شرّك، وبعث الى أبي عَدي بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كلٌّ واحد من محمد وابراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثت اليه أمهما هندٌ بخمسين ديناراً، وكانت منفعته بها كثيرة. فقال أبو عَديّ في ذلك:

أقام ثوِيّ[1] بيت أبي عَديٍّ ... بخير منازل الجيران جارا
تقوّض بيتُه وجلا[2] طريداً ... فصادف خير دور الناس دارا
وإني إن نزلتُ بدار قومٍ ... ذكرتُهم ولم أذمُم جِوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلّا أعطيتموه خمسين ديناراً أخرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيوب المدينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال:

قدم أبو عَدِي العبليُّ الطائفَ والياً من قبل محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَينة وجُهينة وأسلمَ فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العُمري حتى بايع، وكان مع أبي عَدي أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر الصِديق، فقدمها بين أذان الصبح والاقامة، فأقام بها ثلاثاً، ثم بلغه

(١) الثوي: الضيف.

(٢) جلا عن بلده: خرج.

خروج الحسن[١] بن معاوية من مكة، فأستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زُهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج، فركب الحسن البحر، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه الى اليمن. فذلك حين يقول:

هُيِّجتَ للأجزاع حول عراب[٢] واعتاد قلبك عائد الاطرابِ
وذكرت عهد معالمٍ بلوى الثرى هيهات تلك معالم الاحباب
هيهات تلك معالمٌ من ذاهبٍ أمسى بحوضى أو بحقل قباب[٣]
قد حلَّ بين أبارقٍ[٤] ما إنْ له فيها من آخوانٍ ولا أصحاب
شطَّت نواه عن الاليف وساقه لقُرى يمانية حمامُ كتاب[٥]
يا أختَ آل أبي عديّ أقصري وذري الخضاب فما أوان خضاب
أتخضِّبين وقد تخرّم غالباً[٦] دهرٌ أضرّ بها حديدُ الناب
والحربُ تعركُ غالباً بجرانها[٧] وتعضُّ وهي حديدةُ الانياب
أم كيف نفسك تستلِذُّ معيشةً او تنقعين لها ألذّ شراب

وذكر العبّاس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن

---

(١) ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور.

(٢) عراب: اسم لجبل بناحية الشام.

(٣) حوضى وحقل قباب: موضعان.

(٤) الابارق: جمع أبرق، وهو غلظ فيه حجارة وطين ورمل مختلطة.

(٥) شطت: بعدت. والنوى هنا: الوجه الذي تقصده او القصد لبلد غير البلد الذي أنت فيه مقيم. وحمام كتاب: قدره وقضاؤه.

(٦) ظاهر أنه يريد قبيلة.

(٧) عركتهم الحرب: دارت عليهم. والجران من البعير: مقدم عنقه من مذبحه الى منحره، وقد استعاره الشاعر هنا للحرب.

عقبة الجهني قال: حضرتُ عبد الله بن عمر المكني أبا عدي الأموي يُنشد عبد الله بن حسن قولَه:

أفاض المدامعَ قتلى كُدًى وقتلى بكُثوة لم تُرْمَسِ

قال: فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خدِّه.

وقد أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن أبي سعيد مولى فائد قال:

لمّا أتانا قتلُ عبد الله بن عليّ مَن قتل من بني أميّة كنت أنا وفتى من ولد عثمان وأبو عديّ العبليُّ متوارين في موضع واحد، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته، ولحق صاحبيّ كما لحقني، فبكينا طويلاً، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كل واحد منّا بعضها غير مُحصِّلٍ ما لكل واحدٍ منا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتُها من فيه:

تقول أمامةُ لمّا رأت نُشوزي عن المضجع الانفس

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال:

كان أبو عديّ الاموي الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أميّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه وسبّه على المنابر، ويُظهر الانكار لذلك، فشهد عليه قومٌ من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه، فانتقل الى المدينة وقال في ذلك:

شرّدوا بي عند امتداحي علياً ورأو ذاك فيَّ داءً دوياً
فوربي لا أبرحُ الدهرَ حتى تُختَلى[1] مهجتي بحبي علياً

(١) تختلى: تقطع. وأصل الاختلاء قطع الخلى وهو الرطب من الحشيش؛ يقال: خلى الخلى واختلاه اذا قطعه. يريد الشاعر أنه يموت وهو على حبهم.

وبنيه لحبِّ أحمـــد إني كنت أحببتهم بحبي النَّبيا
حُبَّ دينٍ لا حُبَّ دنيا وشرُّ الــحبِّ حبٌّ يكون دُنياويا
صاغني الله في الذُّؤابة منهم لا زنيماً[1] ولا سنيـداً دعيا
عدويا خالي صريحاً وجدي عبـدُ شمس وهاشمٌ أبويا
فسواءٌ علـيَّ لستُ أبالي عبشمياً دُعيتُ أم هاشميـا

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمري عن العتبي عن أبيه قال :
وفدَ أبو عديٍّ الاموي الى هشام بن عبد الملك وقد أمتدحه بقصيدته الـتي يقول فيها :

عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا لا نُناديك من مكان بعيدِ
والقراباتُ بيننـا واشجاتٌ مُحكمات القوى بحبلٍ شديـد

فأنشده إياها ، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابه وفود قُريش فدخـل فيهم ، وأمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله ، وأعطى أبا عدي عطيّـةً لم يرضها ، فأنصرف وقال :

خسَّ حظّي أن كنتُ من عبد شمسٍ ليتـني كنتُ من مخزومِ
فأفوز الغداةَ فيهم بسهمٍ وأبيعَ الأبَ الكريم بلوم

غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللذين أولهما :

عبدُ شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع ، ولحنُه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن اسحاق . وأول هذه القصيدة التي قالها في هشام :

---

(١) الزنيم : الدعي الملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

ليلتي من كنودَ بالغور عُودي ... بصفاء الهوى بمن أمّ أسيدِ
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا ... عهده فارجعي به ثم زيدي
قد تولّى عصر الشباب فقيداً ... رُبّ جارٍ يَبين غير فقيد
خلِق الثّوب من شبابٍ ولبسٍ[١] ... وجديدُ الشباب غير جديد
فأسر عنك الهموم حين تداعت[٢] ... بعلاةٍ مثل الفنيق[٣] وَخُود
عنتريسٍ[٤] تُوفي الزّمام بفعمٍ ... مثل جزع الاشاءة[٥] المجرود
وأرم جَوزَ[٦] الفلا بها ثم سُمْها ... عَجرفيّةَ النّجاء بالتوخيد
وهِشاماً خليفــة الله فأعمِدْ ... وأصِر مَن مِرّة[٧] القويّ الجليدِ
تَلقَهُ مُحكمَ القوى أريحيّاً[٨] ... ذا قِوًى عاجلٍ وسَيبٍ عتيد
مَلِكاً يَشمَلُ الرعيَّةَ منه ... بأيادٍ ليست بذات خمود

---

(١) اللبس (بالكسر) : ما يلبس .

(٢) اسر عنك الهموم : ألقها عنك . يقال : سروت الثوب وغيره عني سرواً ، وسريته ، وسريته تسرية اذا ألقيته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت .

(٣) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب. شبه ناقته بالفحل في الضخامة والقوة . والعلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثيرة الوخد وهو السرعـــة في السير ، وأن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام .

(٤) العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة .

(٥) الاشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .

(٦) جوز كل شيء : وسطه . والفلا : واحدته فلاة ، وهي القفر أو المفازة لا ماء فيهـــا أو الصحراء الواسعة . وسامه الشيء كلفه إياه . والنجاء : السرعة . والعجرفة والعجرفية في السير : السرعة . يريد : كلفها سيراً سريعاً لا تقصد فيه لنشاطها . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد وهو ضرب من السير سريع .

(٧) المرة : قوة الخلق وشدّته .

(٨) الأريحيّ : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والسيب : العطاء . والعتيد : الحاضر المهيأ.

أخضرُ الرَّبع والجنابُ خصيبٌ أفيحُ[١] المُستَرادِ للمستريدِ
ذكرتْ ناقتي البِطاحَ فحنَّتْ حين أن ورَّكتْ[٢] قبورَ ثمود
قلت بعضَ الحنين يا ناق سيري نحوَ برقٍ دعا لغيثٍ عميد
فأغذَّتْ في السَّيرِ[٣] حتى أتتكم وهي قوداء في سَواهِمَ قُود
قد براها السُّرى إليك وسيري تحت حرِّ الظَّهيرة الصَّيخود[٤]
وطوى طائد العَرائكِ[٥] منها غَولُ بيدٍ تجتابُها بعدَ بيد
وأتتكم حُدبَ الظهور وكانت مُسنِماتٍ بمرِّهـا بالكديد[٦]
واطمأنَّتْ[٧] أرض الرَّصافة بالخِصـب ولم تُلقِ رَحلَها بالصَّعيد

---

(١) أفيح المستراد للمستريد : واسع المطلب للطالب . واخضرار الربع وخصب الجناب وفيح المستراد يراد به الكرم واتساع الجود .

(٢) يقال : ورك الجبل (بتشديد الراء) اذا جاوزه مثل واركه . وفي سائر الاصول : «وردت» . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام ، وقريتهم كانت تسمى الحجر . وديار ثمود تقع في طريق الشاعر في رحيله من الحجاز الى الشام .

(٣) أغذت في السير : سرعت . والقوداء من الابل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة من السير .

(٤) الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .

(٥) الطائد : الثابت . وهو غير واضح ، وكذلك صائد العرائك . والعرائك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغول البيد (بفتح الغين) : بعدها . والبيد : جمع بيداء وهي الفلاة . وتجتابها : تقطعها .

(٦) الحدب : جمع حدباء وهي من الدواب : التي بدت حراقفها من الهزال . والحرقفة : عظم الحجبة اي رأس الورك . والمسنمات : التي أعظم الكلأ أسنمتها . يقال : سنم البعير يسنم سنماً (وزن فرح) فهو سنم ، وسنمه الكلأ (بتشديد النون) وأسنمه . وبمرها هنا : ظرف . يريد أن الابل وصلت الى القوم مهزولة وقد كانت سمينة حين مرت بالكديد . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

(٧) يريد : نزلت أرض الرصافة مطمئنة بالخصب . فضمن «اطمأن» معنى «نزل» فعداه الى المفعول .

نزلتْ بأمرئٍ يرى الحمدَ غُنْماً باذلٍ مُبلغٍ مُفيدٍ مُعيدِ
بذل العدل في القِصاصِ فأضحى لا يخاف الضعيف ظُلمَ الشديد
من بني النّضر من ذُرا مَنبتِ النّضـــر بأورى زَند وأكرمِ عود
فهو كالقلب في الجوانح منها واسطٌ بِسرِّ جِذمِها[1] والعديد
بينَ مَروانَ والوليد فبَخٍ بَخْ للكريم المجد غير الزَّهيد
لو جرى الناسُ نحوَ غاية مجدٍ لرِهانٍ في المحفـل المشهود
لَعـلاهُمْ بسابغَين[2] من المجـــد على الناس طارفٍ وتليد
إنّكم مَعشرٌ أبي اللهُ إلّا أن تفوزوا بـــدرِها المحشود
لم يرَ اللهُ مَعشراً من بني[3] مَر وان أولى بالمُلك والتسويد
قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بحارٌ وبَهاليلُ للقروم الصِيـــد[4]
أريَحيّونَ[5] ماجـــدون خِضَمّو نَ حُماةٌ عند اربداد الجلود
يقطعون النهار بالرأي والحز مِ ويُحيون ليلَهم بالسُّجود
أهلُ رِفدٍ وسؤدُدٍ وحياء ووفاء بالوعد والوعود
ويرون الجوار من حُرَمِ اللّــــهِ فما الجارُ فيهمُ بوحيـــد
لو بمجدٍ نالَ الخلودَ قبيلٌ آل مروانَ فُزتمُ بالخلود

---

(١) يقال: وسط فلان قومه وحسبه، ووسط في قومه وحسبه، اذا حل في المكان الاكرم منهم . والجذم (بالكسر ويفتح) : الأصل . وسر الجذم: صريحه وخالصه .

(٢) صوابه بسامقين . السامق : العالي الطويل .

(٣) أي لم يرَ الله معشراً أولى من بني مروان بالملك والتسويد .

(٤) البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قرم (بالفتح) وهو هنا السيد العظيم . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالا . يصفهم بأنهم سادة منسوبون لسادة عظام .

(٥) الأريحي : الواسع الخلق المنبسط الى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء ، وهذا الوصف خاص بالرجال . واربداد الجلود تغير لونها من الغضب والشدة . والربدة : لون الى الغبرة .

يا بنَ خيرِ الاخيار من عبد شمسٍ   يا إمام الورى ورب الجنودِ
عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا   لا نناديك من مكانٍ بعيد
ثم جدِّي الادنى وعمُّك شيخي   وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقراباتُ بيننـا واشجاتٌ   محكماتُ القوى بحبلٍ شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلي   تلقني للثواب غـير جحود
إن ذا الجدِ من حبوتَ بودٍّ   ليس من لا تودّ بالمجدود
وبحسبِ امرئٍ من الخير يرجى   كونه عند ظلِّك الممدود

قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية :

وأما قصيدته التي أوّلها :

ما بالُ عينك جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندب بينهم[1] ، وفيها يقول :

واعتادها ذِكرُ العشيرة بالاسى   فصباحُها نابٍ بها ومساؤها
شركوا العدا في امرهم فتفاقمت[2]   منها الفتون وفرّقت أهواؤها
ظلّتْ هناك وما يعاتبُ بعضها   بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
إلا بمرهفةِ الظُّبات[3] كأنها   شُهُبٌ تقلُّ اذاهوت أخطاؤها

(١) أي يندب فرقتهم .

(٢) تفاقمت : عظمت واشتدت .

(٣) مرهفة الظبات : السيوف .

وبعُسَّل[١] زُرق يكون خضابُها علقَ النُّحور اذا تفيضُ دماؤها
فبذاكمُ أمست تَعاتبُ بينها فلقد خشيتُ بأن يُجمّ فناؤها
ما ذا أؤمِّلُ إن أمية ودّعت وبقاء سكان البلاد بقاؤهـا
أهلُ الرِّياسة والسياسة والنَّدى وأُسودُ حربٍ لا يخيم لقاؤها[٢]
غيثُ البلاد هُمُ وهُم أمراؤها سُرُجٌ يضيء دُجى الظلام ضياؤها
فلئن أميَّة ودّعت وتتايعت[٣] لغواية حميت لها خُلفاؤها
ليُودِّعن من البريّة عزُّها ومن البلاد جمالها ورجاؤهـا
ومن البَلية أنْ بقيتَ خلافَهم فرداً تَهيجُك دورُهم وخلاؤها
لهفي على حرب العشيرة بينها هَلّا نَهى جُهّالَها حلماؤها
هلّا نُهــى تنهى الغوي عن التي يُخشى على سُلطانها غوغاؤها
وتُقًى واحلامٌ لها مُضَريّةٌ فيها اذا تدمى الكلومُ دواؤها
لمّا رأيت الحربَ توقدُ بينها ويشبُّ نار وقودها اذكاؤها[٤]
نوّهتُ بالملِك المُهيمن دعوةً ورواحُ[٥] نفسي في البلاء دُعاؤها
ليرُدّ ألفتَها ويجمع أمرها بخيارها لخيارها رُحماؤها
فأجاب ربي في أميةَ دعوتي وحمى أمية أن يُهدّ بناؤها

(١) العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازه . والزرقة في النصال : شدة صفائها . وصف الشاعر الرماح بالزرقة وهي وصف نصالها .

(٢) خام : نكص وجبن وضعف . يريد أنهم أسود حرب لا تجبن عند اللقاء .

(٣) في الاصول : «تتابعت» بالباء الموحدة . والتتايع : التهافت والاسراع الى الشيء . ولا يكون التتايع إلا في الشر .

(٤) في الاصول الخطية . وإذكاء النار وتذكيتها : إيقادها .

(٥) الرواح هنا ــ ومثله الراحة والراح ــ : الارتياح والاستراحة ، وهو وجــدانك روحاً وخفة بعد مشقة .

وَحبَا أمية بالخلافة إنهم نورُ البلاد وزَينُها وبهاؤها
فبنو أمية خيرُ مَن وطئ الثرى شرفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

وهي قصيدة طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .

* * *

صوت

مهلاً ذَريني فإني غالَني خُلقي وقد أرى في بلاد الله مُتَّسعا
ما عضَّني الدهرُ إلا زادني كرماً ولا استكنتُ له إن خان او خدعا

الشعر لابي جِلدةَ اليشكُري من قصيدة يمدح بها مِسمع بن مالك بن مِسمع ، والغناء لعَلُّويه رملٌ بالوسطى عن عمرو .

اخبار أبي جلدة ونسبه

أبو جلدة بن عبيد بن مُنقذ بن حُجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حُبيّب بن عَديٍ بن جُشَم بن غنم بن حُبيّب بن كعب بن يَشكُر بن بكر بن وائل، شاعرٌ اسلاميٌّ، من شُعراء الدّولة الأُموية، ومن ساكني الكوفة. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج.

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمد بن العبّاس اليزيديّ وقرأته عليه قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني محمدُ بن حبيب، وأخبرني به علي بن سُليمان الاخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكري عن ابن الاعرابي قال:

كان أبو جلدة اليشكُري من أخص الناس بالحجاج، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شدّاد بن الهادي الليثي الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الاشعث، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجّاج. فلما أُتي الحجّاج برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلاً ثم قال: كم مِن سرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيتُ به مقطوعاً. فلما كان يومُ الزّاوية[1] خرج أبو جلدة بين الصّفين، ثم اقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

(١) موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك في سنة ثلاث وثمانين للهجرة.

فقل للحواريات[1] يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلابُ النوابحُ
بكينَ الينا خشيةً أن تُبيحها ... رماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارح
بكينَ لكيا يمنعوهنَّ منهمُ ... وتأبى قلوبٌ أضمرتْها الجوانح
ونادينَنا : أين الفرارُ وكنتمُ ... تغارون أن تبدو البُرى[2] والوشائح
أأسلمتمونا للعدوّ على القنا ... اذا انتُزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا عزبٌ عزّت عليه المناكح

قال : فلمّا أنشدهم هـذه الابيات أنفوا وثاروا فشدوا شدةً تضعضع لهم عسكرُ الحجّاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرة له ، فجعل يقتل الناسَ بقيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لمَا أحسنت في العفو ، ولقد خالفتَ الله فينا وما أطعته . فقال له : وكيف ويلك ؟ قـال : لان الله تعالى يقول ﴿ فإذا لقيتُم الذين كفرُوا فضربَ الرّقابِ حتى اذا أثخنتموهُم[3] فشُدُّوا الوثاقَ فإمّا منّاً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حـتى تجاوزت الحدّ ، فأسرْ ولا تقتُل ، ثم قال : أو آمُنْ . فقال : أولى لك[4] ! ألا كان هذا الكلام منك قبل هـذا الوقت ! ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً . قال ابن حبيب قـال ابن الاعرابي : فبلغني أن الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرّض علي أحدٌ كما حرّض أبو جلدة ؛ فإنه نزل عـلى سرحةٍ[5] في وسط عسكر لأبن الاشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس

---

(١) الحواريات نساء الأمصار ، سمين بذلك لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن . الواحدة حوارية .

(٢) البرى هنا : الخلاخيل ، واحدها برة . والوشائح : جمع لوشاح (بضم أوله وكسره) . وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . ويجمع الوشاح أيضاً عـلى وشح (بضمتين) وأوشحة .

(٣) أثخنتموهم : غلبتموهم وكثرت فيهم الجراح .

(٤) أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .

(٥) السرحة : الشجرة العظيمة .

ينظرون اليه . فقالوا له : ما لَكَ ويلك أُجننتَ ! ما هذا الفعل ! قال : كلُّكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرتُه . فشتموه وحملوا عليّ ، فما أنساهم وهو يقدُمهم ويرتجز :

نحن جلبنا الخيل من زرَنجا[1] ما لَكَ يا حجّاج منّا منجى
لتُبعَجنّ[2] بالسيوف بعجا أو لتفِرّنّ فذاك أحجى[3]

فوالله لقد كاد أهل الشأم يومئذٍ يتضعضعون لولا أن الله تعالى أيّد بنصره .

قال وقال أبو جلدةَ يومئذٍ :

أيا لهفي ويا حُزني جميعاً ويا غمّ الفؤاد لِما لقينا
تركنا الدّين والدنيا جميعاً وخلّينا الحلائل والبنينا
فما كنّا أناساً أهل دينٍ فنصبرَ للبلاء اذا بُلينا
ولا كنّا أناساً أهلَ دُنيا فنمنعها وإن لم نرجُ دينا
تركنا دُورنا لطغامِ عَكٍّ[4] وأنباطِ[5] القُرى والأشعرينا[6]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدة مع القعقاع بن سُويد المِنقَري بسجستانَ ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه :

(١) زرنج : قصبة سجستان .

(٢) البعج : الشق .

(٣) أحجى : أجدر وأخلق .

(٤) عك : قبيلة . وطغامها : أوغادها .

(٥) الأنباط – ومثله النبط والنبيط – : جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين .

(٦) الأشعرون : جمع أشعري (نسبة الى الاشعر وهو أبو قبيلة باليمن) .

ستعلم أن رأيك رأيُ سوء ... اذا ظِلُّ الامارة عنك زالا
وراح بنو أبيك ولستَ فيهم ... بذي ذكرٍ يزيدهم جمالا
هناك تذكَّرُ الاسلافَ منهم ... اذا الليلُ القصيرُ عليك طالا

فقال له القعقاع : ومتى يطول عليَّ الليل القصير ؟ قال : اذا نظرتَ الى السماء مُربَّعة . فلما عُزل وحبس أخرج رأسه ليلةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تربيع السجن ، فقال : هذا والله الذي حذرنيه أبو جلدة .

قال : وولي مِسمع بن مالك سجستان ، وكان مُكث أبي جلدة بها ، فخرج فتلقاه ومدحه بقصيدته التي أوّلها :

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انقطعا ... وليت وصلاً لها من حبلها رجعا
شطَّت بها غُربة زوراء[١] نازحةٌ ... فطارت النَّفسُ من وَجدٍ بها قِطعا
ما قرّت العين اذا زالت[٢] فينفعها ... طعمُ الرُّقاد اذا ما هاجعٌ هجعا
منعتُ نفسي من روحٍ تعيش به ... وقد اكونُ صحيحَ الصدر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتي ... وقبل لومك ما أغنيت من منعا
مهلاً ذَريني فإني غالني[٣] خُلقي ... وقد أرى في بلاد الله مُتَّسعا
فخري تليدٌ وما أنفقتُ أخلفه ... سيبُ الإله وخيرُ المال ما نفعا
ما عضني الدهرُ إلا زادني كرماً ... ولا استكنتُ له إن خان او خدعا
ولا تَلينُ على العلّات[٤] مَعجمتي[٥] ... في النائبات اذا ما مسني[٦] طبعا

---

(١) شطت : بعدت . وغربة زوراء : بعيدة . ونازحة : بعيدة .

(٢) زالت : فارقت .

(٣) غالني هنا : حبسني ؛ يقال : ما غالك عنا ؟ أي ما حبسك عنا .

(٤) على العلات أي على أي حال من يسر أو عسر ، وشدة او رخاء .

(٥) المعجمة : القوة والصلابة ؛ يقال : فلان صلب المعجم والمعجمة اذا كان عزيز النفس اذا جرسته وجدته عزيزاً صلباً .

(٦) يريد : « اذا ما مستني » ، والطبع : هنا الضعف والخور . وأصله الوسخ والدنس يغشيان السيف ، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح .

ولا تُليّن من عودي غمائزهُ[1] اذا المُغمّز منها لان أو خضعا
ولا أُخاتلُ ربّ البيتِ غفلتَه ولا أقول لشيء فات ما صنعا
إني لامدح أقواماً ذوي حسبٍ لم يجعل الله في اقوالهم قذعا[2]
الطيّبين على العِلّات معجمةً لو يُعصر المسكُ من أطرافهم نبعا
بني شهابٍ بها أعني وإنهمُ لأكرمُ الناس أخلاقاً ومُصطنعا

قال : فوصله مِسمع بن مالك وحمّله وكساه وولّاه تاشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم تُوفي مِسمع بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلدة يرثيه :

أقولُ للنفس تأساءً وتعزيةً قد كان من مِسمعٍ في مالكٍ خلفُ
يا مِسمع الخير من ندعو اذا نزلتْ إحدى النّوائب بالاقوام واختلفوا
يا مِسمعاً لعراقٍ لا زعيم لها بمن نُرى يُؤمن المُستشرفُ النّطف[3]
تلك العيون بجيث المصر سادمة تبكيك اذ غالك الاكفان والجُرُف
قد وسّدوك يميناً غير موسدة وبذل جود لما أودى بك التلف
كنتَ الشِهابَ الذي يُرمى العدوّ به والبحرَ منه سِجالُ الجود تغترف

قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي قال :

كان أبو جِلدة يُنادم شقيقَ بن سَليط بن بُديل السَّدوسي أخا بسطامِ بن سليط ، وكان لهما أخٌ يقال له ثعلبة بن سَليط ، وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً ، وكان يُطفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلدةَ :

أُحِبُّ على لَذاذتنا شقيقاً وأبغضُ مثل ثعلبةَ الثّقيلُ

---

(١) ظاهر أن الغمائز هنا جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر والتليين . وإنما الغميزة العيب .

(٢) القذع (بالتحريك) : الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره .

(٣) المستشرف : الظالم . يقال : استشرفه حقه اذا ظلمه . والنطف : المريب .

له غمٌ على الجلساء مُؤذٍ نوافله اذا شربوا قليلُ

فرّق مِسمع مالا في عشيرته وجفا سائر بكر فقال هو شعراً فأكرمه وأرضاه :

قال ابن حبيبَ عن ابن الاعرابيّ :

وفرّق مِسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعلبة عطايا كثيرة وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن بن وائلٍ . فقال أبو جِلدة :

اذا نلتَ مالًا قلتَ قيسٌ عشيرتي تجور علينا عامداً في قضائكا
وإن كانتِ الأخرى فبكرُ بن وائلٍ بزَعمك يُخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا تمشي الضّراء[1] اليكمُ بني مِسمعٍ إنّا هناك أولئكا
عسى دولة[2] الذُهلين يوماً ويشكرٍ تكُرّ علينا سَبغة[3] من عطائكا

قال : فبعث اليه مسمعٌ فترضّاه ووصله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذمين ، جذمٍ يقال له الذُهلان ، وجذمٍ يقال له اللّهازم . فالذُهلان : بنو شيبان بن ثعلبة بن يَشكُر بن وائل ، وبنو ضُبيعة بن ربيعةَ . واللّهازم : قيس ابن ثعلبة ، وتيمُ اللّاتِ بن ثعلبة ، وعجلُ بن لُجيم ، وعنزةُ بن أسدِ بن ربيعة قال الفرزدق :

وأرضى بحكم الحيّ بكر بن وائلٍ اذا كان في الذُهلين أو في اللّهازم

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكابةَ مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة

---

(١) الضراء : الشجر الملتف ، ويراد به أيضاً الاستخفاء والمكر والخديعة .

(٢) الدولة (بالفتح) العقبة في الحرب .

(٣) السبغة في العيش : السعة فيه .

وأما حَنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانْقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مُضَر، وكانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم. فلما جاء الاسلامُ ونزل الناس مع بني حَنيفة ومع بني عِجل بن لُجيم فتلهزَموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جُديٍ بن مالك بن صعبِ بن عليّ، فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحَنفي السُّحيميُّ بعد ذلك في الاسلام:

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدةٍ … سُوًى بين قيسٍ قيسِ عيلان والفِزرِ
فلما نأتْ عنا العشيرةُ كلُّها … أقمنا وحالفنا السيوفَ على الدهر
فما أسلمتنا بعدُ في يومِ وقعةٍ … ولا نحن أغمدنا السيوفَ على وِتْرِ

كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه:

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

كان لأبي جِلدة بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سعد، وكان يشرب الخمر ويُعربد على أبي جِلدة، فقال يهجوه:

قُل لذوي سيفٍ وسيفِ أَلستُمُ … أقلَّ بني سعدٍ حصاداً ومزرعا
كأنكم جِعلانُ دارِ مُقامةٍ … على عذِرات[1] الحيّ أصبحن وُقّعا
لقد نال سيفٌ في سِجستان نُهزةً … تطاول منها فوق ما كان إصبعا
أصابَ الزِّنا والخمر حتى لقد نَمت … له سُرّةٌ تُسقى الشرابَ المُشعشعا[2]
فلولا هوانُ الخمر ما ذُقتَ طعمها … ولا سُقتَ إبريقاً بكفِّك مُترعا

---

(١) العذرة (بفتح فكسر): الغائط.

(٢) الشراب المشعشع: الممزوج بالماء.

كما لم يَذُقها أن تكون عزيزةً أبوك ولم يُعرَض عليها فيطمعا
وكان مكان الكلب أو من ورائه اذا ما الْمُغنّي لِلّذاذة أسمعا

قال ابن حبيب: وكان أبو جِلدة قد استعمله القعقاع بن سُويد حين تولّى سِجستان على بُستَ[١] والرُّخج، فأرجف الناسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جِلدة معهم، وكتب القعقاع اليه يتهدده؛ فكتب اليه أبو جِلدة:

يُهدّدني القعقاعُ في غير كُنهِهِ فقلتُ له بكرٌ اذا رُمتني تُرسي
كأنا وإياكم اذا الحرب بيننا أسودٌ عليها الزّعفرانُ مع الورْسِ[٢]
تُرى كمصابيح الدّياجي وُجوهنا اذا ما لُقينا والهرقليّةِ[٣] المُلْس
هناك السُّعودُ السانحاتُ جرتْ لنا وتجري لكم طيرُ البوارحِ بالنّحس
وما أنت يا قعقاعُ إلا كمن مضى كأنك يوماً قد نُقلتَ الى الرَّمس
أظنّ بغالَ البُرد تسري إليكم به غطفانياً وإلا فمن عبس
وإلا فبالبسّال يا لك إن سرَتْ به غير مغموز القناة ولا نكس[٤]
فعُمّالُنا أوفى وخيرٌ بقيةً وعُمّالكم أهلُ الخيانة واللّبس
وما لبني عمرٍو عليّ هوادةٌ ولا للرّبابِ غيرُ تعسٍ من التّعس

قال: فلمّا انتهت هذه القصيدة الى القعقاع وجّه برسولٍ الى أبي جِلدةَ، وقال: انظر، فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزِله، وإن كان كتبه بالليل فأقرره

---

(١) بست (بالضم): مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحي كابل. والرخج: كورة ومدينة من نواحي كابل.

(٢) الزعفران: صبغ أصفر. والورس: نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب.

(٣) دياجي الليل: حنادسه (ظلماته) كأنه جمع ديجاة. والهرقلية: الدنانير، نسبه الى هرقل ملك الروم.

(٤) غمز القناة: عصرها وتليينها. وإباء القناة أن تلين للغامز يراد به القوة وعدم الانقياد. والنكس: الضعيف.

على عمله ولا تعزله ولا تضربه . وكان أبو جلدة صاحب شرابٍ ، فقال للرسول : والله ما كتبته إلّا بالعشيّ . فسأله البيّنة على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهدوا له بما قال ، فأقرّه على عمله وانصرف عنه .

قال ابن حبيب : ومرّ أبو جلدة بقصرٍ من قصور بُستَ ينزله رجلٌ من الدّهاقين ، فرأى ابنته تُشرِف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول :

إنّ في القصر ذي الجبا بَدرَ تمٍّ حسنَ الدلِّ للفؤاد مصيبا
وَلِعاً بالخلوق[1] يأرَجُ منه ريحُ رَندٍ اذا استقلّ منيبا[2]
يلبس الخزّ والمطارِفَ والقزّ وعَصباً من اليماني قشيبا
ورأيت الحبيب يُبرز كفّاً ما رآه المحبُّ إلّا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدّهقان ، فأهدى له وبرّه وسأله ألّا يذكر ابنته في شعر بعد ذلك .

قال ابن حبيب : ولحق أبا جلدة ضيمٌ من بعض الولاة ، فهتف بقومه فلم يقدِروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان ، فهتف بأعلى صوته : يا مسمع بن مالك ، يا أمير بن أحمرَ ، ثم أنشأ يقول :

ولمّا أن رأيتُ سَراةَ قومي سُكوتاً لا يثوب لهم زعيمُ
هتفتُ بمسمعٍ وصدى[3] أميرٍ وقبرِ معمّرٍ تلك القروم

---

(١) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان أعظم أجزائه من الزعفران . يأرج : يفيح وينتشر . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

(٢) استقل هنا : نهض . ومنيبا : راجعاً .

(٣) الصدى هنا : جسد الانسان بعد موته .

قال : فأبكى جميع من حضر ، وقاموا جميعاً الى الوالي فسألوه في أمره حتى كفّ عنه . قال : وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشكُر ، وكان سيّداً جواداً ، وفيه يقول زيادٌ الأعجم :

لولا أميرٌ هلكتْ يشكُرُ ويشكرُ هلكى على كلّ حالْ

قال ابن الأعرابيّ : كان أمير بن أحمر والياً على خُراسان في أيام معاوية .

ومعمّرٌ الذي عناه أبو جلدة معمّر بن شميرِ بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صُرَيم ، وكان أميرَ سجستان ، وكان سيّداً شريفاً .

وقال : خطب أبو جلدة امرأةً من بني عِجل يقال لها خليعة بنت صَعبٍ ، فأبت أن تتزوّجه وقالت : أنت صُعلوكٌ فقيرٌ لا تحفظ مالك ولا تُلفي شيئاً إلّا أنفقته في الخمر ، وتزوّجت غيره . فقال أبو جلدة في ذلك :

صوت

لمّا خطبتُ الى خليعةَ نفسها قالت خليعة ما أرى لك مالَا
أودى بمالي يا خليعُ تَكرُّمي وتخرُّقي وتحمُّلي الأثقالا
إنّي وجدِّكِ لو شهدتِ مَواقفي بالسَّفح[1] يوم أجلِّلُ الأبطالا
سيفي ، لسرَّك أن تكوني خادماً عندي اذا كره الكماة نزالا

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى .

(١) سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء . ولعل السفح هنا موضع بعينه .

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا :

قال أبو سعيد السُّكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي :

إن أبا جِلدة كان في قرية من قرى بُست يقال له الخيزُران ومعهم عمرو بن صُوحان أخو صعصعة في جماعة يتحدثون ويشربون ، اذ قام أبو جِلدة ليبول فضرط، وكان عظيم البطن ، فتضاحك القومُ منه ، فسلّ سيفه وقال : لأَضربنّ من لا يضرط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي ، أمِني تضحكون لا أمَّ لكم ! فما زال حتى ضرطوا جميعاً غير عمرو بن صُوحان . فقال له : قد علمت أن عبد القيس لا تضرط ولك بدلَها عشرُ فسواتٍ. قال: لا والله أو تُفصح بها ! فجعل عمرو يجثي[1] وينحني فلا يقدر عليها ، فتركه . وقال أبو جلدة في ذلك :

أمن ضرطةٍ بالخيزُران ضرطتُها تَشدّد مني دارةً[2] وتلينُ
فما هو إلا السيفُ أو ضرطةٌ لها يثور دُخانٌ ساطعٌ وطنين

قال : ولعمرو بن صوحان يقول أبو جِلدة اليشكري وطالت صُحبته إياه فلم يظفر منه بشيء :

صاحبتُ عمراً زماناً ثم قلتُ له إلحقْ بقومك يا عمرو بن صُوحانا
فإن صبرتَ فإن الصبر مَكرُمةٌ وإن جَزعتَ فقد كان الذي كانا

قال ابن سعيد وحدثني أبو صالح قال :

بلغ أبا جلدة أن زياداً الاعجم هجا بني يَشكُر ، فقال فيه :

---

(١) جثا : جلس على ركبتيه ، وهو كدعا ورمي .

(٢) لعلها «تارة» أي تتشدد تارة وتلين أخرى .

لا تَهجُ يشكر يا زياد ولا تكن غَرَضاً وأنت عن الاذى في معزلِ
وأعلمْ بأنهم اذا ما حُصِلوا خيرٌ وأكرمُ من أبيك الاعزل
لولا زعيمُ بني المُعلّى لم نبت حتى نُصبّحكم بجيشٍ جحفل
تمشي الضَراء رجالهم وكأنهم أسدُ العرين بكل عضبٍ مُنصُل [١]
فاحذر زيادُ ولا تكن ذا تُدرَإٍ [٢] عنـد الرجال ونُهزةً [٣] للخُتّل

وقال ابن حبيب: كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لابي جَلدة، وكان فارساً شجاعاً، وقتله ابن خازم [٤] لشيء بلغه فأنكره؛ وفيه يقول أبو جلدة:

اذا كنتَ مُرتاداً نديماً مكرَّراً غداه سَراةٌ من سراة بني بكرِ
فلا تعدُ ذا العليا سليمانَ عامداً تجد ماجداً بالجود منشرح الصدر
كريماً على علّاته [٥] يبذل النّدى ويشربها صهباء طيّبة النشر [٦]
معتّقةً كالمسك يُذهبُ ريحها الـــزُكام وتدعو المرءَ للجود بالوفر
وتترك حاسي الكأس منها مُرنَّحاً يميدُ كما مادَ الاثيمُ [٧] من السكر
تلوحُ كعين الديك ينزو حَبابُها اذا مُزجتْ بالماء مثلَ لظى الجمر
فتلك اذا نادمتُ من آل مَرثدٍ عليها نديماً ظلّ يَهرف [٨] بالشعر

(١) العضب: السيف القاطع. والمنصل (بضم الميم والصاد وبفتح الصاد ايضاً): اسم للسيف.

(٢) ذو تدرأ: ذو حفاظ ومدافعة ومنعة.

(٣) النهزة الفرصة. والختل: جمع خاتل. والختل: المخادعة في غفلة.

(٤) في الاصول: «ابن حازم» بالحاء المهملة. ونحسب أنه عبد الله بن خازم الذي كان والياً لخراسان.

(٥) على علاته أي على حالاته المختلفة من عسر ويسر.

(٦) النشر هنا: الرائحة.

(٧) لعله «كما ماد الاميم». والاميم والمأموم: الذي أصابت الشجة أم رأسه وهي الدماغ حتى لا يبقى بينها وبين الدماغ إلا جلد رقيق.

(٨) الهرف (بالفتح) هنا: الهذيان، والهرف أيضاً: مجاوزة القدر في الثناء والمدح.

يُغنّيك تاراتٍ وطوراً يكرُّها عليك بحيَّاك الإلهُ ولا يدري
تعوّد ألا يجهلَ الدهرَ عندها وأن يبذُل المعروفَ في العُسر واليسرِ
وإن سليمانَ بن عمرو بن مَرثَدٍ تألّى[١] يميناً أن يريشَ[٢] ولا يبري
فهمّتُه بذلُ النّدى وأبتنا العُلا وضربُ طُلَى[٣] الابطال في الحرب بالبُتْر
وفي الامن لا ينفكُّ يحسو مُدامةً اذا ما دجا ليلٌ الى وضَح الفجر

قال: فلما بلغتْ سليمان هذه الابياتُ قال: هجاني أخي وما تعمّد، لكنه يرى أن الناس جميعاً يُؤثرون الصَّهباء كما يُؤثرها هو، ويشربونها كما يشربها. وبلغ قوله أبا جلدة فأتاه فأعتذر اليه، وحلَف أنه لم يعتمد بذلك ما يكرهه ويُنكره. قال: قد عَلمتُ بذلك وشهدتُ لك به قبل أن تعتذر، وقبِل عُذره.

سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه:

وقال ابن حبيب: سأل أبو جلدة الحُضين بن المُنذر الرّقاشي شيئاً فلم يُعطه إيّاه، وقال: لا أُعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أبو جلدة يهجوه:

يا يومَ بُؤسٍ طلعتْ شمسُه بالنَّحس لا فارقتَ رأسَ الحُضينِ
إنّ حُضيناً لم يزل باخـلاً مُذ كان بالمعروف كزّ[٤] اليدين

فبلغ الحضين قولُ أبي جلدة، فقال يُجيبه:

---

(١) تألى: حلف.

(٢) يقال: رشت فلاناً، اذا قويت جناحه بالاحسان اليه، فارتاش وتريش. وبراه: هزله وأضعفه. ومثله قول الشاعر:

فرشني بخير طالما قـد بريتني فخير الموالي من يريش ولا يبري

(٣) الطلى (بالضم): الاعناق. والبتر: جمع بتور، وهو السيف القاطع.

(٤) رجل كز اليدين: بخيل.

عَضَّ أبو جلدةَ من أمه ... مُعترضاً ما جاوز الأسكتينِ [1]
بَظراً [2] طويلاً غاشياً [3] رأسه ... أعقف كالمنجل ذا شُعبتين

وقال أبو جلدةَ في حُضينٍ أيضاً :

لَعمرُكَ إني يوم أُسندُ حاجتي ... اليك أبا ساسانَ [4] غيرُ مُسدَّدِ
فلا عالمٌ بالغيب من أين ضَرُّه ... ولا خائفٌ بَثَّ الاحاديث في غد
فليتَ المنايا حلَّقتْ بي صُروفُها ... فلم أطلبِ المعروف عند المُصرَّد [5]
فلو كنتَ حُراً يا حُضينُ بن مُنذرٍ ... لقُمتَ بحاجاتي ولم تتبلَّد
تجهَّمتني خوفَ القِرى وأطرَحتني ... وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقلَّد
ولم تعدُ ما قد كنتَ أهلاً لمثله ... من اللؤم يابن المُستذَلِّ المُعبَّد

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً :

قال : فبلغ أبا جلدة أن بني رَقاشِ [6] تهدَّدوه بالقتل لهجائه الحُضين بن مُنذرٍ ، فقال :

تُهدِّدني جهلاً رَقاشِ وليتني ... وكل رقاشيٍّ على الارض في الحبلِ
فباستِ حُضينٍ واستِ أمٍّ رمتْ به ... فبئس محلُّ الضيف في الزمن المحل

(١) الأسكتان (بفتح الهمزة وكسرها) : جانبا الفرج وهما قذتاه .

(٢) البظر : هنة بين أسكتي المرأة .

(٣) صوابه « عاسياً » أي شديداً صلباً .

(٤) أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر .

(٥) التصريد : قلة العطاء .

(٦) رقاش : مبنية على الكسر مثل حذام وقطام ، وبعضهم يجريها مجرى ما لا ينصرف .

وإن أنا لم أترك رَقاش وجمعهم ... أذلَّ على وطء الهوان من النعلِ
فشَلَّتْ يداي واتبعتُ سوى الهدى ... سبيلًا ولا وُفِّقتُ للخيرِ والفضل
عِظامُ الخُصى ثُطٌّ[1] اللِحى مَعدن الخنا ... مَباخيل بالازواد في الخصب والازل[2]
اذا أمنوا ضرّاء دهرٍ تعاظلوا[3] ... عِظال الكلاب في الدُّجُنَّة والوَبل
وإن عضّهم دهرٌ بنكبة حادثٍ ... فأخورُ عيداناً من المَرْخ والاثل[4]
أُسودُ شرًى وسط النَّديّ ثعالبٌ ... اذا خطرتْ حرب مَراجلها تغلي

شعره في دهقانة كان يختلف اليها :

أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزَنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال :

عشق أبو جلدة اليشكري دِهقانةً ببستَ وكان يختلف اليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها :

وكأسٍ كأنَّ المسكَ فيها حسوتُها ... ونازَعنيها صاحبٌ لي مُلَوَّمُ[5]
أغرُّ كأنَّ البدر سُنَّةُ[6] وَجهه ... له كفلٌ وافٍ وفرعٌ ومَبسِمُ[7]

(١) ثط : جمع أثط وثط (بالفتح) وهو القليل شعر اللحية . والمعدن اسم مكان من عدن بالبلد يعدن (من بابي ضرب ونصر) عدنا وعدونا أي أقام .

(٢) الأزل : الضيق والشدة .

(٣) التعاظل ــ ومثله العظال والاعتظال والمعاظلة ــ : الملازمة في السفاد . ويقال : عظلت الكلاب (من بابي نصر وسمع) اذا ركب بعضها بعضاً . والدجنة : الظلمة ، والغيم المطبق الريان المظلم. والوبل : المطر الضخم القطر ، مثل الوابل .

(٤) المرخ والأثل : ضربان من الشجر .

(٥) ملوّم : يلومه الناس كثيراً .

(٦) سنة الوجه : دائرته أو صورته أو الجبهة والجبينان .

(٧) المبسم (بكسر السين) : الثغر .

يُضيء دُجى الظَّلماء رونق خدِّه ... وينجاب عنه الليل والليل مظلمُ
وثديانِ كالحُقَّين والمتنُ مدمجٌ ... وجيدٌ عليه نَسقُ دُرٍّ منظَّم
وبطنٌ طواه الله طيًّا ومَنطقٌ ... رخيمٌ وردفٌ نيط بالحقو مُفأَم[1]
به تَبَلتني واستبتني وغادرتْ ... لظًى في فؤادي نارُها تتضرَّم
أبيتُ بها أهذي اذا الليلُ جنَّني ... وأصبح مبهوتاً فما أتكلَّم
فمن مُبلغٌ قومي الدُّنا[2] أنَّ مُهجتي ... تبينُ، لئن بانت ألا تتلوَّم[3]
وعهدي بها — والله يُصلحُ بالها — ... تجودُ على من يشتهيها وتُنعم
فما بالها ضَنَّت عليَّ بوُدِّها ... وقلبي لها يا قوم عانٍ متيَّم

قال : فلمَّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلمَّا انتهى المفسِّر الى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت : أنا زانيةٌ كما زعم إن كلمته كلمةً أبداً . أوَكلَّما اشتهاني إنسانٌ بذلت له نفسي وأنعمتُ من روحي إذا ! أي أنا إذاً زانية . فصرمته ، فلم يقدِر عليها وعُذِّب بها زماناً ، ثم قال فيها لمَّا يئس منها :

صحا قلبي وأقصر بعد غيٍّ ... طويلٍ كان فيه من الغواني
بأن قصد السبيل فباع جهلاً ... برُشدٍ وارتجى عُقبى الزَّمانِ
وخاف الموت واعتصم ابن حُجرٍ[4] ... من الحبِّ المبرِّح بالجنان
وقدماً كان معترماً[5] جموحاً ... الى لذَّاته سَلِسَ العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى ... طويل الليل يهرف بالقُران
ويدعو الله مجتهداً لكيما ... ينالَ الفوزَ من غُرَف الجنان

---

(١) نيط بالحقو : علق به . والحقو (بالفتح ويكسر) : الكشح . وردف مفأم : سمين .

(٢) القوم الدنا : الأقربون .

(٣) التلوّم : التلبث والانتظار .

(٤) حجر : من آباء الشاعر .

(٥) الاعترام هنا : الشراسة والبطر مثل . العرام والعرامة .

قال ابن حبيب قال أبو عُبيدة :

كان يزيد بن المهلب يُتَّهم بالنساء . فقال فيه أبو جلدة :

اذا أعتكرت[١] ظلماء ليلٍ ونوّمتْ عيونُ رجالٍ وأستلذّوا المضاجعاً
سما نحوَ جارِ البيتِ يَستامُ عِرسه[٢] يزيدُ دبيباً للمعاناة[٣] قابعا[٤]
وإن أمكنته جارةُ البيت أو رنتْ اليه أتاها بعد ذلك طائعا

فشاعت الأبيات ورواها الناسُ لقتادةَ بن مُعرِب . فقال أبو جلدة :

أبا خالدٍ رُكني ومَن أنا عبدُه لقد غالني الأعداء عمداً لتغضبا
فإن كنتُ قلتُ اللذْ أتاك به العِدا فشلَّتْ يدي اليمنى وأصبحتُ أعضبا[٥]
ولا زلتُ محمولاً عليَّ بليَّةٌ وأمسيتُ شِلواً للسِّباع مُتَرّبا[٦]
فلا تسمعنْ قول العِدا وتبيَّنَنْ أبا خالدٍ عُذراً وإن كنتَ مُغضبا

وقال ابن حبيبَ : قال رجلٌ للبعيث : أيُّ رجلٍ هو أبو جلدة ؟ فقال : قَتادةُ بن مُعرِب أعرَفُ به حيث يقول :

---

(١) اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه

(٢) يستام عرسه : يطلب زوجته .

(٣) كذا !

(٤) القبع تغطية الرأس بالليل لريبة ؛ قال الشاعر .

ولا أطرق الجارات بالليل قابعا قبوع القرنبى أخطأته مجاحره

أي يدخل رأسه في ثوبه كما يدخل القرنبى رأسه في جسمه .

(٥) الاعضب هنا : القصير اليد ، والاعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .

(٦) المترب : الملطخ بالتراب

إنّ أبا جلدة من سُكرِه لا يعرف الحقّ من الباطلِ
يزداد غيّاً وانهماكاً ولا يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمّه وكان في الذّروة مِن وائل
فليته لم يَكُ من يَشكُرٍ فبئسَ خِدنُ الرجل العاقل
أعمى عن الحقّ بصيرٌ بما يعرفه كلُّ فتًى جاهل
يُصبحُ سكرانَ ويُمسي كما أصبح، لا أُسقي مِنَ الوابل
شدّ رِكابَ الغيّ ثم اغتدى الى التي تجلَبُ من بابل
فالسّجن إن عاش له منزلٌ والسّجنُ دارُ العاجزِ الخامل

شعر له يناقض به قتادة بن معرب :

وقال أبو جلدة يجيبه :

قُبحتَ لو كنتَ امرأً صالحاً تَعرِف ما الحقُّ من الباطلِ
كففتَ عن شتمي بلا إحنةٍ ولم تورِّط كِفّةَ[1] الحابل
لكن أبتْ نفسك فعلَ النُّهى والحزمِ والنَّجدة والنائل
فنحت لي بالشّتمِ حتى بَدا مكنون غِشٍ في الحشا داخل
فاجهد وقُل لا تترك جاهداً شَتمَ امرئٍ ذي نجدةٍ عاقل
تَعذلني في قهوةٍ مُزّةٍ درياقةٍ تُجلَبُ من بابل
ولو رآها خرَّ من حُبّها يسجدُ للشيطان بالباطل
يا شرَّ بكرٍ كلِّها محتِداً ونُهزَةَ المختلس الآكل
عِرضَكَ وفِّرهُ ودعني وما أهواه يا أحمقَ من باقل[2]

---

(١) كفة الحابل : حبالته التي يصيد بها .

(٢) المعروف في المثل أنه يقال « أعيا من باقل » . وهو رجل من إياد ، وقيل من ربيعة ، بلغ من عيه أنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد يديه ودلع لسانه يريد أحد عشر ، فشرد الظبي وكان تحت إبطه ، فضرب بعيه المثل .

قال ابن حبيب : كان أبو جلدة يشرب مع ابن عمٍّ له من بكرِ بن وائل ، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك :

أبي لي أن ألحى نديمي اذا انتشى ... وقال كلاماً سيئاً لي على السكرِ
وقاري وعلمي بالشراب وأهله ... وما نادمَ القومَ الكرامَ كذي الحجر [١]
فلستُ بلاحٍ لي نديماً بزلةٍ ... ولا هفوةٍ كانت ونحن على الخمر
عركتُ بجنبي قول خدني وصاحبي ... ونحن على صهباءَ طيّبةِ النشر [٢]
فلما تمادى قلتُ خُذها عريقةً ... فإنك من قومٍ جحاجحةٍ زُهر
فما زلتُ أسقيه وأشربُ مثل ما ... سقيتُ أخي حتى بدا وضح [٣] الفجر
وأيقنتُ أن السكر طار بلبّه ... فأغرق في شتمي وقال وما يدري
ولاكَ لساناً كان اذ كان صاحياً ... يقلّبه في كل فنٍّ من الشعر

أخبرني محمد بن مزيدٍ قال حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال :

كان أبو جلدة اليشكري قد خرج الى تُستر [٤] في بعثٍ ، فشرب بها في حانةٍ مع رجل من قومه كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد الى بُستَ والرُّخج وكان مكتبهُ [٥] هناك ، فأقام بها مدّة ، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتُستر ذات يومٍ ، فسلّم عليه ودعاه الى منزله ، فأكلا ، ثم دعا بالشراب ليشربا ، فامتنع الرجل وقال : إني قد تركتُها لله . فقال أبو جلدة وهو يشرب :

---

(١) ذو الحجر : ذو العقل .

(٢) يقال : عركت ذنبه بجنبي اذا احتملته . والخدن : الصديق . والنشر : الرائحة .

(٣) كذا في كتاب الشعر والشعراء . ووضح الفجر : بياض الصبح .

(٤) تستر : مدينة بخوزستان .

(٥) لعله : « وكان مكتبه هناك » .

ألا رُبَّ يومٍ لي ببُستَ وليـلة ولا مثـل أيامي المواضي بتُستر
غَنيتُ بها أسقي سُلافَ مُدامةٍ كريمَ المُحيا من عرانينِ يَشكر
نُبادرُ شُرْبَ الراحِ حتى نهرّها[1] وتتركنا مثـل الصَّريع المُعفر
فذلك دهرٌ قـد تولّى نعيمه فأصبحتُ قد بُدِلتُ طول التَّوقُّر
فراجعني حِلمي وأصبحتُ منهج الـ ـشراب وقـدماً كنتُ كالمتحيّر
وكل أوان الحق أبصرتُ قصده فلستُ وإن نُبِهتُ عنـه بمقصر
سأركض في التقوى وفي العِلم بعد ما ركضت الى أمر الغـويّ المشهَّر
وبالله حولي واحتيـالي وقوّتي ومَن عنده عُرفي الكثيرِ ومُنكَري

مر به مسمع بن مالك فوثب اليه وقال فيه شعراً :

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال : مرّ مِسمعُ بن مالكٍ بأبي جِلدة ، فوثب اليه وأنشأ يقول :

يا مِسمعُ بنَ مالكٍ يا مسمع أنت الجوادُ والخطيبُ المِصقعُ
فاصنع كما كان أبوك يصنعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إن قبِل منك والله يا أبا جلدة ناك أُمّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع !

وقال أبو عمرو الشيباني : كان مِسمع بن مالك يُعطي أبا جلدة ، فقال فيه :

يسعى أُناسٌ لكيا يُدركوك ولو خاضوا بحارك أو ضحضاحها[2] غرقوا
وأنت في الحرب لا رثّ[3] القُوى بَرِمٌ عنـد اللِقاء ولا رِعديدةٌ فَرِق

(١) هرّه : كرهه .

(٢) الضحضاح : الماء القليل القعر .

(٣) رث القوى : ضعيفها . والبرم هنا : الضجر الملول . والرعديدة : الجبان يرعد عند القتال جبناً . والفرق : الفزع الشديد الخوف .

كلُّ الخلال التي يسعى الكرامُ لها   إن يمدحوك بها يوماً فقد صدقوا
ساد العراق لخالُ الناس صالحةٌ   وسادَهم وزمانُ الناس مُنخرِق
لا خارجيٌّ ولا مستحدثٌ شرفاً   بل مجدُ آلِ شهابٍ كان مذ خُلِقوا

قال : ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسمعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسمعٌ يُعطيه، فلم يلتفت اليه وأمر أن يُحجب عنه . فقيل له : تعرّضتَ للسان أبي جِلدة وخُبثه . فقال : ومَن هو الكلبُ ! وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح مَن كان منه ! فليجهد جهده. فبلغ ذلك من قوله أبا جِلدة فقال يهجوه :

قَرى ضيفه الماء القَراح ابنُ مِسمعٍ   وكان لئيماً جارُه يتذلّلُ
فلمّا رأى الضيفُ القِرى غير راهنٍ[١]   لديه تولّى هارباً يتعلّل
ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائلٍ   ألا كلُّ مَن يرجو قِراكم مضلَّل
عميدكمُ هرَّ الضيوف فما لكم   ربيعة[٢] أمسى ضيفكم يتحوّل
وخِفتم بأن تَقرُوا الضيوف وكنتم   زماناً بكم يحيا الضَّريكُ المعيَّل[٣]
فما بالكم بالله أنتم بَخِلتمُ   وقصَّرتُمُ والضيف يُقرَى ويُنزَل
ويُكرَمُ حتى يُقترى[٤] حين يُقترى   يقول اذا ولّى جميلًا فيُجمل
فهلّا بني بَكرٍ دَعُوا آلَ مِسمعٍ   ورأيهمُ لا يَسبقُ الخيلَ مُحثَل[٥]

(١) غير راهن : غير حاضر .

(٢) ربيعة : من بطون بكر بن وائل .

(٣) المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .

(٤) اقترى الاولى : تتبع ، واقترى الاخرى : أضاف ، يقال : اقترى فلان الضيف ، مثل قراه . يقول : إن من حق الضيف أن يكرم ما دام ثاويا ، فاذا رحل وجب أن تتبعه الكرامة حيث حل ؛ كما قال الآخر :

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث سارا

(٥) المحثل (بالمثلثة) : الضاوي الدقيق السيء الغذاء .

ودونكمُ أضيافَكم فتحدَّبوا ... عليهم وواسوهم فذلك أجملُ
ولا تُصبحوا أُحدوثةً مثل قائلٍ[1] ... به يضربُ الأمثال مَن يتمثّل
اذا ما التقى الرُّكبانُ يوماً تذاكروا ... بني مِسمعٍ حتى يحمّوا[2] ويثقُلوا
فلا تَقرَبوا أبياتَهم إنّ جارهم ... وضيفهمُ سِيَّانِ أنّى توسّلوا
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواؤهم ... وما فيهمُ إلّا لئيمٌ مبخَّل
فلوْ ببني شَيبان حلّتْ ركائبي ... لكان قِراهم راهناً[3] حين أنزل
أولئك أولى بالمكارم كلِّها ... وأجدرُ يوماً أن يُواسوا ويُفضِلوا
بني مِسمعٍ لا قرّب الله داركم ... ولا زال واديكم من الماء يُمحِل
فلم تَردَعوا الأبطالَ بالبيضِ والقنا ... اذا جعلتْ نارُ الحروب تأكّل

---

(١) كذا !.

(٢) حم فلان : أصابته الحمى.

(٣) الراهن : الحاضر.

أخبار علويه ونسبه

هو علي بن عبد الله بن سَيف. وكان جدّه من السُّغد[1] الذين سباهم الوليد ابن عثمان بن عفّان وأسترقّ منهم جماعةً أختصهم بخدمته، وأعتق بعضهم، ولم يُعتِق الباقين فقتلوه. وذكر ابن خُرداذبه، وهو ممن لا يحصَّل قوله ولا يُعتَمد عليه، أنّه من أهل يثرب مولى بني أُميَّة، والقول الأول أصحّ.

مهارته في الغناء والضرب وبعض أخلاقه :

ويُكنى عَلُّويَه أبا الحسن. وكان مغنّياً حاذقاً، ومؤدِّباً محسناً، وصانعاً متفنّناً، وضارباً متقدِّماً، مع خفَّة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان ابراهيم الموصلي علّمه وخرَّجه وعُني به جداً، فبرع وغنى لمحمد الأمين، وعاش الى أيام المتوكل، ومات بعد اسحاق الموصلي بمدَيدةٍ يسيرة. وكان سبب وفاته أنه خرج به جَرَبٌ، فشكاه الى يحيى بن ماسَوَيهِ، فبعث اليه بدواء مُسهلٍ وطلاء، فشرب الطلاء وأطلى بالدواء المُسهل، فقتله ذلك. وكان اسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق. فأما التقديم والوصف فلم يكن اسحاق يرى أحداً من جماعته لها أهلاً، فكانوا يتعصَّبون عليه لإبراهيم بن المهديّ، فلا يضرُّه ذلك مع تقدُّمه وفضله.

---

(١) السغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والاشجار بها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وربما قيل فيها «الصغد» بالصاد. ويقال لسكان تلك الناحية سغد.

رأي اسحاق الموصلي فيه وفي مخارق :

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدثنا حمّاد بن اسحاق قال : قلت لأبي : أيّما أفضلُ عندك مخارقٌ أو علُّويه ؟ فقال : يا بنيّ علُّويَه أعرفهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يغنّيه ويؤدّيه، ولو خُيّرتُ بينهما مَن يُطارح جواريّ أو شاورني مَن يستنصحني لمَا أشرتُ إلّا بعلُّويَه ؛ لأنه كان يؤدّي الغناء، وصنع صنعةً مُحكمةً . ومخارقٌ بتمكُّنه من حَلقه وكثرة نغمه لا يقنع بالأخذ منه ؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غناء واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنهما اذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سوقةٍ غلب مخارقٌ على المجلس والجائزة لطيب صوته وكثرة نغمه .

حدثني جَحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني أبي قال :

اجتمعتُ مع اسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علُّويَه فغنّى أصواتاً، ثم غنّى من صنعته :

صوت

وُنبِّئتُ ليلى أرسلتْ بشفاعةٍ إليّ فهلّا نفسُ ليلى شفيعُها

— ولحنه ثاني ثقيل — فقال له اسحاق : أحسنت والله يا أبا الحسن ! أحسنتَ ما شئتَ ! فقام علُّويَه من مجلسه فقبّل رأس اسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سروراً شديداً، ثم قال : أنت سيدي وابن سيّدي، وأستاذي وابن أستاذي، ولي اليك حاجةٌ . قال : قل، فوالله إني أبلغ فيها ما تحبّ . قال : أيّما أفضل عندك أنا أو مخارق ؟ فإني أحبّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر ويحكيه عنك مَن حضر، فتشرّفني به . فقال اسحاق : ما منكم إلّا محسنٌ مجملٌ، فلا تُرِد أن ترى في هذا شيئاً . قال : سألتك بحقي عليك وبتربية أبيك وبكلّ حقٍ

تعظِّمه إلّا حكمتَ . فقال : وَيحك ! والله لو كنتُ أستجيز أن أقول غيرَ الحقّ لقلته فيا تحبّ ، فأمّا إذ أبيت إلّا ما ذكرتَ فهاك ما عندي : فلو خُيّرتُ أنا من يُطارح جواريّ أو يغنّيني لما أخترتُ غيرك ، ولكنا اذا غنّينا بين يَدَي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضب علويه وقام وقال : أفّ من رضاك ومن غضبك !

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عليّ بن يحيى المنجّم قال :

قَدِمتُ من سُرّ مَن رأى قَدمةً الى بغـداد ، فلقيتُ أبا محمد اسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى أنتهى الى ذكر الغناء ، فقال : أيُّ شيء رأيتَ الناس يستحسونه في هذه الأيام من الأغاني ، فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعـد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صَنعتك . فقال : أي شيء هو ؟ فقلت :

صوت

ألا يا حمامَي قصرِ دُوران[1] هِجتُما بقلبي الهوَى لمـّا تغنّيتُما ليا
وأبكيتُماني وسط صحبي ولم أكن أبالي دموعَ العيـن لو كنتُ خاليا

فضحك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعَلُّويه ، ولقد لعمري أحسنَ فيه وجوّد ما شاء .

لحن علُّويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطى .

---

(١) دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لاسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة .

أتاه بعض اصحابه فأطعمهم وغناهم ألحاناً له :

حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الابزاري قال :

أتيتُ علُّويه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ الله بن صالح صاحب المُصلّى ، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجَ كَسكَريّة[1] مُسمَّنة وجرابيْ دقيقٍ سميذٍ[2] ، فسلَّمتُه الى غلامه ، وبعث الى بِشر بن حارثة : أطعمنا ما عندك ، فلم يزل يُطعمنا فضلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث الى عبد الوهّاب ابن الخصيب بن عمرو فحضر ، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكلنا أكلَ مُعذَّرين[3] ، ثم قال : إني صنعتُ البارحة لحناً أعجبني ، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال :

صوت

تَهزَّتْ عُميرةُ أن رأت ظهري انحنى ... وذؤابــتي عُلَّتْ بماء خِضابِ
لا تَهزَئي مني عُمير فإنــني ... مَحضٌ كريمٌ شيبتي وشبابي

— لحنُ علُّويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى — فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحاً . ثم استوذن لعثعثٍ غلام احمد بن يحيى ابن مُعاذ ، فأذِن له ، ومع عثعث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيّدي

(١) الفراريج الكسكرية : منسوبة الى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة ، وكانت قصبتها « واسط » .

(٢) السميذ : الحوّارى، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة.

(٣) المعذرون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الاكل .

منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ)، فأُحبّ أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثعث. وهو:

صوت

فواحسرتا لم أقضِ منك لُبانةً ولم أتمتَّـع بالجوارِ وبالقربِ
يقولون هذا آخرُ العهـد منهمُ فقلتُ وهذا آخر العهد من قلبي

لحنُ علُّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها. وأوّل هذا الصوت:

ألا يا حمامَ الشِعب بِشعب مُورّقٍ سقتكَ الغوادي من حمامٍ ومن شِعبِ

قال: واذا مع حُسين رُقعةٌ من مولاه: سَمِعتك يا سيّدي تُغني عنـد الامير أبي اسحاق ابراهيم بن المهدي:

ألا يا حماميْ قصر دُورانَ هجتُما بقلبي الهوى لمـا تغنّيتُما ليا

أحبُّ ان تطرحه على عبدك حُسين. قال: فدعا بغلامٍ له يُسمى عبدَ آل فطرحه عليهما حتى أحكماه ثم عرضاه عليه حتى صحّ لهما. فما أعلم أنه مرّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليوم وحُسنَه.

حدثني جعفر بن قُدامةَ قال حدثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول: علُّويه أصحُّ الناس صنعةً بعد اسحاق، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق، وأضربُ الناسِ بعـد زربرٍ ومُلاحظ، فهو مُصلّي كل سابـقٍ قادرٍ، وثاني كل أوّل واصلٍ مُتقدمٍ. قال: وكان الواثق يقول: غناء علُّويه مثلُ نقر الطَّست يبقى ساعةً في السمع بعد سكوته.

نسختُ من كتاب أبي العبَّاس بن ثوابة بخطّه : حدثني احمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العبَّاس الربيعيّ قال :

إجتمعتُ يوماً بين يدي المعتصم وحضر اسحاق الموصلي ، فغنى علُّويه :

لِعبدةَ دارٌ ما تُكلّمنا الدارُ تلوحُ مغانيها كما لاح أسطارُ[١]

فقال اسحاق : أخطأتَ فيه ، ليس هو هكذا . فغضب علُّويه وقال : أمٌ من اخذنا عنه هكذا زانيةٌ . فقال اسحاق : وشتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه . قال : وكان علُّويه أخذه من أبيه[٢] .

كان أعسر وعوده مقلوب الاوتار :

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن مُخارق قال :

كان علُّويه أعسر وكان عُوده مقلوب الاوتار : البَمُّ أسفل الاوتار كلّها ، ثم المثلثُ فوقه ، ثم المَثنى ، ثم الزير ، وكان عوده اذا كان في يد غيره مقلوباً على هذه الصفة ، واذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكون مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال كان الخلنجيُّ القاضي ، واسمه عبد الله بن محمد ، ابن أخت علُّويه المغني ، وكان تيَّاهاً صلِفاً ، فتقلَّد في خلافة الامين قضاء الشرقية[٣] ، فكان يجلس الى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند اليها بجميع جسده

---

(١) الاسطار : جمع سطر وهو الخط من الكتابة .

(٢) « يعني من ابي اسحاق وهو من ابراهيم الموصلي » بالمداد الاحمر ، مما يدل على أنه من وضع قارئ للنسخة .

(٣) الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربي من بغداد .

ولا يتحرك، فإذا تقدّم اليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يَفصِل بينهما ثم يعود لحاله. فعمد بعض المُجّان الى رقعةٍ من الرقاع التي يُكتبُ فيها الدعاوى فألصقها في موضع ذَنبته بالدِّبق[1] ومكّن منها الدّبق. فلمّا تقدم اليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل أنكشف رأسه وبقيتِ الذنبةُ موضعها مصاوبةً ملتصقةً، فقام الخلنجي مُغضباً وعلِم أنها حيلةٌ وقعتْ عليه، فغطّى رأسه بطيلسانِه وقام فانصرف وتركها مكانها، حتى جاء بعضُ اعوانه فأخذها. وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الابيات:

إن الخلنجيَّ من تتايُهِه أثقلُ بادٍ لنـا بطلعتهِ
ما إنْ لذي نخوةٍ مناسبةٌ بـينَ أخاوينه[2] وقصعته
يصالح الخصمُ مَن يخاصمهُ خوفاً من الجور في قضيّته
لو لم تُدَبِّقهُ[3] كفُّ قانِصِهِ لطار تيهاً على رعيّتـه

قال: وشُهرت الابيات والقصة ببغداد، وعمِل له علُّويه حكايةً أعطاهـا للزفّانين[4] والمخنّثين فأحرجوه فيها، وكان علُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغـداد وسأل أن يُولّى بعض الكُوَر البعيدة، فوُلّيَ جُنـدَ دمشقَ أو حِمصَ. فلما وَلي المأمونُ الخلافةَ غنّاه علُّويه بشعر الخلنجيّ فقال:

بَرئتُ من الاسلام إن كان ذا الذي أتاكِ بـه الواشون عني كما قالوا

---

(١) الدبق: الغراء.

(٢) الاخاوين: جمع خوان (بضم أوله وكسره) وهو ما يؤكل عليه الطعام.

(٣) التدبيق: صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به.

(٤) الزفانون: الرقاصون.

ولكنهم لمّا رأوكِ غريّـةً [١] بهجري تواصَوا بالنميمة واحتالوا
فقد صرتِ أذناً للوُشاة سميعـةً ينالون من عِرضي وإن شئت ما نالوا

فقال له المأمون : من يقول هـذا الشعر ؟ فقال : قاضي دمشقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكُتب الى صاحب دمشق بإشخاصه فأُشخص ، وجلس المأمون للشرب وأحضر علُّويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أنشدني قولَك :

بَرِئتُ من الاسلام إن كان ذا الذي أتاكِ به الواشون عـني كما قالوا

فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منـذ أربعين سنةً وأنا صبيٌّ ، والذي أكرمك بالخلافة وورّثك ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلا في زُهدٍ او عتابِ صديق . فقال له : أجلس فجلس ، فناوله قدَح نبيذِ التمر أو الزبيب . فقال : لا والله يا امير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها . فأخـذ القدَح من يده وقال : أمَا والله لو شربتَ شيئاً من هذا لضربتُ عنقك ، وقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كلِّه ، ولكن لا يتولّى لي القضاءَ رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الاسلام ، إنصرف الى منزلك . وأمر علُّويه فغيّر الكلمة وجعل مكانها « حُرِمتُ مُنايَ منكِ » .

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال :

كان علُّويه يغني بين يدي الامين ، فغنى في بعض غنائه :

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تعِدْ وشفَتْ أنفسنا مما تجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعن عليه ، فقال للأمين : إنما يُعرّض بك ويستبطئ المأمون في محاربته ؛ فأمر به فضُرب خمسين سوطاً وجُرّ برجله ، وجفاه مـدّةً ،

---

(١) غرية : مولعة .

حتى ألقى نفسه على كوثرٍ فترضَّاه له وردَّ الى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلمّا قدِم المأمون تقرّب اليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُحِبّ ، وقال له : إنّ المَلِكَ بمنزلة الاسد او النار ، فلا تتعرّض لِما يُغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يُتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه ، ولم يُعطه شيئاً.

ومثل هذا من فعل الامين ، ما حدثني به محمد بن مَزيد بن أبي الازهر قال حدثنا حمّاد بن اسحاق قال حدثني أبي قال :

دخلتُ على الامين فرأيته مُغضباً كالحاً ، فقلتُ له: ما لامير المؤمنين – تمّم الله سروره ولا نغّصه – أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله ! والله لو كان حياً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبشتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ عِظامه . فقمتُ على رِجلي وقلت : أعوذُ بالله من سُخطك يا أميرَ المؤمنين ! ومَن أبي وما مقداره حتى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمه إيّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيـه ، وغُنّيته الساعة فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعت بهذا قطُّ ولا لأبي غناء إلّا وأنا أَرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله :

أبو المأمونِ فينا والأمينِ   له كنفان من كَرَمٍ ولينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يقدِّم المأمون في الشعر لتقديمه إيّاه في الموالاة، ولكن الشعر لم يصحّ وزنه إلّا هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يصحّ الشعرُ إلّا هكذا أن يدعه الى لعنة الله . فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن . فلما قدِم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحك ويعجب منه .

مدحه عبد الله بن طاهر :

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

سمعتُ أبي يقول: لو خُيِّرتُ لوناً من الطعام لا أزيد عليه غيرَه لاَخترتُ الدُّرّاجة[١]؛ لأني إن زِدت في خلّها صارتْ سِكباجة[٢]، وإن زدتُ في مائها صارت إسفيدباجة[٣]، وإن زدتُ في تصبيرها بل في تشديطها صارت مُطجّنة[٤]. ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَما اخترتُ سوى علّويه؛ لأنه إن حدثني ألهاني، وإن غنّاني أشجاني، وإن رجعتُ الى رأيه كفاني.

حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأنزاري قال:

كنتُ عند سعيد بن عُجَيفٍ أنا وعبد الوهّاب بن الخصيب وعبد الله بنُ صالح صاحب المصلى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علّويه بالباب، فأذِن له فدخل. فقال له: لا تحمدني فإني لم يجئني رسول رجلٍ اليومَ، فعرضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يقع عليه غيرك. فدعا له ببرذَونٍ أدهم بسرجه ولجامه فأهداه اليه، وجلسنا نشرب وعلّويه يغنّي. فلما توسّطنا أمرنا جاء رسول عُجَيفٍ[٥] يطلبه في منزله، فقالوا له: هو عند ابنه سعيد. فأتاه الرسول فقال له: أجِب الأمير. فقلنا: هذا شيء ليس فيه حيلة. وقد جاء الرسول وهو يغنّي:

صوت

ألم ترَ أني يوم جوّ سُوَيقةٍ[٦] بكيتُ فنادتني هُنيدة ماليا

---

(١) الدراج (بالضم): ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر.

(٢) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل، معرب «سكبا» مركب من «سك» أي خل، ومن «با» أي طعام.

(٣) الاسفيدباجة: لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى.

(٤) مطجنة: مقلوة بالطاجن.

(٥) هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قوّاد المعتصم.

(٦) جو سويقة: من جواء الصمان.

فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ به يشتفي مَن ظنّ أن لا تلاقيا

– لحنُ علُّويه في هذا رملٌ . والشعر للفرزدق – قال : فقام علُّويه ثم قال : هوذا أمضي الى الأمير فأحدّثه بحديثنا وأستأذنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مسكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنَيان[١] فيها رماطونٌ[٢] ، فقال : جئتُ أشرب عندكم ، وآخذه[٣] وأنصرف الى إنسانٍ له عندي أيادٍ (يعني عليّ بن مُعاذٍ أخا يحيى بن مُعاذ) . فلم يزلْ عندنا حتى هم بالانصراف . فلما رأيت ذلك فيه قمت قبله فأتيتُ منزل عليّ بن مُعاذ ، فقيل له : ابن الأبزاريّ بالباب . فبعث إليّ : إن أردتَ مَضاء فخذه (يعني غلاماً كان يغنّي) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنما أريدك أنت ، فأذِن لي فدخلتُ . فقال : ألك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علُّويه . فقال : وما يدريك ؟ فحدّثته بالحديث . ودخل علُّويه ، فقال لي : ما جاء بك الى هاهنا ؟ فقلت : ما كنتُ لأدَعَ بقيَّة ليلتي هذه تضيع ، فما زال يغنّينا ونشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

فضله عمرو بن بانة على نفسه :

حدثني جعفر بن قُدامةَ قال حدثنا هارون بن مُخارق قال حدثني أبي قال :

قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صنعتك أم صنعة علُّويه ؟ فقال : صنعةُ

(١) المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره . وتثنيته منوان ومنيان ، والاول أعلى ، وجمعه أمناء . وبنو تميم يقولون منّ (بتشديد النون) ومنان وأمنان .

(٢) الرماطون : ضرب من الشراب يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) مرجع الضمير ما كان معه من الجام وما نسق عليه .

علُّويه، لأنه ضاربٌ وأنا مرتجلٌ. ثم أطرق ساعةً وقال: لا أكذبك يا أبا المُهَنَّأ والله ما أُحسِن أن أصنع مثل صنعةِ علُّويه:

فوا حسرتا لم أقضِ منكِ لُبانةً ولم أتمتَّع بالجِوار وبالقُربِ

ولا مثل صنعته:

هَزِئتْ أُميمةُ أن رأتْ ظهري انْحنى وذُؤابتي عُلِّتْ بماء خضابِ

ولا مثل صنعته:

ألا يا حَمامَيْ قصرِ دورانَ هِجتُما لقلبي الهوَى لمَّا تغنَّيتُما لِيا

وقد مضتْ نسبة هذه الاصوات.

حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدثني أحمد بن الخليل بن هشام قال:

كان بين علُّويه وبين عليّ بن الهيثم جَوْنقا شرٌّ في عربدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادَى الشرّ بينهما، فغنَّى علُّويه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب(١) في حاجةٍ، فهجاه وذكر أنه دَعيٌّ. وكان جَوْنقا يدّعي أنه من بني تغلِب، فقال فيه أبو يعقوب:

يا عليُّ بنَ هيثمٍ يا جَوْنقَا أنت عندي من الأراقِم(٢) حَقَّا
عربيٌّ وجدُّه نَبَطِيٌّ! فدَبَنْقَا لذا الحديث دَبَنْقا

(١) هو أبو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهى الشاعر المعروف بالخريمي. نزل بغداد وأصله من خراسان من أبناء السغد، وكان متصلاً بخريم بن عامر المري وآله فنسب اليه. وكان شاعراً مجيداً من شعراء الدولة العباسية، توفي سنة ٢٠٠ هـ.

(٢) الاراقم هنا: حيّ من تغلب.

قد أصابتك في التقرّب عينٌ فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا
واذ قال إنــني عربيٌّ فانتهره وقــل له أنت شفقا

– وللخُريميّ فيه أهاجٍ كثيرةٌ نبطيَّة – فغنى علُّويه لحناً صنعه في هــذه الابيات بحضرة الامــين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين عليُّ بن الهيثم كأبني ، واذا أستخفّ به فإنما استخفّ بي . فقال الامين : خُذوه ، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّةً ، وأمر بإخراجه . فطرح علُّويه نفسه عــلى كوثر فأستصلح له الفضلَ ابن الربيــع ، وترضّى له الامين حتى رضي عنه ووهب له خمسة آلاف دينار .

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثــني مُخارِق قال :

غنى علُّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت :

مَن صاحبَ الدّهر لم يحمدْ تصرُّفه عناً وللدهر إحــلاءٌ وإمرارُ

– ولحنه ثقيلٌ أوّل – فأستحسنه الواثق وطرب عليــه . فقال علُّويه : والله لو شئتُ لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز ، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق ، فتضاحك ثم قال : يا أبا الحسن ، اذاً تكون قيمته مثل قيمــة الجوز ، ليتك اذ قلّلته صنعتَ شيئاً ، فكيف اذا كثّرته ! . فخجل علُّويه حتى كأنما ألقمه اسحاق حجراً ، وما أنتفع بنفسه يومئذٍ .

حدثني محمد بن يحيي الصُّوليّ قال حدثني عبد الله بن المعتزّ قال حدثني عبد الله الهشامي قال :

قال لي علُّويه : أمرنا المأمون أن نباكره لنصطبح ، فلقِيني عبد الله بن اسماعيل المراكبي مولى عريب ، فقال : أيها الظالم المعتدي أمــا ترحَم ولا ترقّ ، عريبُ هائمةٌ من الشوق اليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في نومهــا في كل

ليلة ثلاثَ مرّات . قال علُّويه : فقلت أم الخلافةِ زانيةٌ ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : أستوثق من الباب ، فأنا أعرفُ الناس بفضول الحُجّاب ، فإذا عريبُ جالسةٌ على كُرسيٍّ تطبخ ثلاث قُدور من دجاجٍ . فلمّا رأتني قامت فعانقتني وقبّلتني وقالت : أي شيء تشتهي ؟ فقلت : قدراً من هذه القدور ، فأفرغتْ قدراً بيني وبينها فأكلنا ، ودعتْ بالنّبيذ فصبّت رطلًا فشربتْ نصفه وسقتني نصفه ، فما زلتُ أشرب حتى كدتُ أن أسكر . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنيتُ البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية اعجبني ، أفتسمعه مني وتُصلحه ؟ فغنت :

صوت

عذيري من الانسان لا إن جفوتُه صفا لي ولا إن صرت طوعَ يديهِ
وإني لمشتاقٌ الى ظلّ صاحبٍ يرُوقُ ويصفو إن كدِرتُ عليه

فصيّرناه مجلساً . وقالت : قد بقي فيه شيء ، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه . ثم قالت : وأحبّ أن تغني أنت فيه أيضاً لحناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشرب على اللّحنين مليّاً . ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستخرجوني ، فدخلتُ الى المأمون فأقبلتُ أرقصُ من أقصى الإيوان وأصفِق وأُغـني بالصوت ، فسمع المأمون والمغنّون ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا علُّويه وردِّدْه[١] ، فردّدته عليه سبع مرات . فقال لي في آخرها عند قولي :

يروق ويصفو إن كدرت عليه

يا علُّويه خُذِ الخلافة وأعطني هذا الصاحبَ .

لحنُ عَريب في هذا الشعر رملٌ . وفيه لعلُّويه لحنان : ثاني ثقيلٍ ، وماخوريّ .

---

(١) يقال : ردّ القول ترداداً اذا كرره ، مثل ردّده .

وقال العتّابيّ حدثني أحمد بن حمدون قال :

غاب عنّا علُّويه مدّةً ثم صار الينا . فقال له ابراهيم بن المهديّ : ما الذي أحدثتَ بعدي من الصنعة يا أبا الحسن ؟ قال : صنعتُ صوتين . قال : فهاتهما إذاً ؛ فغنّاه :

صوت

أَلا إنّ لي نفسين نفساً تقولُ لي   تمتّع بليلى مـا بدالك لينُها
ونفساً تقول استبقِ وُدّك واتّئدْ   ونفسك لا تطرحْ على مَن يُهينها

— لحن علُّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل — قال : فرأيتُ ابراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونُه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنه لم يجـد في الصوت مطعناً ، فعدل عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يدلّ على أنّ ليلى هذه كانت من لينها مثل المُوم[1] بالبنفسج ، فسكت علُّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه :

صوت

إذا كان لي شيئان يا أمّ مالكٍ   فإنّ لجاري منهما مـا تخيّرا
وفي واحدٍ إن لم يكن غيرُ واحدٍ   أراه له أهـلاً إذا كان مُقتِرا

- والشعر لحاتمٍ الطائي . لحنُ علُّويه في هذين البيتين أيضاً خفيف ثقيلٍ . وقد رُوي أن إبراهيم الموصليّ صنعه ونحله إيّاه ، وأنا أذكر خبره بعقِبِ هذا الخبر — قال أحمد بن حمدون : فأتى والله بما برّز على الأوّل وأوفى عليـه ، وكاد إبراهيم

---

(١) الموم هنا : الشمع .

يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصنعة وعجزِه عنها . فقال له : وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارك منهما واحدةً ؟ ! فخجل علُّويه وما نطق بصوتٍ بقيَّةَ يومه . وحدثني عمي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر ، ولفظُه أقلّ من هذا .

فأمّا الخبر الذي ذكرتُه عن علّويه أنّ ابراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت ، فحدثني جحظة قال حدثني ابنُ المكيّ المُرتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثني علُّويه قال :

قال ابراهيم الموصليّ يوماً : إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمعه منّي أحدٌ بعدُ ، وقد حببتُ أن أنفعك وأرفع منك بأن ألقيه عليك وأهَبَه لك ، ووالله ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به ، فانتحله وادَّعِه ، فلستُ أنسبه الى نفسي وستكسب به مالًا . فألقى عليّ قولَه :

إذا كان لي شيئانِ يا أمّ مالكٍ فإنّ لجاري منهما ما تخيَّرا

فأخذتُه وادَّعيته وسترتُه طولَ أيام الرشيد خوفاً من أن أُتّهم فيه وطولَ أيام الأمين حتى حدث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسان وكان يخرج الى الشمَّاسيَّة[1] دائماً يتنزَّه ، فركبتُ في زَلّالٍ[2] وجئتُ أتبعه ، فرأيتُ حرّاقة عليّ بن هشام ، فقلتُ للملاح : اطرَحْ زَلّالي على الحرّاقة ففعل ، واستؤذِن لي فدخلتُ وهو يشرب مع الجواري — وما كانوا يحجُبون جواريَهم في ذلك الوقت ما لم يَلدْنَ — فإذا بين يديه مُتيَّم وبَذْلُ من جواريه ، فغنَّيته الصوت فاستحسنه جداً وطرِب عليه وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك ، ولم يسمعه

(١) الشماسية هنا : من ضواحي بغداد .

(٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

أحدٌ قبلك ، فازداد به عجباً وطرباً وقال لها : خُذيه عنه ، فألقيتُه عليها حتى أخذته ، فسرَّ بذلك وطرِب ، وقال لي : ما أجِدُ لك مكافأةً على هذه الهديّة إلّا أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأُسلِمه اليك أجمع . فتحوّل الى أخرى ، وسُلِّمَتِ الحرّاقة بخزانتها وجميع آلاتها إليّ وكلّ شيء فيها ، فبعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضيعتي الصالحيّة .

حدثني جحظةُ قال حدثني ابن المكيّ المرتجل عن أبيه قال قال اسحاق بن حُميدٍ كاتبُ أبي الرازيّ ، وحدثني به عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثيّ عن اسحاق بن حُميد كاتب ابي الرازي قال :

غنى علّويه الاعسرُ يوماً بين يدي المأمون :

تخيّرتُ من نعمانَ عُودَ أراكةٍ لهندٍ فمن هذا يُبلِّغه هندا

فقال المأمون : أطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعرف ، وسأل كلَّ من بحضرته من أهل الادب والرُّواة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال اسحاق بن حُميد : لما رأيتُ ذلك عُنيتُ بهذا الشعر وجهدتُ في المسألة وطلبتُه ببغداد عند كل متأدب وذي معرفةٍ فلم يعرفه . وقلّد المأمون أبا الرازي كُوَرَ دجلةَ وأنا أكتب له ، ثم نقله الى اليمامة والبحرين . قال اسحاق بن حُميد : فلما خرجنا ركبت مع أبي الرازيّ في بعض الليالي على حِمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدة طويلة ، واذا البيت الذي كنت أطلبه ، فسألته عنها فذكر أنها للمُرَقّش الاكبر ، فحفظتُ منها هذه الابيات :

خليليَّ عُوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هندٌ لارضكما قصدا
وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجازنا ولكننا جُزنا لِنلقاكُمُ عمدا
تخيّرتُ منْ نعمانَ عودَ أراكة لهندٍ فمن هذا يبلّغه هندا

وأنطيتُه[١] سيفي لكيما أُقيمه فلا أوَداً فيه استبنتُ ولا خَضدا[٢]
ستبلُغُ هنداً إن سلِمنا قلائصٌ[٣] مهارى يُقطِّعن الفلاةَ بنا وخدا
فلما أنخنا العيس[٤] قد طار سيرُها اليهم وجدناهم لنا بالقِرى حشدا[٥]
فناولتُها المِسواكَ والقلبُ خائفٌ وقلتُ لها يا هندُ أهلكتنا وجدا
فمدّتْ يداً في حسن دلٍّ تناوُلا اليه وقالت ما أرى مثل ذا يُهدى
وأقبلتُ كالمُجتاز أدّى رسالةً وقامتْ تجرّ الميسانيّ[٦] والبُردا
تعرّضُ للحيّ الذين أريدهم وما ألتمست إلا لتقتلني عمدا
فما شبهُ هندٍ غير أدماء[٧] خاذلٍ من الوحش مُرتاعٍ مُراعٍ طلًا فردا

قال : فكتب بها الى المأمون فاستُحسنتْ ورُويتْ ، وأمر علّويه فصنع في البيتين الأوين منها غناء يُشبه .

أغاني علّويه في هذه الأبيات : اللحن الأول في قوله :

---

(١) أنطى : لغة في أعطى . يريد انه عرض العود على السيف ليقيم به اوده ، فلم يستبن فيه أوداً ولا كسراً .

(٢) الخضد : كسر العود من غير ان يبين .

(٣) قلائص : جمع قلوص . والقلوص من الابل : الشابة . والمهارى (بفتح الراء وكسرها) : جمع مهرية ، نسبة الى مهر بن حيدان ، حيّ من العرب .

(٤) العيس من الابل : البيض يخالط بياضها شقرة ، واحدها أعيس وعيساء .

(٥) الحشد (بالفتح ، ومثله الحشد بالتحريك) : الجماعه المحتشدون .

(٦) الميساني : ضرب من الثياب منسوب الى ميسان ، وهي كورة من كور دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط ، والنسبة اليها « ميساني » على القياس ، و « ميسناني » بزيادة نون .

(٧) الأدمة في الظباء والنوق: لون مشرب بياضاً . والخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد ، او اقامت على ولدها . ومراع : وصف من راعاه يراعيه إذا حفظه أو رعى معه . والطلا هنا : ولد الظبية .

تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكة

غنّاه علُّويه وليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر. ولحنه الثاني الذي أمره أن يصنعه في :

خليليّ عُوجا بارك الله فيكما

رمــلٌ .

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال :

عرَض علُّويه على المعتصم رُقعةً في أمر رِزقه وإقطاعه وهو يشرَب دفعها اليه من يده، فلمّا أخذها اندفع علُّويه يغنّي :

صوت

إنّي استحيتُك أن أفوه بحاجتي   فإذا قرأتَ صحيفــتي فتفهَّمِ
وعليكَ عهدُ الله إن خبّرته   أحداً ولا أظهرتــه بتكلُّم

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحك، ثم وقّع له فيها بما أراد.

الشعر لابن هَرمة كتب به الى بعض آل أبي طالبٍ وهو ابراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابه الى السَّيالة[1]، فكتب اليه البيت الأول على ما رويناه، والثاني غيّره المغنّون، وهو :

وعليك عهدُ الله إن أعلمتَــه   أهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لمِ

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : عليّ عهد الله إن لم أُعلِم به عامل السَّيالة. وكتب الى عامل

(١) السيالة : أرض يطؤها طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة .

السَّيالة : إنّ أبن هَرمة وأصحاباً له سفهاء يشربون بالسَّيالة ، فأركب اليهم ، حتى تأخذهم ، فركب اليهم ونَذِروا[١] به ، فهرب ، وقال يهجو ابراهيم :

كتبتُ اليك أستهدي نبيذاً   وأدْلي بالمودّة والحقوقِ
فخبَّرتَ الأميرَ بذاك جهلاً   وكنتَ أخا مفاضحةٍ وموقِ[٢]

حدثني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء، قال حدثنا الزُّبير . وقد ذكرْتُه في أخبار أبن هرمة . والغناء لعَبادِلَ .

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني موسى بن هارون الهاشميّ قال حدثني أبي قال :

كنت واقفاً بين يديِ المعتصم وهو جالسٌ على حَيرِ الوَحش والخيل تُعرَض عليه وهو يشرب وبين يديه علُّويه ومُخارق يغنّيان ، فعُرض عليه فرسٌ كُميتٌ أحمرُ ما رأيتُ مثله قطُّ ، فتغامز علُّويه ومُخارق ، وغنّاه علُّويه :

وإذا ما شربوها وأنتشَوْا   وَهبوا كلّ جوادٍ وطِمِرّ[٣]

فتغافل عنه . وغنّاه مُخارقٌ :

يَهَبُ البيضَ كالظِّباء وجُرداً[٤]   تحتَ أجلالها وعيس الركابِ

---

(١) نذر به : علم به .

(٢) الموق هنا : الحمق في غباوة .

(٣) الطمرّ من الخيل : الجواد .

(٤) الجرد من الخيل : القصيرات الشعر ، وهو مدح فيها ، الواحد أجرد وجرداء . وعيس الركاب : النوق البيض .

فضحك ثم قال: أسكُتا يا ابنَي الزّانيتين، فليس يملكه والله واحدٌ منكما. قال: ثم دار الدّورُ، فغنّى علُّويه:

وإذا ما شربوهــا وانتشَوا   وَهبوا كلَّ بغــالٍ وحُمُرْ

فضحك وقال. أمّا هذا فنعم، وأمر لأحدهما ببغلٍ وللآخر بحمار.

حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمــد بن محمد الأبزاريّ قال:

كنّا عند زلبهزة النخّاس، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشفٌ ابتاعها من علُّويه، وذلك في شهر رمضان، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصمد بن عليّ يقال له عبد الصمد، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبها، فأعطى بهــا زلبهزة أربعة آلاف دينارٍ فلم يَبِعها منه، وبقيتْ معه حتى توفّيتْ، فغنّتنا أصواتاً كان فيها:

أشارت بطرف العين خيفةَ أهلِها   إشــارة محزونٍ ولم تتــكلّمِ
فأيقنتُ أنّ الطَّرف قد قال مَرحباً   وأهــلاً وسهلاً بالحبيب المُسلّمِ
وأبرزتُ طَرفي نحوَها لأُجيبها   وقلتُ لها قولَ امرئٍ غيرِ مُعجِمِ (١)
هنيئاً لكم قَتلي وَصفوُ مودّتي   وقد سيطَ (٢) في لحمي هواكِ وفي دمي

– الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ – قال: فلمّا وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ: أقيموا عندي. فوجّهتُ غلاماً معي وأعطيته ديناراً وقلتُ له ابتعْ فراريج بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعجّل، فجــاء بذلك فدفعه الى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج الواناً، وكتبتُ الى علُّويه فعرّفته خبرنا، فجاءنا

---

(١) المعجم: الذي لا يفصح في كلامه.

(٢) سيط: خلط ومزج؛ يقال: ساط الشيء يسوطه اذا ضربه فخلط بعضه ببعض.

وأقام، وأفطرنا عند زلبهزة، وشرب منّا مَن كان يستجيز الشراب، وغنّى علّويه لحناً ذكر أنه لابن سُريج ثقيلٌ أوّل، فاستغربه الجماعةُ، وهو:

صوت

يا هندُ إنّ الناس قد أفسدوا ودُّكِ حتى عزّني المَطلَبُ
يا ليتَ مَن يسعى بنا كاذباً عاشَ مُهاناً في أذى يَتعب
هَبيهِ ذنباً كنتُ أذنبتُه قد يغفِر اللهُ لمن يُذنِب
وقد شجاني وجرتْ دمعتي أن أرسلتْ هندٌ وهي تَعتب:
ما هكذا عاهدتَنا في منًى ما أنت إلّا ساحرٌ تَخلُب
حلفتَ لي بالله لا نبتغي غيركِ ما عشتِ ولا نطلُب

قال: وقام عبد الصمد الهاشميّ ليبولَ. فقال علّويه: كلُّ شيء قد عرفتُ معناه: أمّا أنت فصديقُ الجماعة، وهذا يتعشّق هذه، وهذا مولاها، وأنا ربّيتها وعلّمتها، وهذا الهاشميّ أيشٍ معناه! فقلتُ لهم: دعوني أُحكّه[1] وآخذ لزلبهزة منه شيئاً. فقال: لا والله ما أُريد. فقلت له: أنت أحمقُ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه. فقال: إن كان هكذا فنعم. فقلت له: اذا جاء عبد الصمد فقُلْ لي: ما فعلَ الآجُرُّ الذي وعدتَني به، فإن حائطي قد مال وأخاف أن يقع، ودَعني والقصةَ.

فلما جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أمرته به، فقلتُ: ليس عندي آجر، ولكن أصبِر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي، وجعلتُ أنظر الى الهاشميّ نظر مُتعرض به. قال الهاشمي: يا غلامُ دواةً ورُقعة، فأحضر ذلك. فكتب له بعشرة آلاف آجُرَّةٍ الى عامل له، وشربنا حتى السَّحر وانصرفنا. فجئتُ برقعته

(١) أحكه، يريد: أحتك به وأتعرض له.

الى الآجُرّيّ ثم قلتُ: بكم تبيعه الآجُرّ؟ فقال: بسبعة وعشرين درهماً الألف. قلت: فبكم تشتريه مني؟ قال: بنُقصان ثلاثة دراهم في الالف. فقلتُ: فهاتِ، فأخذتُ منه مائتين واربعين درهماً، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر، ودعونا علّويه والهاشميّ، وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية. فقال علّويه: نعم! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى.

أخبرني جحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال حدثني أبي قال:

قال لنا الواثق يوماً: مَن أحذقُ الناس بالصَّنعة؟ قلنا اسحاق. قال: ثم مَن؟ قلنا: علّويه. قال: فمن أضربُ الناس؟ قلنا: ثقيفٌ. قال: ثم مَن؟ قلنا: علّويه. قال: فمن أطيبُ الناس صوتاً؟ قلنا: مُخارق. قال ثم مَن؟ قلنا: علّويه. قال: أعترفتم له بأنه مُصلّي كل سابقٍ، وقد جمع الفضائل كلّها وهي متفرقةٌ فيهم، فما ثَمّ ثانٍ لهذا الثالث.

غنى المأمون في دمشق بما أساءه فغضب عليه وشتمه:

وحدثني جَحظةُ قال حدثني محمد بن أحمد المكي المُرتجل قال حدثني أبي قال:

دخلتُ الى علّويه أعوده من علة أعتلّها ثم عوفي منها، فجرى حديثُ المأمون، فقال لي: كِدتُ — عَلِم الله — أذهب دفعةً ذات يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك؟ فقال: كنتُ معه لمّا خرج الى الشام، فدخلنا دمشق فطفُنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أُميّة ويتبّع(١) آثارهم، فدخل صحناً من صحونهم، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخام الاخضر

(١) أصله يتتبع (بتاءين)، فأدغمت التاء في التاء.

كلّه وفيه بِركةُ ماء يدخلها ويخرج منها من عينٍ تصبّ اليهـا ، وفي البركة سمكٌ ، وبين يديهـا بستان على اربع زواياه أربعُ سرَواتٍ(١) كأنها قُصَّتْ بمقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرو قطُّ قداً وقدراً . فاستحسن ذلك ، وعزم على الصَّبوح ، وقال : هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً ، فأتي ببَزْماوردٍ(٢) فأكل ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل عليَّ وقال : غنِّني ونشِّطني ، فكأن الله عزّ وجلّ أنساني الغناء كلّه إلا هذا الصوتَ :

لو كان حولي بنو أميَّة لم تنطِق رجالٌ أراهمُ نطقوا

فنظر إليّ مُغضباً وقال : عليك وعلى بني أميَّة لعنة الله ! ويلكَ ! أقلتُ لك سُؤني أو سُرَّني ! ألم يكن لك وقتٌ تذكر فيه بني أميَّة إلا هـذا الوقتَ تعرِض بي ! فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أني قد أخطأتُ ، فقلتُ : أتلومُني على أن أذكر بـني أميَّة ! هـذا مولاكم زرياب(٣) عندهم يركب في مائتي غلام مملوكٍ له ، ويملك ثلاثمائة ألف دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرقيق ، وانا عندكم أموت جوعاً . فقـال : أو لم يكن لك شيء تذكِّرني به نفسك غير هذا ! هكذا حضرني حين ذكرتُهم . فقال : أعدل عن هـذا وتنبَّه على إرادتي . فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت :

ألحينُ ساق الى دمشقَ ولم أكُن أرضى دمشقَ لأهلنـا بلَدا

---

(١) السروة : واحدة السرو ، وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض . وفي شفاء الغليل : « زماورد معرب ، والعامة تقول بزماورد ، وليس بغلط ، لأنه كلمة فارسية ، كما هو مسطور في لغاتهم ، وهـو الرقاق الملفوف باللحم . . . »

(٣) يريد ان زرياباً وهو علي بن نافع المغني مولى بـني العباس ذهب الى الأندلس فأكرمه الامويون هناك .

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدحُ، وقال: قُمْ عني الى لعنة الله وحرِّ سقَر، وقام فركب. فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به، حتى مرض ومات. قال: ثم قال لي: يا أبا جعفر كم تُراني أحسِن! أغنّي ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسةَ آلاف صوت، أنا والله أغنّي أكثر من ذلك، ذهب عَلِم اللهُ كلّه حتى كأنّي لم أعرِف غير ما غنّيتُ. ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ روح ما نجتْ منه واحدةٌ منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العمر بقيّة.

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

لو كان حولي بنو أميّةَ لم ... تنطق رجالٌ أراهُمُ نطقوا
مِن كلّ قَرمٍ مَحضٍ ضرائبُه ... عن مَنكِبَيه القميصُ ينخرق [1]

الشعر لعبيد الله بن قيس الرُّقيات. والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن سُريج. وذكر ابن خُرداذبه أن فيه لدُكَين بن عبد الله ابن عَنبسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الاول، وأن دُكيناً مدنيٌّ كان منقطعاً الى جعفر بن سليمان.

صوت

أَحينُ ساق الى دِمَشقَ وما ... كانت دمشق لأهلنـا بلدا
قادتك نَفسك فاستقدتَ لها ... وأريتَ أمرَ غوايةٍ رَشَـدا

(١) انخراق القميص عن الشخص فيه قولان: أحدهما أنه إشارة الى جذب العفاة له. والآخر أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره ويكتفي هو بمعاوزها.

لعُمر الوادي في هذا الشعر ثقيلٌ أول بالوسطى عن ابن المكي . قال : وفيه ليعقوب الوادي رملٌ بالبنصر .

اعترض على خضابه فأجاب :

حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهبٍ الكاتب يحدّث :

أنّ علّويه كان يصطبح في يوم خضابه مع جواريه وحُرَمه ، ويقول : أجعل صبوحي في أحسن ما يكون عند جواريَّ . فقيل له : إن ابن سيرينَ كان يقول : لا بأسَ بالخضاب ما لم تغرَّ به امرأةٌ مسلمةٌ . فقال : إنّما كُرِه لئلّا يتصنّع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنه شابٌ وهو شيخ ، فأمّا الإماء فهنّ ملكي ، وما أريد أن أُغرّهنّ .

قال الحسن : فتعالل علّويه على المعتصم ثلاثةَ أيامٍ متوالية وأصطبح فيها فدعاني ، وكان صوتُه على جواريه في شعر الأخطل :

كأنّ عطّارةً باتتْ تُطيفُ بـه حتى تسربل مثل الورس وانتعلا

فقال لي : كيف رويته ؟ فقلتُ له : قرأتُ شعرَ الأخطل وكان أعلم الناس به ، كان يختار « تسروَل » ويقول : إنما وصف ثوراً دخل رَوضةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر في قوائمه وبطنه فكان كالسراويل ، لا أنّـه صار له سِربالٌ . ولو قال : « تسربل » أيضاً لم يكن فاسداً ، ولكنّ الوجه « تسروَل » .

مدح اسحاق لحناً له :

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجِّم قال :

قَدِمتُ من سُرَّ مَن رأى قَدمةً بعد طول غيبة، فدخلتُ الى اسحاق الموصلي،

فسلَّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى أنتهينا الى ذكر الغنـاء، فسألني عمّا يتشاغل الناس من الأصوات المُستجادة. فقلتُ له: تركتُ الناسَ كلَّهم مُغرمين بصوتٍ لك. قال: وما هو؟ فقلت:

أَلا يا حمامَيْ قَصرِ دوران هِجتما

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعلويه. وقد لعمري أحسن فيه وجوّد ما شاء.

قال المأمون أبياتاً فغناه فيها فوصله:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال حدثني علّويه قال:

خرج المأمون يوماً ومعه أبياتٌ قد قالها وكتبها في رُقعة بخطِّه، وهي:

صوت

خرجنا الى صَيد الظِّبـاء فصادني ... هنـاك غزالٌ أدعجُ العين أحورُ
غزالٌ كأنّ البدرَ حلّ جبينـه ... وفي خده الشعرَى المنيرةُ تَزهر
فصـاد فؤادي إذ رماني بسهمه ... وسهمُ غزالِ الإنس طَرفٌ ومِحجر
فيا مَن رأى ظبياً يصيدُ ومَن رأى ... أخا قَنَصٍ يُصطادُ قهراً ويُقسَر

قال: فغنّيته فيها، فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامة: لحنُ علّويه في هـذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد.

غنّى في مجلس الرشيد بما أغضبه عليه:

أخبرني محمد بن مزيَدٍ قال حدثني حمّاد عن أبيه قال: غنّيتُ الرشيد يوماً:

هما فتــاتان لمّا يعرفا خُلُقي وبالشّباب على شَيبي يُدِلّان

فطرب وأمر لي بألفِ دينار . فقال له ابنُ جامع – وكان أحسد الناس – : اسمع غناء العقلاء ودَع غناء المجانين – وكنت أخذتُ هذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يُجيده – ثم غنّى قوله :

ولقــد قالت لأتْرابٍ لها كالمها يَلعَبنَ في حُجرتهـا
خُذْنَ عنّي الظِلَّ لا يتبعني وغــدتْ تسعى الى قُبّتها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجهُ القَرعة :

يمشون فيها بكلِّ سابغــةٍ أحكم فيها القتيرُ والحَلَقُ [١]

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى علّويه :

وأرى الغواني لا يُواصِلنَ امرأً فقدَ الشباب وقد يَصِلن الأمردا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَظر أمّه ! تُغنّي في مدح المُردِ وذمّ الشّيب وستارتي منصوبةٌ وقد شِبتُ ! كأنّك إنّما عرّضتَ بي ! ثم دعا بمسرورٍ فأمره أن يأخذ بيده فيُخرجه فيضربه ثلاثين درّةً ولا يردّه الى مجلسه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيّة يومنا ، وجفا علّويه شهراً فلم يأذَن له حتى سألناه فأذِن له .

نسبة هذه الاصوات التي تقدّمت

صوت

هما فتاتان لمــّا يعرفا خُلُقي وبالشباب على شَيبي يُدِلّانِ

(١) الدرع السابغة : التي تجر في الارض أو على الكعبين لطولهـــا وسعتها . والقتير : مسامير الدرع .

كلُّ الفعال الذي يفعلنَه حسنٌ ... يُضني فؤادي ويُبدي سرَّ أشجاني
بل اِحذرا صولةً من صول شيخكما ... مهلًا عن الشيخ مهلًا يا فتاتانِ

لم يقع اليَّ شاعره. فيه لابن سُريج ثاني ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن اسحاق. وفيه لابن سُريج رملٌ بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنّيه، فدسَّ الرشيد اليه اسحاق حتى اخذه منه، وقيل: بل دسَّ عليه ابن جامع.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثنا حمَّاد بن اسحاق عن أبيه قال:

دعاني الرشيدُ لما حجَّ، فقال: صِر الى موضع كذا وكذا من المدينة؛ فإنَّ هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً، وهو:

هُما فتاتان لمَّا يعرفا خُلقي ... وبالشباب على شيبي يُدلَّانِ

وله أمٌّ، فصِر اليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه. فجئتُ استدل حتى وقفت على بيتها، فخرجتْ اليَّ فوهبتُ لها مائتي درهم، وقلتُ لها: أريد ان تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلانيَّ. فقالت: نعم، وأدخلتني دارها، وأمرتني فصعدتُ الى عِلِّية لها، فما لبثتُ أن جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمانُ فدتك نفسي! أمك قد اصبحت اليومَ خاثِرةً مُغرمةً[1]، فاحبَّ ان تُغني ذلك الصوتَ:

هما فتاتان لمَّا يعرفا خُلقي

فقال لها: ومتى حدث لك هذا الطرب؟ قالت: ما طربتُ ولكنني أحببتُ أن اتفرَّج من همٍّ قد لحقني. فاندفع فغناه، فما سمعتُ أحسن من غنائه. فقالت

(١) خاثرة: ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة. والمغرمة هنا: المصابة بألم يلازمها ويلح عليها.

له أمه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفت عني قطعةً من همّـي ، فأسألك ان تُعيده . قال : والله ما لي نشاطٌ، ولا اشتري غَمي بفرحك . فقالت : أعده مرتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطفاً[1] . قال : ومن أين لك درهم ؟ ومتى حدث لك هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تحتاج اليه ، وأخرجت اليه درهماً فأعطتـه إياه ، فأخذه وغنّاه مرتين ، فـدار لي وكاد يستوي . فأومأتُ اليها من فوق ان تستزيده . فقالت : يا بُني بحقّي عليك إلا أعدتـه . فقال : أظنّ أنك تُريدين ان تأخذيه فتصيري مغنّية . فقالت : نعم ! كذا هو . قال : لا ! وحقِّ القبر لا أعدتُه إلا بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهماً آخر ، فأخذه وقال : أظنك والله قد تزندقتِ وعبدت الكبشَ فهو ينقُد لك هذه الدراهم، او قد وجدتِ كنزاً . فغنّاه مرتـين، وأخذتُه واستوى لي. ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ الى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُـه بالقصة ، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بدلُ مائتي الدِرهم .

صوت

ولقد قالتْ لأترابٍ لها كالمها يلعبن في حُجرتها
خُذنَ عني الظِلّ لا يتبعني وعدتْ سعياً الى قُبّتهـا
لم يُصِبها نكدٌ فيا مضى ظبيةٌ تختال في مشيتهـا

في هذه الابيات رملٌ بالبنصر ذكر الهشاميُّ أنه لابن جامع المكي ، وذكر ابن المكيّ انه لابن سُريج . وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غير مُجنَّس .

صوت

يمشون فيها بكل سابغـةٍ أحكمَ فيها القتيرُ والحلَقُ

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبّيطى .

تعرف إنصافهم اذا شهدوا   وصبرَهم حين تشخصُ الحدَقُ (١)

الغناء لابن مُحرز ، خفيفُ ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

صوت

يَجحَدنني دَيني (٢) النهارَ وأقتضي   دَيني اذا وقَـذ (٣) النُعاسُ الرُّقَدا
وأرى الغواني لا يُواصلنَ أمرأً   فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلنَ الامردا

الشعر للأعشى . والغناء لمعبَد ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

* * *

صوت

أيَةُ حالٍ يابن رامِـين   حالُ المحبِّـين المساكينِ
تركتَهم موتى وما موّتوا   قد جُرِّعوا منكَ الأمرّينِ (٤)
وسرتَ في ركبٍ على طيَّةٍ (٥)   ركبٍ تهامٍ ويمانينِ
يا راعي الذَّودِ لقد رُعتَهُمْ   وَيلكَ من روعِ المحبِّـين

الشعر لاسماعيل بن عَمّارٍ الاسديّ ، والغناء لمحمد بن الاشعث بن فجوة الزُهريّ الكوفيّ ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى ، عن الهشاميّ وأحمد ابن المكيّ .

---

(١) يقال : شخص بصر فلان اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق هنا كناية عن الفزع وشدّة الخوف في الحرب .

(٢) في شعر الأعشى :   يلوينني ديني النهار وأجتزي   ولي الدين : مطله .

(٣) وقذ : صرع وغلب .

(٤) يقال : لقي منه الأمرين على صيغة الجمع) أي الدواهي .

(٥) الطية : النية اي الوجه والقصد الذي تنتويه وتريده .

نسب اسماعيل بن عمار وأخباره

هو إسماعيل بن عمَّار بن عُيَينة بن الطُّفَيل بن جَذيمة بن عمرو بن خلف بن زبّان بن كعب بن مالك بن ثعلبةَ بن دودان بن أسدِ بن خُزَيمة. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السكّريّ عن ابن حبيب.

وإسماعيل بن عمّار شاعرٌ، مُقِلٌّ، مُخضرَمٌ من شعراء الدولتين الأمويّة والهاشمية. وكان ينزل الكوفة.

قال ابن حبيبَ: كان في الكوفة صاحبُ قِيانٍ يقال له ابن رامين، قدِمها من الحجاز؛ فكان مَن يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويُقيمون عنده مثل يحيى بن زيادٍ الحارثيّ، وشُراعة بن الزَّندبوذ، ومُطيع بن إياس، وعبد الله بن العبّاس المفتون، وعونٍ العِباديّ الحِيريّ، ومحمد بن الأشعث الزُّهريّ المغنّي. وكان نازلًا في بني أسدٍ في جيران إسماعيل بن عمّار، فكان اسماعيل يغشاه ويشرب عنده. ثم انتقل من جواره الى بني عائذ الله[1]، فكان اسماعيل يزوره هناك على مشقّة لبُعد ما بينهما. وكان لابن رامين جوارٍ يقال لهن سلّامةُ الزرقاء، وسعدةُ، ورُبيحة، وكنّ من أحسن الناس غناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلّامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

أمسي لسلّامة الزرقاء في كبدي ... صدعٌ مُقيمٌ طوالَ الدهر والأبدِ
لا يستطيعُ صَناعُ القوم يَشعبُه ... وكيف يُشعَبُ صَدعُ الحبّ في كبِد

(١) عائذ الله: حيّ من العرب.

قصيدة له في جواري بن رامين :

وفي جواريه يقول اسماعيل بن عمّار :

هــل من شفاء لقلبٍ لجَّ محزون … صبا[1] وصبَّ الى رئم ابن رامينِ
الى رُبيحــة إن الله فضَّلها … بحسنِها وسماعٍ[2] ذي أفانــين
وهاجَ قلبي منهــا مَضحَكٌ حسنٌ … ولثغة بعــدُ في زايٍ وفي سين
نفسي تأبَّى لكم إلا طواعيــةً … وأنتِ تأبين لؤماً أن تطيعيــني
وتلك قسمةُ ضِيزَى[3] قد سمعتِ بها … وأنت تتلينَهــا[4] ما ذاك في الدين
إن تُسعفيني بذاك الشيء أرضَ به … وإن ضَننتِ به عني فزَنِّيــني
أنتِ الطبيبُ لداء قــد تلبَّس بي … من الجوى فانفُثي في فيَّ وارقيني
نعم شفاؤكَ منها أن تقولَ لهــا … أضنيتني يوم دَيرِ اللَّجِّ[5] فاشفيــني
يا ربِّ إنَّ ابنَ رامــينٍ له بقرٌ … عِينٌ وليس لنا غــيرُ البراذين
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدرٍ … يرضى به منك غيرَ الرَّبربِ[6] العِينِ
لا أنسَ سعدةَ والزرقاء يوم هُما … باللَّجِّ شرقيَّــةُ فوق الدَّكاكينِ[7]

---

(١) صبا يصبو : مال الى الجهل والفتوّة . والصبابة : الشوق ، وقيل : رقتـه وحرارته ؛ يقال : صب فلان يصب (وزن فرح) صبابة فهو صب اذا عشق .

(٢) السماع هنا : الغناء ، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع .

(٣) قسمة ضيزى : جائرة . ولم تنون «قسمة» هنا للشعر .

(٤) تتلينها : تتبعينها وتعملين بها .

(٥) دير اللج : بالحيرة ، بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر في أيام ملكه ، ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء ولا أنزه موضعاً .

(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء . يريـد جواريه اللاتي يشبهن بقر الوحش في سعة العيون .

(٧) الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .

يُغنّيانِ أبنَ رامينٍ على طربٍ   بالمسجحيّ[١] وتشبيبِ المحبّينِ
أذاك أنعمُ أم يومٌ ظَلِلتُ به   فِراشيَ الوَردُ في بُستان شُورينِ
يَشوي لنا الشيخُ شُورينٌ دواجنَه   بالجردَناجِ[٢] وسحّاجَ الشقابينِ[٣]
نُسقى طِلاءً لعمرانٍ[٤] يُعتّقه   يَمشي الأصحّاءُ منه كالمجانينِ
يُزِلّ أقدامنا من بعد صحّتها   كأنها تَقلا يُقلَعنَ من طينِ
نَمشي وأرجلُنا مطويّةٌ شَللًا   مَشيَ الإوزّ التي تأتي من الصينِ
أو مَشيَ عُميانِ دَيرٍ لا دليل لهم   سِوى العِصيِّ الى يوم السَّعانينِ
في فِتيةٍ من بني تَيمٍ لهوتُ بهم   تَيمِ بن مُرّةَ لا تَيمِ العديّين
حُمرُ الوُجوه كأنّا من تحشّمنا   حسناء شمطاء وافت من فِلسطين
ما عائذٌ[٥] الله لولا أنتِ من شجني   ولا أبنُ رامين لولا ما يُمنّيني
في عائذ الله بيتٌ ما مررتُ به   إلّا وُجِئتُ[٦] على قلبي بسكّين
يا سَعدةُ القَينةُ الخضراءُ[٧] أنتِ لنا   أنسٌ لأنّك في دار ابن رامين
ما كنتُ أحسَبُ أنّ الأسدَ[٨] تؤنسني   حتى رأيتُ اليكِ القلبَ يدعوني

---

(١) المسجحي : الغناء المنسوب لابن مسجح .

(٢) الجردناج : الشواء المكبوب على الجمر أو الطابق بعد كبسه في مياه عطرة وأفاويه أو طبخه فيها نصف طبخة . وأصله فارسي .

(٣) الشقابين : جمع شقبان (بالتحريك) وهو طير نبطي . أما « سحاج » فأحسب أن صوابها « سحاح » جمع ساح بمعنى سمين .

(٤) « يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله » .

(٥) عائذ الله : حي من العرب انتقل الى جوارهم ابن رامين مع جواريه .

(٦) وجئت : ضربت .

(٧) الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

(٨) صوابه : « أن السود تؤنسني » فان سعدة كانت سوداء .

لولا رُبَيحةُ ما استأنستُ ما عمدت نفسي اليك ولو مُثِّلتِ من طينِ

قال : وحجّ ابن رامين وحجّ بجواريه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز ، فاشترى منه سلّامة الزّرقاء بمائة ألف درهم . فقال اسماعيل بن عمّار :

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينِ حالُ المحبّين المساكينِ
تركتهم مَوتى وما مُوّتوا قد جُرّعوا منك الأمرّين
وسرتَ في ركبٍ على طِيَّةٍ رَكبَ تَهامٍ ويَمانين
حججتَ بيتَ الله تبغي به البرَّ ولم تَرْثِ لمحزون
يا راعيَ الذّود لقد رُعتهم وَيلك من روع المحبّين
فرّقتَ قوماً لا يُرَى مثلهم ما بين كوفانٍ[1] الى الصين

مات له ابن فرثاه :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكّريّ عن محمد قال :

كان لإسماعيل بن عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعنٌ فمات ، فقال يرثيه :

يا مَوتُ مالك مُولعاً بضِراري إنّي عليك وإن صبرتُ لزاري[2]
تعدو عليّ كأنني لك واترٌ وأؤول منك كما يؤول فِراري
نفسُ البعيد اذا أردتَ قريبةٌ ليست بناجيةٍ مع الأقدار
والمرء سوف وإن تطاول عُمره يوماً يصير لحفرة الحفّار
لمّا غلا عظمٌ به فكأنه من حسن بنيته قَضيب نُضار[3]

---

(١) كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .

(٢) يقال : فلان زار على فلان اذا كان عاتباً ساخطاً غير راض .

(٣) النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

فجّعتني بأعزّ أهلي كلّهم تعدو عليه عدوة الجبّارِ
هلّا بنفسي أو ببعض قرابتي أوقعتَ أو ما كنت للمختار
وتركتَ ربتي التي من أجلها عفتُ الجهاد وصرتُ في الأمصار

أخبرني علي بن سليان قال حدثني السكريّ عن محمد بن حبيب قال :

قال رجلٌ من بني أسدٍ كان وجهاً[١] ، لإسماعيل بن عمّار : هلمّ أركبْ معك الى يوسف بن عمر ، فإنه صديقٌ ، حتى أكلّمه فيك يستعملك على عملٍ تنتفع به. فقال له اسماعيلُ : دَعني حتى يحول الحول . فنظر اسماعيل الى عمّال يوسف يُعذَّبون ، فقال في ذلك :

رأيتُ صبيحةَ النَّيروز أمراً فظيعاً عن إمارتهم نهاني
فررتُ من العمالةِ بعد يحيى وبعد النّهشليّ أبي أبان
وبعد الزور وابن أبي كثيرٍ وفيقدِ أشجعٍ وأبي بطان
فخابَ بها أبا عثمانَ غيري فما شأنُ الامارة لي بشان
أحاذرُ أن أقصّر في خَراجي الى النَّيروزِ أو في المِهرجان
أُعجّلُ إن أتى أجلي بوقتٍ وحسبي بالمجرّحة المتان[٢]
فما عُذري اذا عرّضتُ ظهري لألفٍ من سياطِ الشّاهجان[٣]
تُعدُّ ليوسفٍ عداً صحيحاً ويحفظها عليه الجالدان
وأُسحَبُ في سَراويلي بقيد الى حسّانَ معتقلَ اللسان
فمنهم قائلٌ بُعداً وسُحقاً ومنهم آخران يُفدّيان

(١) الوجه من الناس : سيد القوم مثل الوجيه .

(٢) يريد بالمجرّحة المتان السياط الشديدة التي تقطع جلد من يضرب بها . والشاعر يريد بهذا الاخبار الإشفاق والخوف .

(٣) الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .

كفاني من إمارتهم عَطائي وما أحذيتُ[1] من سبق الرّهانِ
كفاني ذاك منهم ما بَقينا كما فيما مضى لي قد كفاني

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة ابن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مغنّيةٌ يؤدّبها ويصنعها[2] ليهديها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة. فقال فيها اسماعيل بن عمّار:

بُوبَ حُيّيتِ عن جليسك بُوبا مُخطئاً في تحيّتي أو مصيبا
ما رأينا قتيلَ حيٍّ حبا القا تلَ بالوِتر أن يكون حبيبا
غيرَ ما قد رُزِقتِ يا بُوبَ منّي فهنيئاً وإن أتيتِ عجيبا
غيرَ منٍّ به عليك وإن كنـ ـتِ بقدرِ القيان طبّاً طبيبا[3]
بنتُ عَشرٍ أديبةٌ في قُرَيشٍ بَخٍ فأكرِم بهم أباً ونسيبا
أُدِّبتْ في بني أميّـة حتى كملتْ في حُجورهم تأديبا

قال: ثم أهداها ابنُ عنبسة الى هشام. فقال اسماعيل بن عمّار:

ألا حُيّيتِ عنّا ثـ ـمَّ سَقياً لكِ يا بوبَه
وأكرِمْ بكِ مُهداةً وأحبِب بك مَطلوبه
وواهاً لكِ من بكرٍ وواهاً لكِ مثقوبه
وواهاً لـكِ مُلقاةً وواهاً لك مكبوبه
لقد عاينَ مَن يَلقا كِ من حسنِك أعجوبه
ويا وَيـلي ويا عَولي فنفسي الدهر مكروبه

(١) أحذيت: أعطيت. والسبق (بالتحريك): مـا يجعل من المال رهناً على المسابقة بين الخيل وغيرها.

(٢) صنع الجارية: ربّاها واحسن تغذيتها.

(٣) الطب: الخبير الحاذق بعمله، ومثله الطبيب.

على هَيفاءَ[١] حَوراءَ عَلى جَيداءَ رُعبوبه
إذا ضاجعها المَولى فقد أدرك محبوبه

هجاؤه لجارية له كان يبغضها :

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بنِ عمَّار جاريةٌ قد ولدتْ منه، وكانت سيئة الُخلق قبيحة المنظر ، وكان يُبغضها وتُبغضه ، فقال فيها :

بُليتُ بزَمَّردةٍ[٢] كالعصا ألصَّ وأخبثَ من كُندُشٍ[٣]
تُحبّ النساء وتأبى الرجال وتمشي مع الأسفه الأطيش
لها وجهُ قِردٍ اذا ازَّينت ولونٌ كبَيض القطا الأبرَش[٤]
ومِن فوقه لِمّةٌ جَثلةٌ كمثل الخوافي منَ المرَعش[٥]
وبطنٌ خواصره كالوِطا بِ[٦] زاد على كَرِش الأكرش
وإن نكَهت[٧] كدتُ من نتنها أخِرُّ على جانبِ المفرَش

(١) هيفاء : دقيقة الخصر . وحوراء : شديدة بياض العين مع شدّة السواد واستدارة الحدقة . وجيداء : طويلة الجيد . والرعبوبة — ومثلها الرعبوب — : الشطبة التارّة أو هي البيضاء الناعمة .

(٢) زمردة : لغة في « زنمردة » قلبت النون ميماً وأدغمت في الميم . والزنمردة : المرأة التي تشبه الرجال خلقاً وخُلقاً . والكلمة فارسية معربة . وشبهها بالعصا لقلة لحمها وهزالها .

(٣) كندش : لقب لص منكر كان معروفاً عندهم ، وقيل نه العقعق . والعقعق : طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب وجناحاه أطول من جناحي الحمامة ، وهو ذو لونين أبيض وأسود ، طويل الذنب . وفي طبعه الزنا والخيانة ، ويوصف بالسرقة والخبث ، والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك .

(٤) البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

(٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن . والجثلة : الكثيرة الملتفة . والخوافي من الريش: ما تخفى اذا ضم الطائر جناحيه . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء .

(٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو سقاء اللبن يتخذ من جلد الجذع فما فوقه. والاكرش: عظيم البطن .

(٧) نكه : تنفس على أنف آخر .

وثَدْيٌ تدلّى على بطنها كقربةِ ذي الثَّلَّةِ المُعطشِ[١]
وفخذان بينهما بَسطةٌ[٢] اذا ما مشتْ مِشيةَ المُنتشي[٣]
وساقٌ يُخلخلها خاتمٌ كساق الدجاجة أو أحمش[٤]
وفي كلِّ ضِرسٍ لها أَكلَةٌ[٥] أَصلٌ[٦] من القبر ذي المنبش
ولمّا رأيتُ خَوا[٧] أنفها وفيها وإصلالُ[٨] ما تحتشي
الى ضامرٍ[٩] مثلِ ظلفِ الغزال أشدّ اصفراراً من المِشمش
فررتُ من البيتِ من أجلها فِرار الهجين من الأعمش
وأبردُ من ثلج ساتيدَما[١٠] اذا راح كالعُطُبِ[١١] المُنفش
وأرسح[١٢] من ضِفدعٍ عَثَّةٍ[١٣] تَنِقُّ على الشطّ من مَرعش[١٤]

---

(١) الثلة (بالفتح) : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ورواية الشطر الاول في الحماسة : وثدي يجول على نحرها يصفها بعظم الثدي . ويحتمل أن يريد أن ثديها طويل وإن كانت خالية ، فقد وصفه بالطول والتشنج .

(٢) فخذان بينها نفنف . والنفنف هنا : المهواة بين الشيئين .

(٣) المنتشي : السكران .

(٤) الحموشة : الدقة ، يقال : ساق حمشة (بالفتح) وحميشة وحمشاء اي دقيقة . والخلخل : موضع الخلخال من الساق. وأنث الخبر — على رواية الحماسة — لاضافة الخلخل الى ضمير الساق، والساق مؤنثة.

(٥) الأكلة (بفتح اوّله وكسر ثانيه ، وسكن ها هنا للشعر) : داء يقع في العضو فيأتكل منه .

(٦) أصل : أنتن .

(٧) الخواء (بالمد) : الهواء بين الشيئين .

(٨) الإصلال : مصدر أصل اللحم اذا أنتن ؛ يقال : صل اللحم وأصل . وما تحتشيه هنا : ما تضعه من القطن ونحوه في فرجها لتحبس به دم الحيض .

(٩) يريد فرجها .

(١٠) ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم الى بحر الهند .

(١١) العطب : القطن .

(١٢) في الاصول : «وأرشح» بالشين المعجمة . والرسح : قلة لحم الفخذين والعجز .

(١٣) العثة (بالعين المهملة) : المحقورة والضئيلة الجسم. وفي سائر الاصول : «غثة» بالغين المعجمة . والغثة : الرديئة .

(١٤) مرعش : مدينة بين الشام وبلاد الروم .

وأوسعُ من باب جسر الأمير ... تمرُّ المحامِلَ لم تخدِشِ
فهذي صِفاتي فلا تأتِها ... فقد قلتُ طرداً لها كشكشي [١]

هجا جاراً له بنى مسجداً قرب داره :

وقال ابن حبيبَ : كان في جوار إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكر وهجاء الناس ويعذُله، وكان إسماعيل له مُغضباً . فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دار إسماعيل وحسّنه وشيَّده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستّر والصلاح منهم عامةَ نهارهم، فلا يقدر إسماعيل ان يشرب في داره ولا يدخل اليه أحدٌ ممن كان يألفه من مغنٍّ او مغنّية او غيرهما من أهل الرِّيبة . فقال إسماعيل يهجوه – وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة – :

بنى مسجداً بُنيانُه من خيانةٍ ... لَعَمري لَقِدماً كنتَ غيرَ مُوفَّقِ
كصاحبة الرُّمّان لمّا تصدّقتْ ... جرت مثلاً للخائن المتصدِّقِ
يقولُ لها أهلُ الصلاح نصيحةً ... لكِ الويلُ لا تزني ولا تتصدّقي

وقال ابن حبيب : وُلّي العَسَسَ [٢] رجلٌ غاضريٌّ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا الى الغداة . فلما أصبح غدا على الوالي مُستعدياً على الغاضريّ . فقال له الوالي – وكان رجلاً من همدان – : ماذا صنع بك ؟ فأنشأ يقول :

عَسَّ بنا ليلتَه كلَّها ... ما نحن في دُنيا ولا آخرهْ
يأمر أشياخَ بني مالكٍ ... أن يحرُسوا دور بني غاضرهْ

---

(١) في الاصول : « كشكش » . الكشكشة هنا : الهرب . يريد : فقلت لها اذهبي .

(٢) العسس : جمع او اسم جمع لعاس، وهم طوّافو الليل لحراسة الناس والكشف عن أهل الريبة .

والله لا يرضى بـذا كائناً من حُكم هَمدان الى الساهره[1]

قال فقال له الوالي : قد لَعمري صدَقتَ ، ووظّف عـلى سائر البطون أن يطوفوا مـع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً الى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنوائبَ[2] بينهم .

كان منقطعاً الى خالد بن خالد بن الوليد فلما مات رثاه :

قال ابن حبيبَ : كان إسماعيل بن عمّار منقطعاً الى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيطٍ ، وكان اليه مُحسناً ، وكان ينادمـه . فولي خالدُ بن خالدٍ عملًا للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج اليه ، وكان إسماعيل عليلًا فتأخر ، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله ، فورد نعيُه الكوفة في يوم فطرٍ . فقال إسماعيل بن عمّار يرثيه :

ما لعيني تفيضُ غيرَ جَمودِ[3] ليس ترقا ولا لها من هُجودِ
فـإذا قرّت العيونُ أستهلّتْ فـإذا نِمنَ أولِعتْ بالسُّهود
ألِنَعي ابن خالدٍ خالدِ الخيـرات في يوم زينـةٍ مشهود
سَنَحتْ لي يومَ الخميس غداةَ الـفِطر طـيرٌ بالنّحس لا بالسُّعود
فتعيَّفتْ[4] أنهنّ لأمرٍ مُفظعٍ ما جرينَ في يوم عيـد
فنعتْ خالد بنَ أروى وجلّ الـخطبُ فِقدانُ خالدِ بن الوليد

---

(١) الساهرة في اللغة : الارض او وجهها ، وقيل هي الفلاة ، وقيل هي الارض التي لم توطأ .

(٢) نوائب : جمع نيابة بمعنى نوبة ؛ فانه يقال جاءت نوبة فلان ، وجاءت نيابة فلان .

(٣) عين جود : لا تدمع . ورقوء الدمع : جفافه وانقطاعه . والهجود : النوم .

(٤) عيافة الطير : زجرها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وممرها واصواتها فتسعد او تتشاءم. والذي في كتب اللغة التي بين ايدينا أنه يقال عاف الطير يعيفها عيافة .

وقال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمار جارٌ يقال له عثمان بن دِرباس، فكان يُؤذيه ويسعى به الى السلطان في كل حال، ثم سعى به أنه يذهب مذهبَ الشُّراة[1]، فأُخذ وحُبس. فقال يهجوه:

من كان يحسُدني جاري ويغبِطني ... من الأنام بعثمان بن درباسِ
فقرَّب الله منه مثلَه أبداً ... جاراً وأبعد منه صالحَ الناس
جارٌ له بابُ ساجٍ[2] مُغلَقٌ أبداً ... عليه من داخلٍ حُرّاسُ أحراس[3]
عبدٌ وعبدٌ وبنتاهُ وخادمُه ... يدعون مثلهمُ ما ليس من ناس
صُفرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خامَرَهم ... وما بهم غيرَ جهدِ الجوع من باس
له بَنون كأطباءٍ[4] معلَّقةٍ ... في بطنِ خنزيرةٍ في دار كنّاس
إن يُفتحِ البابُ عنهم بعد عاشرةٍ ... تظنُّهم خرجوا من قعر أرماس[5]
فليتَ دار ابن دِرباسٍ مُعلَّقةٌ ... بالنَّجم بين سلاليمٍ وأمراس[6]
فكان آخرَ عهدي منهمُ أبداً ... وابتعتُ داراً بغلماني وأفراسي

قال: وقال فيه أيضاً:

ليتَ بِرذَوني وبغلي ... وجوادي وحماري
كُنَّ في الناس وأبدِلتُ ... غداً جاراً بجار

---

(١) الشراة: الخوارج.

(٢) الساج هنا: ضرب من الشجر ينبت ببلاد الهند ويعظم جداً، وخشبه اسود رزين لا تكاد الارض تبليه.

(٣) حراس وأحراس: كلاهما جمع لحارس.

(٤) الاطباء: حلمات الضرع لذي الخف والظلف والحافر والسبع، واحدها طبي (بالكسر ويضم).

(٥) الارماس: القبور.

(٦) الامراس: الحبال، واحدها مرس (بالتحريك).

جارَ صدقٍ بأبن دِربا س وإلا بعتُ داري
فتبدّلتُ بـه مِن يَمَنٍ أو مـن نِزار
بدّلا يعرف ما اللّـ ـهُ وما حـقّ الجِوار
لو تبدّلتُ سـواه طاب ليـلي ونهاري
واسترحنا من بـلايا هُ صغارٍ أو كبار
لو جزيناه بها كُنّـا جميعاً في فَجارِ[1]
أو سكتنا كان ذُلّا داخـلا تحت الشِعار[2]

كتب الى ابن أخيه شعراً من الحبس فأجابه :

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدى عليه السلطان ، وذكر أنـه من الشُراة ، وأنهم مجتمعون عنده ، وأنه من دُعاة عبد الله[3] بن يحيي وأبي حمزة المُختار . فكتب من السجن الى ابن أخٍ له يقال له مُعانُ :

أبلغْ مُعاناً عني وإخوتـه قولا وما عالمٌ كمن جهلا
بأنـني والمُصبّحات مِنًى يعدون طوراً وتارةً رمـلا
لخائفٌ أن يكونَ وُدُّكمُ إيايَ بعد الصفاء قد أفلا
أنْ عراني دهري بنائبةٍ أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتمُ الصرمَ أو لعلّكمُ ظننتمُ ما أصابني جَلـلا
لا تُغفِلونا بني أخي فلقـد أصبحتُ لا أبتغي بكم بَدلا
تمسّكوا بالذي امتسكتُ به فإنّ خيرَ الإخوان مَن وَصلا

---

(١) فجار : اسم للفجور ، وهو معرفة مبني على الكسر مثل حذام وقطام .

(٢) الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .

(٣) هو عبد الله بن يحي الكندي احد بني عمر بن معاوية من حضرموت .

قال : فكتب اليه ابنُ أخيه :

يا عمِّ عُوفيتَ من عذابهمُ الـنُّـــكر وفارقتَ سِجنهم عَجِلَا
كتبتَ تشكو بني أخيك وقد أرسل مَن كان قبلَنـا مثلا
« ابدأْهمُ بالصُّراخ يَنهزموا » فأنت يا عمِّ تبتغي العِلَـلا
زعمتَ أنَّا نرى بـلاءك في دارِ بـلاءٍ مُكبَّلًا جَلَلا
يا عمِّ بئس الفِتيانُ نحن إذاً أمَا وفي رجلك الكُبولُ فلا
عليَّ إن كنت صادقاً حِجَجٌ للبيت عامَين حافياً رَجِـلا
بُعْدَ عنك الهمومُ فارجُ من الـلّـهِ خلاصاً وأحسنِ الأمـلا

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل :

قال : ثم وَلي الحكَمُ بن الصَّلت فأطلقه وأحسن اليه ، فلم يَزلْ يشكره ويمدحه . ثم عُزِل الحكم بعد ذلك ، فقال اسماعيل فيه :

تبارك الله كيف أوحشتِ الـــكوفة أن لم يَكُن بها الحكَمُ
الحكَمُ العدلُ في رعيّته الـــكاملُ فيه العفاف والفَهَم
فأصبح القصرُ والسَّريران والـــمنبرُ كالكل من أبٍ يَتَمِ[1]
يُذري عليـه السرير عَبرَتَه والمِنبر المَشرَفيُّ يلتـدِمِ[2]
والناس من حُسن سيرةِ الحكَم بـــن الصَّلت يبكون كلّما ظُلِموا
مثلُ السكارى في فَرط وَجدِهِمُ إلّا عدوّاً عليـه يُتَّهم
يوم جرى طائرُ النُّحوس لهم يُنزَعُ منه القِرطاسُ والقلم
فأرغَمَ الله حاسديـه كما أرغمَ هُودَ[3] القرودِ إذ رَغِموا

(١) اليتم (بالتحريك) : لعله مصدر وصف به هنا .

(٢) المشرفيّ من السيوف : المنسوب الى المشارف وهي قـرى من أرض اليمن ، وقيل : من ارض العرب تدنو من الريف . واللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

(٣) الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القرية الـتي كانت حاضرة البحر ، وكانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، وكان محرماً عليهم الصيد او العمل في يوم السبت. وأرغم الله فلاناً : أذله . ورغم فلان، او رغم أنف فلان : ذل . وفي بعض الاصول : «اذ زعموا».

في سَبتهم يوم ناب خَطبهمُ والله ممن عصاه ينتقمُ
إنّا الى الله راجعون أما للنّاس عهدٌ يُوفى ولا ذِمَم
حَولٌ علينا، وليلتان لنا من لَذّة العيش، بئسما حَكموا
لا حُكمَ إلّا لله يُظهرُه يَقضي لضيزائها¹ التي قسموا
ماذا تُرَجي من عَيشها مُضَرٌ إن كان من شأنها الذي زعموا

ذم ولاية خالد القسريّ:

وقال ابن حبيب: سمع إسماعيل بن عمّار رجلًا يُنشد أبياتًا للفرزدق يهجو بها عمر بن هُبَيرة الفزاريّ لمّا وَليَ العراق ويعجب من ولايته إيّاها، وكان خالدٌ القسريّ قد وَليَ في تلك الأيام العراق، فقال إسماعيل: أعجبُ والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هُبَيرة، وهو ما لستُ أراه يُعجبُ منه، ولاية خالدِ القسريّ وهو مخنّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ، ثم قال:

عَجِب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أميّةَ بالمشارق تَنزعُ
فلقد رأى عجبًا وأحدِثَ بعده أمرٌ تطيرُ له القلوب وتفزع
بَكتِ المنابر من فزارة شجوَها فالآن من قَسرٍ تَضجّ وتجزَع
فملوك خِندفَ أضرَعونا² للعدا لله دَرُّ مُلوكنا ما تصنع
كانوا كقاذفةٍ بَنيها ضَلّةً سَفهًا وغيرَهُمُ تَرُبُّ وتُرضع

أخبرني حبيب بن نَصر المهلّبيّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن أسيد العامريّ قال حدثني محمد بن أنسٍ الأسديّ قال:

---

(١) الضيزى: القسمة الجائرة غير العدل. وهي مقصورة، ومدها الشاعر هنا للضرورة.

(٢) أضرعونا: أذلونا وأخضعونا.

شعر له في عينه وقلبه :

جلستُ الى إسماعيل بن عمّار ، وإذا هو يفتل أصابعه متأسّفاً ، فقلتُ : علام هذا التأسّف والتلهّف ؟ فقال :

عينايَ مشئومتان وَيحهما والقلبُ حرّان مُبتلًى بهما
عرّفتاه الهوَى لظلمهما يا ليتني قبلَ ذا عَدِمتُهما
هُما الى الحين دلّتا وهما ذلّ(١) على من أُحِبُّ دَمعُهما
سأعذِرِ القلبَ في هواه وما سبّبَ كلَّ البلاء غيرُهما

شعر للأعشى وشرحه :

صوت

فكعبة نَجران حتمٌ عليـكِ حتى تُناخي بأبوابِهـا
نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيح وقَيساً همُ خيرُ أربابها
وشاهِدُنا الجُلُّ(٢) والياسميـنُ والمُسمِعاتُ بقُصّابهـا
وبَربَطُنا(٣) دائمٌ مُعمَلٌ فأيُّ الثلاثة أزرى بهـا
إذا الحبِراتُ تلوّتْ بهم وجَرّوا أسافلَ هُدّابها
فلمّا التقَينا علـى آيةٍ ومدّتْ إليّ بأسبابهـا

عَروضه من المتقارب . الشعرُ للأعشى يمدَح بني عبد المدان الحارثيّين من بني الحارث بن كعب . والغناء لحُنَين ، خفيفُ ثقيل بالوسطى في مجراها عن اسحاق .

(١) ذل الدمع : هان . وفي بعض الاصول : « دلا » وهو تحريف .

(٢) الجل (بالضم ويفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة .

(٣) البربط (وزن جعفر) : العود . والكلمة فارسية معرّبـة . قيل : شبه بصدر البط . و « بر » : الصدر .

وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك ، وزعم عمرو بن بانة أنه خفيفُ ثقيلٍ . وزعم أبو عبد الله الهشاميّ أنّ فيه لاَبن المكيّ خفيفَ رملٍ بالوسطى أوّله :

تُنازعني إذ خلتْ بُردها

ومعه باقي الابيات مخلّطةً مقدّمةً ومؤخّرةً . والكعبة التي عناها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعةٌ بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاةً للكعبة ، وسموها كعبة نجران ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا الى النبيّ صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى المُباهلة ، وقيل : بل هي قُبّة من أدَمٍ سموها الكعبة ، وكان اذا نزل بها مستجيرٌ أُجير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو طالبُ حاجةٍ قُضيتْ ، أو مسترفدٌ أُعطي ما يريده . والمُسمعاتُ : القيان . والقصّاب : أوتار العيدان . وقال الأصمعيّ : قلت لبعض الأعراب : أنشدني شيئاً من شعرك . قال : كنت أقول الشعر وتركته . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنني قلت شعراً وغنّى فيه حَكَمٌ الواديّ وسمعته فكاد يذهل عقلي ، فآليت ألّا أقول شعراً ، وما حرّك حَكَمٌ قُصّابه إلّا توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخلدي بها في النار .

فهرس

المجلد الحادي عشر من كتاب الأغاني

التراجم التي في هذا المجلد

الاغـــــــاني

- اغزر مورد واوثق مستند لتاريخ الآداب العربية
- الاغاني مكتبة في كتاب
- اشرف على مراجعتها وطبعها نخبة من الأدباء

ثمن المجلد الواحد ٥٥٠ غ . ل . غلاف

〃 〃 〃 ٧٥٠ 〃 مجلد

المجلد الاول الطبعة الثانية ٦٠٠ 〃 ومجلد ٨٠٠ غ . ل .

من 〃 التاسع وما بعـــده ٦٠٠ 〃 〃 ٨٠٠ 〃

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة ومكتبتها** — ساحة رياض الصلح — بيروت

مصر والسودان :	**مؤسسة المطبوعات الحديثة**	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق :	**مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الاردن والقدس:	**مكتب التوزيع العربي**	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية :	**مكتبة دار الفكر**	— عبد الرحمن المنيعي	الرياض
الكويت :	**مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي :	**المكتبة الوطنية**	— ابراهيم محمد	البحرين
تونس :	**دار الكتب الشرقية**	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر :	**المكتبة الجزائرية**	— شريفي عمرو	الجزائر
المغرب :	**دار الكتاب**	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة :	**المكتبة العصرية**	— نصرالله الحريشي	طنجة
فرنسا :	**المكتبة الشرقية**	— صموليان	باريس

الثمن ٦٠٠ غ . ل . او ما يعادلها